

سلسلة  
عالم  
الثقافة

11



بقلم

الأزرق بن علو

الحكم والمواعظ  
على أسنة الحيوانات

الحكم والمواعظ على  
أسنة الحيوانات



# الحكم والمواظ على السنة الحيوانات

إعداد

الأزرق بن علو

الناشر

دار قباء الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

المالك والمدير العام العقيد شيرين ثابت

اسم الكتاب: الحكم والمواظ على أسنة الحيوانات

اسم المؤلف: الأزرق بن علو

سنة النشر: 2013 م

رقم الإيداع: 2007/21954م

الترقيم الدولي: 4 - 09 - 6240 - 977 - 978 .

## الناشر

### دار قباء الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

المالك والمدير العام العقيد شيرين ثابت

E-Mail: modern\_qubaa@hotmail.com

www.qubaaelhadetha.com

الإدارة: (16) عمارات العبور - شارع صلاح سالم - الدور الثالث -

مدينة نصر - القاهرة

تليفاكس: 2/22621365 تليفون: 02/24025777

محمول: 01223140315 - 01223171722

حقوق الطبعة محفوظة للمؤلف

٢٠١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ



# الإهداء

إلى منبع المودة والسكينة ،

إلى حفيظة



# الفهرس



رقم الصفحة	الموضوع
11	* المقدمة .....
11	- حيوانات ورد ذكرها في القرآن .....
23	- الحيوانات والبيئة .....
27	- نبذة عن الحكايات على ألسنة الحيوانات .....
*****	
<b>القسم الأول</b>	
*****	
33	- الحكيم اليونانيّ إيسوب .....
39	- نخبة من حكاياته .....
*****	
<b>القسم الثاني</b>	
*****	
105	- الشاعر الفرنسي الشهير لافونتان .....
113	- نخبة من حكاياته .....
*****	
<b>القسم الثالث</b>	
*****	
215	- أمير الشعراء أحمد شوقي .....

الموضوع	رقم الصفحة
- نخبة من حكاياته عن الحيوانات .....	230
- أقوال بعض الشعراء حول عدد من الحيوانات .....	231
*****	
<b>القسم الرابع</b>	
*****	
- نخبة من حكايات كليلة ودمنة "للمقارنة" .....	249
- تمهيد : .....	251
ابن المقفع - مقدمة الكتاب - غرض الكتاب - أقوال بعض الحكماء والملوك - الرجل والتين في البئر - القبرة والفيل .	
*****	
- الباب الأول (من كليلة ودمنة) .....	262
- الأسد والثور	
- الباب الثالث : .....	322
- الحمامة المطوقة	
- الباب الرابع - البوم والغريان .....	342
- الباب الخامس - القرد والغليم .....	370
- الباب التاسع - الأسد ، ابن آوى والناسك .....	379
- الباب الثالث عشر - السائح والصائغ .....	391
*****	



## المقدمة

### حيوانات ورد ذكرها في القرآن



ورد في الذكر الحكيم ذكر عدد من الحيوانات بمختلف أجناسها وأنواعها وأشكالها ، من النملة إلى الفيل ، ومن البعوضة إلى البعير ، ومن الذبابة إلى الناقة ، ومن النحلة إلى البقرة .. إلخ وفيما يلي عدد من هذه الآيات البيّنات .

بعث الله غرابين واقتتلا ، فقتل أحدهما الآخر ، ثم حفر حفرة ووارى الجثة تحت التراب . وهنا قال قابيل لنفسه :

﴿ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ  
سُوءَ أَخِي ﴾ .

(سورة المائدة - الآية 31)

\*\*\*\*\*

وبينما كان نبيُّ الله نوح عليه السلام يبني سفينته لينقذ من آمن من قومه من الطوفان ، أوحى إليه الرب سبحانه :

﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ .

والإشارة هنا «زوجين اثنين» من الحيوانات .

(سورة هود - الآية 40)

\*\*\*\*\*

وقال نبيّ الله صالح عليه السلام لقومه :

﴿هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ .

وحذرهم من أن يمسوها بشرًّا ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ

يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ . (سورة الشعراء - الآية 155)

\*\*\*\*\*

وعندما رأى سيدنا إبراهيم عليه السلام في منامه أنه يذبح ابنه إسماعيل تقربا لله ، منّ الله عليه ، وجزاه على صدق إيمانه ورباطة جأشه ، ففدى إسماعيل عليه السلام بذبح عظيم .

\*\*\*\*\*

واتهم إخوة يوسف عليه السلام الذئب بأنه هو الذي أكل أخاهم:

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذُهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا

فَأَكَلَهُ الذَّئْبُ﴾ . (سورة يوسف - الآية 17)

وتوالت السنون ، وأودع يوسف السجن ، وذات ليلة رأى الفرعون  
مناماً تعذر على رجاله تفسيره ، فأخرج يوسف من السجن ، وطلب  
منه أن يفسر منام الفرعون :

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ  
سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرَىٰ يَأْسَاطٍ﴾ .

(سورة يوسف - الآية 46)

\*\*\*\*\*

جمع فرعون سحرته في يوم معلوم ، وألقوا حبالهم وعصيهم ،  
فَخَيَّلَ لسيدنا موسى عليه السلام أنها حيات على الأرض تسعى . ثم  
ألقى موسى عصاه فإذا هي حية عظيمة (معجزة إلهية) .

﴿تَلَقَّفْ مَا يَأْفِكُونَ﴾ . (سورة الشعراء - الآية 45)

\*\*\*\*\*

وفي قصة الطفل الذي قتله بعض أقاربه ، بعد وفاة أبيه ، بهدف  
الاستيلاء على ميراثه ، ولم يعرف القوم من قتله ، فأحدث ذلك فتنة  
كبيرة . فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن يأمر القوم بأن يذبحوا  
بقرة ، وأن يضربوا الطفل القتيل بلسانها ، فيعود إلى الحياة بإذن الله ،  
ويخبرهم بمن قتله<sup>(1)</sup> . وقد تكرر ذِكر «البقرة» في هذه القصة ، في  
القرآن ، في هذه الآيات خمس مرات . وأول الآيات هي :

(1) بقية القصة في كتب التفسير.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا  
بَقْرَةً...﴾ .

(سورة البقرة - الآية 67 : 73)

\*\*\*\*\*

تَسَوَّرَ رجلان المحراب ، ودخلا على سيِّدنا داود عليه السلام ،  
فقال الأول يشكو رفيقه :

﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ  
أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ .

(سورة «ص» - الآية 22 - 23)

وقال الآخر :

« إن لي تسعاً وتسعين نَعْجَةً وله نَعْجَةٌ واحدة ... » .

فأردتُ أن أخذها منه ليكتمل عدد نعاجي المائة . فأدرك داود  
عليه السلام مغزى القصة ، واستغفر ربه وخرَّ ساجداً لله .

\*\*\*\*\*

وتفقد نبيُّ الله سليمان الطير فلم يجد الهدد حاضراً فغضب  
لغيابه . ولكن سرعان ما عاد الهدد إليه وقال : وجدتُ في أرض سبأ

ملكة قد أُوتيت من كل شيء ، ولها عرش عظيم . وألقى سليمان إلى  
الهدهد برسالة ليبلغها ملكة سبأ حالاً ، ولينتظر الجواب :

﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا  
يَرْجِعُونَ ﴾ .

(سورة النمل - الآية 20)

\*\*\*\*\*

وسار النبيُّ سليمان عليه السلام في جيش عظيم من الإنس  
والجنِّ والطير حتى أتى على واد النمل ، فبصرت نملة بالجيش من  
بعيد ، فخافت على قومها وصاحت بهم :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ  
وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

(سورة النمل - الآية 18)

\*\*\*\*\*

وفي قصة النبي يونس عليه السلام عندما اضطرته الظروف  
ليلقي بنفسه في البحر ﴿ فَالتَّمَّهَ الْحَوْتُ وَهُوَ مَلِيمٌ ﴾ . وشعر يونس بما  
أصابه من كرب ،

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ  
مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

(سورة الأنبياء - الآية 87)

فأوحى الله إلى الحوث أن ألق به في العراء ، وأنبت عليه شجرة  
من يقطين .

\*\*\*\*\*

خرج الفتية أصحاب الكهف من مدينتهم يبحثون عن ملجأ آمن ،  
فتوجهوا إلى ذلك الكهف في الجبل ، وأثناء سيرهم سار في إثرهم  
كلب ، ولم يروا بأساً في أن يرافقهم . وجاء ذكر هذا الكلب الأمين عند  
سرد قصتهم في القرآن :

﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ...﴾ (الآية) .

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ  
كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ (الآية) .

(سورة الكهف - الآية 18 - 22)

\*\*\*\*\*

ومحاولة القائد أبرهة غزو مكة ، واستخدامه للفيلة مشهورة :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ... ﴾ (الآيات) .

(سورة الفيل - الآية 1)

\*\*\*\*\*

وهكذا يتناول القرآن الحديث عن الحيوانات بمختلف أجناسها وشعبها وأصنافها . فيشمل طيور السماء ، وحياتان البحر ، والحشرات والزواحف ، ويهتم بالصغير والضخم منها ، من النملة إلى الجمل ، ومن الذبابة إلى الفيل ، ومن البعوضة والعنكبوت إلى الناقة والبقرة ، ومن النحلة إلى الهدد ، إلى مختلف الأنعام حمولة وفرشاً .

\*\*\*\*\*

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ .

(سورة النحل - الآية 68)

\*\*\*\*\*

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .

(سورة العنكبوت - الآية 41)

\*\*\*\*\*

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمَعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجتمعوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبهم الذُّبَابُ شَيْئًا لَأَسْتَقْدوه مِنْه ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴾ .

(سورة الحج - الآية 73)

\*\*\*\*\*

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا... ﴾ .

(سورة البقرة - الآية 26)

\*\*\*\*\*

﴿ ... فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ .

(سورة الأعراف - الآية 133)

\*\*\*\*\*

﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

(سورة الجاثية - الآية 4)

\*\*\*\*\*



﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ .

(سورة النمل - الآية 82)

\*\*\*\*\*

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ .

(سورة العنكبوت - الآية 60)

\*\*\*\*\*

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

(سورة النور - الآية 45)

\*\*\*\*\*

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

(سورة النحل - الآية 8)

\*\*\*\*\*

﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا  
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (١٤٢) ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ  
اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ  
عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٤٣) وَمِنَ الْإِبِلِ  
اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ  
أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ .

(سورة الأنعام - الآية 142 - 146)

\* \* \* \* \*

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ .

(سورة الغاشية - الآية 17)

\* \* \* \* \*

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ  
السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ  
نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ .

(سورة الأعراف - الآية 40)

\* \* \* \* \*

﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ  
إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ .

(سورة الملك - الآية 19)

\*\*\*\*\*

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ  
يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ .

(سورة الجمعة - الآية 5)

\*\*\*\*\*

ويكرم الرب سبحانه الحيوانات فيجعلها أمما أمثال البشر :

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ  
أَمْثَالُكُمْ﴾ .

(سورة الأنعام - الآية 38)

صدق الله العظيم

\*\*\*\*\*

## الحيوانات والبيئة



تشمل البيئة عناصر متنوعة منها مملكة النباتات، ومملكة الحيوانات، ومملكة الإنسان، والماء، والهواء، والتراب، والبحار، والغابات، والأنهار، والصحاري، والأمطار، والثلوج، والرياح، والمناخ، ومصادر الطاقة والغذاء؛ ويهتم علم البيئة بدراسة التفاعلات والتأثيرات المتبادلة بين جميع هذه العناصر .

وتشكل البيئة سلسلة من المراحل تستهلك أثناءها الكائنات الحية نوعاً ما من الغذاء (الطاقة) من الشمس، والماء، والهواء، والتراب .. وتتغذى حيوانات متنوعة، مثل الغنم، والبقر، والغزلان، والأرانب وغيرها على الأعشاب؛ وتصبح هذه الحيوانات بدورها غذاء للإنسان، كما تتغذى الحيوانات المفترسة على ما تصطاده في بيئتها، وتستفيد التربة من فضلات الحيوانات آكلة الأعشاب؛ وهكذا تتواصل سلسلة التجدد والتكاثر بين الكائنات .

والحيوانات تساعد على بناء الحياة، ولتقوم بدورها الهام هذا، تحتاج إلى طاقة، ولتحصل عليها تضطر لتدمير الحياة، سواء عن طريق الصيد أو أكل الأعشاب. وهي تبني الحياة لأنها تشكل غذاء مفيداً للإنسان إذ تمده بأغذية متنوعة مثل اللحوم ، والبيض، والألبان، وبمنتجات أخرى مهمة مثل الصوف، والوبر، والجلود، والحرير...

كما تعتبر الحيوانات عاملاً أساسياً في المحافظة على التوازن الطبيعي، وتساعد بدورها على نمو النباتات وتكاثرها، بما تنقله من بذور ومواد اللقاح من نبات إلى آخر، وكذلك بما تنشر من فضلاتها.

وقد ظل الإنسان منذ القدم يعتقد بأن عليه أن يسيطر على مملكة الحيوانات، أو جزء منها، ليحسن ظروف حياته، فعمل على تدجين أنواع منها، ودرّبها على خدمته ومساعدته على كسب قوته، وتخفيف أعبائه . وتقص علينا الحكايات مدى استغلال الإنسان لحيوانات مثل الحصان، والجمال، والثور، والفيل، والكلب، والنحل.. ومدى ما قدمت هذه الحيوانات من خدمات في المزارع، والحقول، والصيد، وحتى في ميادين الحروب، وساعات التسلية. أجل ألا يتسلى الكبار والصغار بوجود البلابل، والبيغاء، والكلاب؟ والواقع أن الإنسان لم يقصر في رعايتها والعناية بتكاثرها.

ولمزيد من الفائدة أورد فيما يلي بعض المعلومات عن عدد من الحيوانات . إن منها الضخم، كبير الأذنين ، مثل الفيل ؛ وواسع العينين مثل الحصان ، والنعام، والغزال؛ وتشتهر الحرياء بطول لسانها بالنسبة لجسمها، وبقدرتها على تغيير لونها لتتسجم مع محيطها؛ ويعتبر حوت العنبر الأزرق أضخم الحيوانات حجماً ، إذ يبلغ طوله أكثر من طول خمسة أفيال في صف واحد . ومن الحيوانات ما يقضي جزءاً من حياته في الماء ، وجزءاً على البرّ مثل الضفادع ، والسلاحف البرية، والعلاجيم، وبعض أنواع السرطانات .

وتعتبر القردة أقرب الحيوانات شبيهاً بالإنسان ، لأن هيكلها

العظمي يشبه هيكل الإنسان، ولها إصبع الإبهام الذي يقابل الأصابع الأخرى ويلمسها فيسهل عليها أن تمسك الأشياء بسهولة، وأن تتسلق الأشجار .

ويسود الاعتقاد بأن النعامة تدفن رأسها في التراب عندما تواجه الخطر، والواقع أنها عندما تشاهد الخطر تمتد على الأرض، وتمدّ عنقها أمامها، وتلزم الهدوء والحذر، فإذا شعرت بأن الخطر يقترب تفرّ، كما تفعل معظم الحيوانات.

ويعتقد كثير من الناس أن اللون الأحمر<sup>(\*)</sup> خاصة عندما يشاهد مصارع الثيران يحمل قطعة قماش أحمر، ويضع على رأسه قبعة حمراء، ولكن الحقيقة هي أن الثيران لا تميز بين الألوان، وما يهيج الثور ويدفعه للهجوم هو ما يظهره المصارع من حركات التحدي؛ ولو حرك أمامه قطعة قماش أبيض لحصل على نفس النتيجة .

هل موسيقى أنغام الناي حقاً تسحر الأفعى ؟ الواقع أن الأفعى لا تستجيب لأنغام «ساحرها» ، لأنها صماء . ولكن الأفعى حساسة جداً لما يحدث حولها من ذبذبات ؛ وعازف الناي يطلق أنغامه وهو يضرب الأرض برجله ، كأنه ينسجم مع موسيقاه ، فترفع الأفعى رأسها خارج القفة ؛ ثم يحرك الساحر جسمه يميناً وشمالاً، فتتبع الأفعى حركاته فتظهر لنا كأنها ترقص لأنغامه، والواقع أن هدف حركتها هو أن تجعل جسم صاحبها دائماً أمام عينيها .

(\*) هو الذي يهيج الثيران ، ...

وهل للفيل ذاكرة قوية حقاً ؟ ربما، ولكنه لا يتذكر كل شيء، وإلا لما غفر لمدرّبه أن يعامله بخشونة. وهل الفيل يخاف من الفأر ؟ كلا!  
هل الخفاش يمشي؟ كلا ! لأنّ رجليه لا تساعدانه على ذلك .  
وهو يعتمد على جناحيه في جميع تحركاته . وبما أن الوقوف لا يريحه، فهو عندما يعود إلى مغارته يعلق جسمه ورأسه نحو الأسفل.  
ذكر البعوض يتغذى برحيق النباتات، أما الأنثى فتفضل الدم؛  
وهي تغرز إبرتين في جلد الإنسان، إحداها تفرغ بها مادة تمنع الدم  
من التخثر، والأخرى تمتصّ بها الدم.

\* \* \* \* \*

## الحكايات على السنة الحيوانات



تعتبر الأساطير والحكايات الشعبية، شفوية كانت أو مكتوبة، منبعاً لا ينضب لخيال الإنسان. فهو يستغل جميع مكونات البيئة والطبيعة، في الأرض والسماء، والبحار، والغابات، والجبال والأنهار، والسحاب، والرياح... والحيوانات بجميع أجناسها، أقول يستغلها لإشباع خياله، والتعبير عن أفكاره، ومشاعره، ورغباته.

والإنسان يُلبس هذه الظواهر البيئية والمخلوقات الحية، هيئة الأشخاص، وينسب إليها تصرفات آدمية، ويجعلها تتطرق بلسانه، ويجعل سلوكها رمزاً إلى أخلاق البشر وأفعالهم الإيجابية والسلبية. ويطلق على لسانها عبارات الموعظة، والحكمة، والنصائح؛ والهدف من ذلك تقديم دروس أخلاقية، وتصحيح أخطاء الناس، وتشقيفهم، وتسليتهم أحياناً.

تمتد حكايات الحيوانات التي تتطرق بلسان الإنسان إلى عهود قديمة. يبدو أنها ظهرت في البداية في بلاد الهند الواسعة، حيث كانت توجد مجتمعات تؤمن بفكرة «تناسخ الأرواح (التقمص)». ومما يرجح ظهور حكايات الحيوانات في بلاد الشرق أولاً، أن بعض الكتب القديمة في تلك البلاد استخدمت الحكايات لنشر وتطوير الأفكار العقائدية والأخلاقية، ومنها انتقال الأرواح (بعد الوفاة) من البشر إلى مخلوقات حية، بشرية أو حيوانية، وهي فكرة التناسخ.



ويبدو أنه كانت آنتذ توجد تأثيرات ثقافية متبادلة بين المجتمعات الهندية ومجتمعات البحر المتوسط، فظهرت حكايات الحيوانات الناطقة بلسان الإنسان في بلاد اليونان باسم شخص يدعى أيسوب AEsop الذي يعود تاريخه إلى القرن السادس قبل الميلاد . ويروي المؤرخ هيرودوتس أنه عاش في جزيرة ساموس ، وأنه كان خادماً لأحد الأثرياء . ويرى البعض أنه شخصية أسطورية .

وقد ألف أيسوب نحو مائتي حكاية، ثم تبعه في هذا الميدان كتاب آخرون جمعوا حكاياته، وربما أضافوا إليها وطوروها، وترجموها إلى لغات أخرى، منها اللغة اللاتينية. وسيأتي الحديث عن أيسوب وحكاياته في الجزء الخاص به .

ومن الأدباء الذين كتبوا عن حكايات الحيوانات أديب روماني يدعى فيدروس PHAEDRUS ، كانت حكاياته منتشرة في أوروبا أثناء القرون الوسطى؛ وظلّ البعض يعتبرها من إنتاج أيسوب اليوناني، والواقع أن فيدروس قلّد أيسوب في كثير من حكاياته . وتقدم لنا حكايات فيدروس مشاهد عن عادات سكان روما في عهد الإمبراطور أغسطس، وينتقد الكاتب في حكاياته المساوية الاجتماعية والسياسية. ومن حكاياته:

- الثعلب وعناقيد العنب.

- الذئب والحمل.

- حصاة الأسد.

- الجوهرة في كومة الفضلات.

- الضفادع تطلب ملكاً جديداً.

ومن أشهر المؤلفات في موضوع الحكايات التي تُروى على لسان الحيوانات عمل جماعي اشتهر تحت عنوان *Le Roman de Renard* شارك في إعداده مجموعة من الأشخاص، بين القرنين الثاني والثالث عشر، ويقص أعمال الثعلب الماكر الذي استطاع أن يخدع عدداً من الحيوانات مثل الذئب، والقط، والدب، ويهدف إلى انتقاد العادات الاجتماعية. وبعض هذه الحكايات تنتقد أصحاب البطون الكبيرة، والقساوسة، والنساء، لما يتمتع به هؤلاء من سلطان؛ وتلجأ هذه الحكايات أحياناً إلى لغة الحانات والمواخير.

وقد استعمل دانتي، صاحب «الكوميديا الإلهية» عدداً من الحيوانات ليرمز بها إلى بعض المشاعر والعيوب والفضائل لدى الإنسان. ونجد ماكيافيلي، وهو يقدم النصائح إلى الأمير، يوصيه بأن يتبنى دور الثعلب لما فيه من مكر ومراوغة، وصفات الأسد لما فيه من هيبة وشجاعة.

وفي القرن السابع عشر ازدادت أهمية هذه الحكايات، فزاد انتشارها، وأصبحت حكايات أيسوب وفيدروس تدرس في المدارس لتعليم الطلبة القيم الأخلاقية؛ ومن هنا انطلقت شهرة الشاعر لافونتان، وانتشرت حكاياته.

عاش لافونتان في عهد الملك لويس الرابع عشر، وارتبط ببلاطه.

— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —

وقد تبع هذا الشاعر نموذج أيسوب، ولكنه توسع في الموضوعات فتناول حياة البلاط، والأمراء، والبرجوازية.

ألف لافونتان 238 حكاية، أصدرها بين سنتي 1668-1694 . واشتهر بشاعر العزلة، وشاعر الصداقة، وشاعر الحياة الاجتماعية في جميع أشكالها . وكان في أعماله ينتقد ما في العالم من أنانية، وعدوانية، ووحشية، ومن استغلال الأقياء للضعفاء . وكان من أهم موضوعاته تصوير ما يتصف به الإنسان من غرور، واحتيال، وطموح جامح.

ومن هذا يتضح أن لافونتان، وغيره ممن كتبوا هذه الحكايات، لم يكن هدفهم تسلية الأطفال فحسب، بل كانت رسالتهم تثقيف الناس، وإصلاح ما ينتشر بين الناس من مساوي الأخلاق.

ونلاحظ أن انتقادات لافونتان لا توجه فقط إلى الأمراء ورجال البلاط، بل تشمل كذلك النساء، ورجال الكنيسة، والقضاة، والأطباء، والأثرياء، ورجال السلطة . وكان الشاعر نفسه يفرق بين مضمون حكاياته، ويسميه «الروح» ، وبين شكل حكاياته الأدبي، ويسميه «الجسد» . وسيأتي الحديث عن لافونتان في الجزء الخاص به .

\* \* \* \* \*

## القسم الأول



- الحكيم اليوناني إيسوب

- نخبة من حكاياته

## إيسوب : الحكيم اليوناني



كثيراً ما يطرح السؤال : هل إيسوب (إيزوب) شخصية حقيقية؟ هل وجد بالفعل؟ هل هو مجرد شخصية أسطورية نسج الخيال حولها وقائع كثيرة؟ وهل هو الذي كتب الحكايات الخرافية التي تنسب إليه؟

تأتينا أخبار مقتضبة عن إيسوب عن طريق المؤرخ اليوناني الشهير هيرودوت الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد. يُروى أن إيسوب ولد عام 620 ق.م. في قرية تدعى أموريوم في منطقة أفريجيا. وقيل أنه ولد أثناء الدورة السابعة والخمسين للألعاب الأولمبية، أي نحو سنة 550 ق.م.

ويروى أنه كان مشوه الملامح قبيح المنظر، غير أن الطبيعة منحته قلباً ذكياً، وروحاً طيبة، وفكراً صافياً هادئاً. وأن سيده الأول الذي اشتراه حرص على إرساله مباشرة إلى المزرعة ليفلح الأرض، لكي لا يتركه في المنزل وسط أفراد الأسرة فتتفر منه النساء والأطفال بسبب ملامح وجهه المشوهة.

هذا بعض ما يحكى عن بداية حياة هذا الرجل الطيب الذكي، الذي أصبح يعلم الحكمة أفضل مما يعلمها الوعاظ والمرشدون، لأنه كان يعلمها بطريقة فنية، سهلة وواضحة من دون أن يضع لها تعاريف وقواعد، كما يفعل معظم الكتاب والفلاسفة.

وقد كتب الأديب اليوناني بلانيد PLANUDE (1260 - 1310) موضوعاً عن حياة إيسوب بأسلوب رومانسي؛ وأخذ عنه الشاعر الفرنسي لافونتان ذلك الموضوع؛ وقد اقتبستُ بدوري فقرات مما سجله لافونتان عن حياة إيسوب.

ومما يروى عن حياة هذا الرجل الحكيم ، إيسوب، بأنه ذات يوم قدّم فلاح كمية من التين الطازج إلى سيده، صاحب المزرعة، وأوصى هذا الأخير أحد خدمه بأن يحتفظ بالتين، وأن يقدمه له أثناء وجبة الغذاء.

غير أن هذا الخادم اتفق مع رفاقه أن يأكلوا التين، ويتهموا إيسوب بالعملية. وقرر السيد، رب المنزل، بأن يُنزل أشد العقاب بإيسوب. وتوسل هذا الأخير إلى سيده بأن يمهلّه بعض الوقت. ثم جاء بقدر من الماء الدافئ، وشرب منه ما استطاع أمام سيده والحاضرين، ثم وضع أصابعه في فمه وأفرغ ما في بطنه، فلم يكن فيه أي أثر للتين.

وطلب السيد من الخدم أن يفعلوا ما فعل إيسوب، فخرجت آثار التين من بطونهم تكذب اتهامهم لإيسوب. وبتلك الحيلة الذكية أنقذ نفسه من العقاب، وأنزل رب البيت العقاب بالمعتدين .

ويروى أن السيد كان مسافراً، ذات يوم، مع ثلاثة من عبيده أحدهم إيسوب. وطلب من كل واحد منهم أن يحمل جزءاً من المتاع. فسأل إيسوب رفيقيه أن يشفقا عليه في حمل المتاع، فتركا له الخيار، فحمل قفة الطعام، فسخرّا منه لأنها الأثقل بالنسبة لبقية البضاعة. غير أنه بعد مسيرة يوم، ثم يوم آخر، أصبح إيسوب لا يحمل شيئاً، بعد أن أكلوا الطعام؛ فاعترف مولاه بذلكائه.

وفي السوق، اشتراه فيلسوف يدعى XANTUS، وهو يقول: على الأقل لأخوف به الأطفال عندما يتنازعون . غير أن زوجة الفيلسوف وخادماتها نفرن من إيسوب لوحشية ملامحه .

وذات يوم ذهب الفيلسوف إلى بستان لشراء بعض الخضر، وطلب منه البستاني أن يشرح له فكرة أن النباتات التي تتبثها الأرض تلقائياً تنمو بقوة أكبر من تلك التي يزرعها الإنسان ويتعب لرعايتها . فأجابه الفيلسوف: إنها رعاية الله يا بني . غير أن أيسوب أخذ سيده جانباً وقال له:

سيدي، قل للبستاني بأنك تترك لخادمك أن يشرح لك تفاصيل سؤاله لأنه أمر بسيط . ففعل السيد ذلك وتحنى جانباً . فقال إيسوب للبستاني:

«إن الأرض تشبه امرأة، لها أولاد من زواج سابق؛ ثم تزوجت برجل آخر له أولاد من زواج سابق، فإن هذه الزوجة تقلل من إطعام أولاد الزوجة الأولى لفائدة أولادها . وكذلك الأرض فإنها ترعى ما تتبته بنفسها أكثر مما يزرعه الزارعون.» فابتهج البستاني بشرح إيسوب، وقدم له هدية من بستانه .

وذات يوم استضاف السيد عدداً من أصدقائه، وطلب من خادمه إيسوب أن ينتقي من السوق أفضل أصناف الطعام لضيوفه . اشترى إيسوب كمية من السنة الحيوانات، وطلب إعدادها بشتى أنواع الصلصات والمرق . ثم قدم للضيوف الطبق الأول بالأسنة، والطبق الثاني بالأسنة، والثالث كذلك .

سأله سيده: ألم أمرك أن تشتري أحسن ما في السوق؟ فقال إيسوب:

«أَيّ طعام أفضل من اللسان، يا سيدي؟ إنه منبع الحياة المدنية، ومفتاح العلوم، والعضو الناطق بالحقيقة، والمعبر عن العقل. فباللسان تشاد المدن، وتساس الشعوب؛ وبه نعلم الناس، ونقنع الخصوم، وننظم الاجتماعات، وبه نشكر الآلهة على نعمها».

قال له سيده: إذا غدا اشتر لنا طعاماً يكون من أسوأ الأطعمة، أريد أن أقدم لضيوفي طعاماً يسرهم. وفي الغد أعد لهم إيسوب أطعمة متنوعة، ولكن جميعها من ألسنة الحيوانات كسابقتهما. ثم وجه كلامه للحاضرين قائلاً:

«اعذروني أيها السادة، لقد جلت في السوق فلم أجد طعاماً أسوأ من اللسان، إنه سبب المجادلات، والنزاعات، والقضايا التي ترفع إلى المحاكم، وهو منبع الوشائيات، والعداوة، ومصدر الأخطار والحروب».

وتكلم أحد الضيوف فقال لرب البيت: إن لخادمك هذا من الصبر، وصواب التفكير، وحسن التدبير ما ليس لغيره.

وكان إيسوب يتجول ذات يوم مع سيده بين آثار قديمة، ولاحظ السيد كتابة لم يستطع تفسيرها. فقال له إيسوب: ما يكون جزائي إذا فسرت لك معنى هذه الحروف، وكشفت لك عن كنز خفي؟ فقال له سيده: أعطيك حريتك ونصف الكنز.

فقال إيسوب: الحروف ترمز إلى أنه على بعد أربع خطوات من هذا العمود يوجد كنز. وتم الحفر، واكتشف الكنز. فقال إيسوب:



- هل أنا حرّ الآن يا سيدي؟

- كلا ، كلا! إنك عندي أغلى من هذا الكنز!

- بوسعي أن أبلغ عنك الملك.. لأن الكتابة تشير إلى ذلك، يا سيدي!

وبمجرد أن وصلا إلى المنزل أمر السيد بأن يسجن إيسوب، حتى لا يبلغ صاحب الكنز.

ومما يروى عن إيسوب أنه زار مصر. وأن الملك أعدّ عشاء فاخراً، ودعا إليه إيسوب وعدداً من علماء مصر. وأثناء السهرة طرحوا على الضيف أسئلة محرّجة منها:

«يوجد معبد عظيم مشيد على عمود ضخّم، تحوط به 12 مدينة، ولكل مدينة 30 قوساً، وحول هذه الأقواس تطوف امرأتان، إحداهما شقراء، والأخرى سوداء» فما تفسيرك لذلك؟

فأجاب إيسوب: كان الأولى أن توجهوا هذا اللغز إلى الأطفال. فالمعبد هو العالم؛ والعمود هو السنة؛ والمدن هي الشهور؛ والأقواس هي الأيام؛ والمرأة الشقراء هي النهار؛ والسوداء هي الليل.

ويروى أن إيسوب زار مدناً عديدة منها مصر كما سبق، وبابل، وأنه عاش في بلاط الملك الشهير كريسوس، الذي أرسله كمبعوث له إلى عدد من المدن اليونانية، وحملّه هدايا ثمينة إلى معبد أبولو في مدينة دالنيا باليونان.

ويروى أن سكان المدينة لم يقدرُوا وجوده بينهم، فقال لهم أنتم

مثل العصي التي تسبح فوق أمواج البحر، يظن المشاهد عندما يراها من بعيد أنها شيء مهم، وعندما يقترب منها لا يجد فيها خيراً. ويقال أنه اكتشف بعض التدليس والاحتيال بين خدام معبد أبولو؛ فحقدوا عليه وقرروا أن ينتقموا منه. وقبل رحيله وضعوا في أثاثه إناء ذهبياً مقدساً مخصصاً للآلهة، ثم تتبعوا خطاه، وفتشوا أثاثه فوجدوا الإناء، فاعتبروه مجرماً، وحكموا عليه بالموت. وحاول الدفاع عن نفسه بما أوتي من حسن الكلام، فلم يُجد ذلك. ومما قال لهم :

«التقت ضفدعة، ذات يوم، بفأر قرب مستنقع، فدعته لزيارتها في بيتها عبر النهر، لتكرمه وتحسن ضيافته. فقال لها:

- ولكنني لا أحسن السباحة يا رفيقي.

- لا عليك سأحملك على ظهري، وأربطك إلى ساقي. وأؤكد لك أنك تستمتع برحلتك عبر النهر.

وما إن وصلا إلى وسط النهر حيث العمق كبير، أظهرت الضفدعة نية الغدر، وأخذت تغطس نحو الأعماق لتغرق الفأر المسكين الذي بدأ يتخبط بشدة، وهو مربوط إلى ساقها. وشاهد أحد الطيور الجارحة المعركة فوق النهر، فانقض بقوة ليخطف الفأر، وخطف معه الضفدعة الغادرة التي كانت مربوطة بالفأر». وأضاف إيسوب الحكيم:

«هكذا سيكون مصيركم يا أهل دالفا، لأنكم غدرتم بضيفكم، وعزمتم على قتلي؛ وسينتقم منكم من هو أقوى منكم».

نخبۃ  
من  
حکایات ایسوب



## العقاب والثعلب

قرّر عقاب وثعلب أن يتصالحا ويتعايشا على أمل أن يدعم الجوار الصداقة بينهما. فبنى العقاب عشه في أعلى شجرة لتربية فراخه؛ واختار الثعلب مسكناً له وسط شجيرات في ظل تلك الشجرة.

ذات يوم خرج الثعلب باحثاً عن قوته، وشعر العقاب بجوع شديد، فهجم على صغار الثعلب وافترسها. عاد الثعلب إلى مسكنه، وشاهد ما حلّ بصغارهم، فغضب غضباً شديداً، وراح يفكر في وسيلة للانتقام من العقاب. وكيف يمكنه ذلك وهو على الأرض والعقاب في السماء؟

وحدث ذات يوم، في قرية مجاورة، أن أشعل السكان ناراً في الهيكل ليرموا فيها عنزة تقرباً للآلهة؛ فهجم العقاب على المذبح، وخطف قطعة لحم ما زالت مشتعلة، وطار بها إلى عشه. وهبت ريح قوية فأشعلت النار في العش، وسقطت فراخ العقاب الصغيرة على الأرض، فأسرع الثعلب إليها يلتمسها واحداً تلو الآخر؛ والعقاب في أعلى الشجرة محتاراً، نادماً على ما فعل بصغار الثعلب.

ومغزى الحكاية هو أن من يخون الصداقة قد يسلم من انتقام ضحيته، ولكن لا يسلم من انتقام السماء.

\*\*\*\*\*

## العقاب والجعل<sup>(1)</sup>

كان عقاب يلاحق أرنبًا، ولم يجد الأرنب المسكين منفذًا ولا منقذًا. ولكنه لقي جعلًا، فتضرع الجعل للعقاب أن يرحم الأرنب لأنه تحت حمايته. غير أن العقاب احتقر الحشرة الصغيرة، وهجم على الأرنب.

لم يغفر الجعل للعقاب فعلته، فاتخذ مكانًا له بالقرب من عش العقاب، وكلما شاهد بيضة في العش دفعها خارجه ليتلفها.

اشتد غضب العقاب فلجأ إلى زيوس<sup>(2)</sup> يرجوه أن يدلّه على مكان آمن يحفظ فيه بيضه؛ فسمح له زيوس بأن يضع بيضه في رداءه.

ولكن الجعل لم يستسلم، فبدأ يصنع كرات من روث البقر، ويرميها على رداء الإله. ونهض زيوس ليطرح الروث عن رداءه، فسقط البيض جميعه من حضنه. وفي ذلك ما يستحق العقاب من عقاب.

ومغزى الأسطورة هو أنه لا ينبغي للمرء أن يحتقر أي مخلوق مهما كان صغيرًا.

\* \* \* \* \*

(1) الجعل : نوع من الخنافس.

(2) زيوس (ZEUS) : كبير الآلهة في الأساطير اليونانية، ويدعى جوبيتر عند الرومان.

## العندليب والصقر

بينما كان عندليب يصدح مرحاً على غصن شجرة، شاهده صقر جائع فهجم عليه. وتوسل إليه العندليب ليعفو عنه قائلاً : إنه صغير لا يملأ بطنه . فأجابه الصقر :

- لست غيباً لأترك صيداً بين يديّ ، وأفتش عن صيد آخر لا أراه أمامي .

والحكمة من هذه الحكاية هي: لا تترك ما في يدك، في انتظار ما قد يأتي به الغد.

\*\*\*\*\*

## الغراب والثعلب

بينما كان الأستاذ الغراب على غصن شجرة، يمسك في فمه قطعة جبن، رآه ثعلب وشم رائحة الجبن، فاقترب منه وناداه قائلاً:

إن مظهرك لجميل أيها الغراب، وإذا كان صوتك يشبه جمال ريشك، فأنت جدير بأن تكون ملك الطيور. وقرر الغراب أن يثبت للثعلب جمال صوته، وفتح فمه، فسقطت قطعة الجبن.

التهمها الثعلب وقال للغراب:

- أيها الطائر الجميل: ينقصك شيء من الذكاء لتكون ملك الطيور.

## الذئب والخروف

بينما كان خروف يروي ظمأه على شاطئ جدول، شاهده ذئب،  
فاقترب وقال:

- إنك تعكّر صفو الماء الذي أشرب منه.

- كيف يكون ذلك يا سيدي، والجدول ينحدر من جهتك العليا  
إلى هذه الناحية؟

- اعلم أيها الخروف أنك شتمتَ والدي في السنة الماضية.

- كيف أفعل ذلك؟ وأنا لم أولد إلا هذه السنة!

- مهما ذكرتَ من أعذار، فقد قررتُ أن أفترسك.

\* \* \* \* \*

## ابن عرس والديك

اصطاد ابن عرس ديكاً، وقبل أن يفترسه أراد أن يقدم له سبباً  
مقنعاً، فقال له:

- إنك أيها الديك تزعج الناس ليلاً، وتحرمهم من النوم.

- إنما أفعل ذلك لمصلحتهم، لينهضوا مبكرين لأعمالهم.

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

- ثم إنك تخالف قوانين الطبيعة، فتعاشر أمك، وأخواتك...
- إن هدفي من ذلك هو خدمة أسيادي، فمعاشرتي لأفراد أسرتي تجعل الدجاجات تلد كثيراً من البيض.
- إسمع أيها الديك، مهما قدمت لي من أعذار، فإنني لا أستطيع أن أبقى جائعاً، وأنت في قبضتي. وهجم عليه، وافترسه.
- ومغزى الحكاية هو أن الأشرار بطبيعتهم يظلمون، ويعتدون، ويفسدون في الأرض، ومبدأهم: «الغاية تبرر الوسيلة».

\* \* \* \* \*

## صياد السمك، عازف الناي

—————

حمل عازف الناي شبكته ونايه وذهب إلى شاطئ البحر، فوضع شبكته قريباً من الماء، وجلس على صخرة، وأخذ يعزف ظاناً أن عزفه سيجذب السمك إلى شبكته. ولكن بعد مدة لم تدخل سمكة واحدة الشبكة.

فوضع المزممار جانباً، ورمى شبكته في المكان المناسب، فاصطاد سمكاً كثيراً. ولاحظ أن السمكات تتراقص وهي خارج الماء، فقال: أيتها المخلوقات الشقية، لماذا ترقصين الآن، ولم تفعلي ذلك عندما كنت أعزف لك على الناي؟!

وفي هذه الحكاية توعية لمن يضعون الأشياء في غير محلها.

\* \* \* \* \*



## الثعلب الذي بُتر ذيله

وقع ثعلب في مصيدة فُقطع ذيله، وأصبح يشعر بالخجل أمام رفاقه. وليخفف من آثار عاهته هذه راح يفكر كيف يغري عدداً من الثعالب بقطع ذيولها. فجمع عدداً منها وخطب قائلاً:

إن للأذنان منظرًا قبيحًا، وهي تعرقل حركاتنا عندما نركض وراء صيدنا... ولذلك أنصحكم أن تتخلصوا من أذنانكم، إنها ثقيلة وشنيعة المنظر. فقام ثعلب من الحاضرين وقال له :

- أيها الرفيق لو لم يكن لك عذر أو مصلحة في قطع ذيلك لما أتعبت نفسك بهذا الخطاب!

ومغزى الحكاية هو أن كثيراً ممن يتكلمون بتقديم النصائح يكون هدفهم خدمة مصالحهم.

\*\*\*\*\*

## الرجل بين زوجتين

كان لرجل عشيقتان، إحداهما فتاة في سن الشباب، والأخرى تجاوزت الأربعين.

كانت الأولى تخجل أن يقال لها عشيقك أشيب، فراحت كل يوم تنزع ما يكسو رأسه من شعر أبيض؛ وكانت العشيقة العجوز تخجل أن

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

يقال لها عشيقك أصغر منك سنًا، فتنزع ما يعلو رأسه من شعر أسود. وفي نهاية المطاف وجد الرجل رأسه أصلع. وذلك مصير من لا يحسن اختيار ما يناسبه.

\* \* \* \* \*

## كلب الصيد

كان كلب صيد يعيش وسط أسرة ثرية وفرت له جميع ما يحتاج إليه من أنواع الغذاء، وكانت تدريبه لمصارعة الحيوانات الوحشية، وتغامر به فتدفعه للمشاركة في معارك ضارية.

وذات يوم وجد نفسه يواجه وحوشًا قوية، فشعر بالخطر، ومزق قلالته، وفرّ يتجول في الطرقات. وشاهد بعض الكلاب هذا الكلب الضخم، فقالوا له :

- لماذا هربت من منزل أسيادك؟

- لقد عشتُ بينهم في رخاء وسط وفرة الطعام.. ولكن كنت أواجه الموت في مصارعة الدببة والأسود.

- أما نحن كلابُ الشارع، فعلى الرغم من الفقر، نشعر بالأمن والسعادة والحرية، لا نصارع دببة ولا أسودًا .

ومغزى الحكاية هو أنه لا ينبغي للمرء أن يبالغ في طموحه، ويركب الأخطار من أجل بلوغ الشهرة.

\* \* \* \* \*

## فأر المدينة وفأر البراري

هذه حكاية فأر يسكن المدينة، كان له صديق يسكن البراري. فاستضاف فأر الخلاء صديقه، وأعدّ عشاء ليس فيه سوى قليل من الحبوب وبعض الأعشاب. فقال له فأر المدينة:

- إنك يا صديقي تعيش في هذا المكان عيشة النملة، أدعوك لزيارتي، وسترى من الطعام ما لذّ طعمه، وطاب أكله.

وجاء فأر البراري لزيارة صديقه ساكن المدينة، وأعدّ هذا الأخير لضيفه عشاء فاخراً فيه الجبن، والتين، والقمح، وبعض الفواكه الطازجة. وابتهج الضيف بما شاهد، وتأسف على ما يلقاه من شظف العيش في البادية.

وما أن باشر الفاران تناول العشاء حتى فُتح باب الغرفة، فأسرعا للاختفاء في مخبأ آمن. وبعد قليل قررا العودة إلى الطعام. غير أن زائراً آخر أزعجهما، فهرعا إلى المخبأ، وأوصالهما ترتعش من الخوف. وفي اليوم التالي تكرر إزعاج السكان للفأرين أثناء فترة العشاء.

قال فأر البادية لصديقه :

أرى أن لديك أنواع الطعام اللذيذة، غير أنك لا تتمتع بها لما يحوط بك من خطر محقق. أما أنا فطعامي متواضع، ولكنني أتمتع بتناوله في جوّ من الهدوء وراحة البال.

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

والحكمة وراء هذه الأسطورة هي أن عيشة في جوّ من الهناء  
والطمأنينة أفضل بكثير من حياة الترف التي تحوط بها المخاوف  
والأخطار.

\* \* \* \* \*

### الكلب والثعلب والديك

اتفق كلب وديك أن يسافرا معاً؛ وعندما حل المساء صعد الديك  
إلى شجرة ونام؛ ونام الكلب قريباً من الشجرة. وحل وقت الفجر،  
فصاح الديك مؤذناً كعادته؛ فسمعه ثعلب وركض نحوه فوقف بالقرب  
من الشجرة وناداه:

- أيها الديك، إنزل إليّ! إنني أودّ من كل قلبي أن أعانقك  
وأهنتك على صوتك الجميل. فأجابه الديك :

- أيقظ أولاً كلب الحراسة الذي ينام بالقرب من الشجرة،  
وسأنزل إليك عندما يستيقظ.

وما أن تقدم الثعلب نحو الكلب حتى هجم الكلب عليه وافترسه.

ومغزى القصة هو أنه على العاقل أن يفكر كيف يتخلص من  
عدوه بأن يسلط عليه من هو أقوى منه .

\* \* \* \* \*

## الأسد، الدب والثعلب

عثر أسد ودبّ على ظبي، فرغب كل منهما أن يفترسه، واقتتلا حتى وقعا على الأرض منهكين من التعب.

وحدث أن مرّ بالقرب منهما ثعلب، ولا حظ أنهما في حالة سيئة من الإرهاق، والظبي مستلق بينهما، فاستولى عليه. وسمع الثعلب الأسد والدب يتمتمان: يا للحماقة والشقاوة، لقد اقتتلنا لينعم الثعلب بصيدنا!

ومغزى الحكاية: الشقي الأحمق من يتعب من أجل الحصول على غنيمة، ثم يتركها ليتمتع بها غيره.

\*\*\*\*\*

## القطّة التي تحوّلت إلى فتاة

أحبت قطّة فتى وسيماً فطلبت من أفروديت (إلهة الجمال والحب عند اليونان<sup>(1)</sup>) أن تحولها إلى فتاة جميلة. أشفقت أفروديت عليها. وحولتها إلى فتاة جميلة. ولقيها الشاب فأحبها وصحبها إلى منزله.

وبينما كان العاشقان جالسين، أرادت الإلهة أفروديت أن تختبر ما إذا كان تغيير القطّة إلى امرأة جميلة يغيّر سلوكها، فألقت بفأر في

(1) APHRODITE ، وهي VENUS عند الرومان (أساطير) .

————— الحكم والمواعظ على أسنة الحيوانات —————

الغرفة، وسرعان ما نسيت الفتاة (القطعة) حياتها الجديدة، وتغلبت عليها غريزتها الأولى فهجمت على الفأر لتفترسه؛ فاغتاضت أفروديت، وأعدت الفتاة إلى حالتها الأولى، قطعة كما كانت.

والموعظة هنا هي أن الطبع يغلب التطبع، والإنسان عدوانيٌّ أنانيٌّ، ونادرًا ما يتحول الشرير إلى قديس.

\* \* \* \* \*

## الخطاب والموت

كان خطاب يحمل حزمة من الحطب متجهًا إلى منزله، واشتد تعبته في الطريق، فجلس ليستريح، وتنهَّد قائلاً: الموت راحة، ولكن أين هو؟ وسرعان ما مثل الموت أمامه وقال له:

- ها أنا ذا ، هل أنت مستعد للرحيل ؟

- كلا ! كلا! يا سيدي، إنما دعوتك لتساعدني على حمل حزمة الحطب إلى منزلي.

والخلاصة أن الإنسان يتعلق بالحياة حتى وإن كانت متعبة.

\* \* \* \* \*

## الكلب والذئب

بينما كان كلب ضعيف مرهق نائمًا في زاوية من بستان صاحبه فاجأه ذئب وأراد أن يفترسه، فقال له الكلب:

ألا ترى أنني مريض، هزيل، مرهق؟ إن أسياد المزرعة سينظمون احتفالات كبيرة لزواج أبنائهم، وستكون لي فرصة لأتأول كثيراً من اللحوم وأنواع الطعام، فلو تفضلت بأن تنتظر بضعة أيام، ستجدي قد سمنت وأصبح لحمي لذيذاً.

ورجع الذئب بعد بضعة أيام فشاهد الكلب نائماً على سطح المنزل، فناداه قائلاً:

— ها أنذا قد عدت إليك ، ألا تفي بوعدك؟

— أيها الذئب المغفل، إذا لقيت مرة أخرى كلباً نائماً، فلا تنتظر حتى تمر حفلات الزواج.

والمغزى أن العاقل إذا نجا من خطر، لا يلدغ من جحر مرتين.

\* \* \* \* \*

## الأرانب والضفادع

اجتمعت الأرانب ذات يوم، وبدأت تشتكي، بعضها إلى البعض، من ظروف حياتها الخطيرة، وأن كل شيء يهدد وجودها، الإنسان، الكلاب، الطيور الجارحة، والحيوانات الزاحفة... وقالت: أليس من الأفضل لنا أن نموت خير من عيشة الخوف والهوان؟ وفي نهاية الحوار، قررت الأرانب أن تنتحر. فركضت جموعها إلى مستنقع ليرموا بأنفسهم في الماء.

وكانت توجد مجموعة كبيرة من الضفادع على ضفة المستنقع،

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

وعندما سمعت ما أحدثه جمع الأرانب من ضجيج، نطت جميعها في المستنقع. عندئذ صاح كبير الأرانب: توقفوا أيها الأصدقاء! لا تلقوا بأنفسكم إلى التهلكة! ألم تشاهدوا مجموعة الضفادع التي نطت في المستنقع؟ ما فعلت ذلك إلا خوفاً! ومعنى هذا أنه توجد حيوانات أشد منا خوفاً، فلنرجع إلى ديارنا!

ومفاد الحكاية هو أن الناس الذين يواجهون خطراً يواسي بعضهم البعض الآخر عندما يختلطون بمن يعانون من مخاطر أشد وأدهى.

\* \* \* \* \*

## الخنزير البري، الحصان والصيد

كان خنزير بري وحصان يرعيان في مرج واحد. وكان الخنزير يفسد النباتات، ويعكر المياه. أراد الحصان أن ينتقم منه فطلب مساعدة أحد الصيادين.

قال له الصياد: لا أستطيع أن أساعدك إلا إذا امتطيت ظهرك، ووضعت الشكيمة في فمك. فوافق الحصان على شروطه. أصبح الصياد فارساً، استطاع أن يقتل الخنزير، ولكنه قاد الحصان إلى منزله وربطه في الاضطبل.

وهكذا كثير ما يخطط المرء للانتقام من عدوه، ولكنه يقع فريسة لعدو جديد.

\* \* \* \* \*



## الحمار والبغل

بينما كان حمار وبغل يسيران جنباً إلى جنب، لاحظ الحمار أن الحمولة التي يحملها كانت مساوية لتلك التي يحملها البغل، وكان هذا الأخير يحصل على ضعف الغذاء الذي يحصل عليه الحمار .

وبعد قليل لاحظ صاحب الحيوانين أن الحمار تعب من حمولته، فأخذ جزءاً منها ووضعها على ظهر البغل. وبعد مدة لاحظ أن الحمار أصبح مرهقاً فنقل الحمولة كلها إلى البغل. فقال هذا الأخير للحمار:

- أما زلت تظن أنني لا أستحق حصة مضاعفة من الغذاء؟

والحكمة هنا هي أنه لا ينبغي لنا أن نحكم على استحقاقات المرء وجدارته إلا بعد اختبار إنجازاته.

\* \* \* \* \*

## الحمار والذئب

بينما كان حمار يرعى في أحد المروج شاهد ذئباً يقترب منه، فتظاهر بالعرج لألم في رجله. اقترب منه الذئب وسأله: مالك تعرج هكذا؟ ماذا أصاب رجلك؟ فأجابه الحمار :

- قفزتُ فوق سياج فدخلت شوكة في رجلي، أرجوك أن تخلصني منها.

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

صدق الذئب قول الحمار، وأمسك رجله ليفحصها، فباغته الحمار برفسة قوية حطمت أسنانه. قال الذئب وهو يصيح من الألم: إنني أستحق ذلك، وإلا فما الذي جعلني أمثل دور الطبيب، وما خلقت إلا لأكون مفترساً.

وهكذا الحال لدى الناس: من تدخل فيما لا يعنيه، لقي ما لا يرضيه.

\* \* \* \* \*

## الفلاح وأولاده

شعر فلاح باقتراب أجله، ورغب في أن يحرص أولاده على خدمة الأرض، فجمعهم وقال لهم: أبنائي الأعزاء، سأفارق الحياة قريباً، وإذا بحثتم عما أخفيه في هذه الأرض، ستجدون ما يسعدكم.

وبعد وفاة الأب، ظن الأبناء أن أباهم أخفى كنزاً في الأرض، فحراثوا الأرض مراراً، وقلبوها رأساً على عقب، فلم يعثروا على الكنز. ولكنهم فوجئوا، عندما حل الموسم، بأن الأرض أخرجت من غلالها أضعاف ما كانت تدره عليهم في الماضي.

وتشير الحكاية إلى أن العمل هو مصدر الكنز للإنسان المجتهد.

\* \* \* \* \*

## الرجل والتمثال

كانَ لرجلٍ إلهٌ من خشبٍ، وكان في كل يوم يسأله أن يمنحه بعض الرزق، فلم يستجب لطلبه. وكان حال الرجل يسوء يوماً بعد يوم. وذات يوم رفع الرجل التمثال من رجله ورماه على الجدار، فتحطم رأسه وتناثرت منه كثير من قطع الذهب. فقال له الرجل:

«أيها الإله الماكر القاسي، كنت تهزأ بي عندما كنت أقدمك، واليوم تغمرني بالذهب عندما كسرت رأسك!!»

ومغزى هذه الحكاية هو أنه لا يجدى أن يكرم المرء الأشرار والمفسدين في الأرض، بل إنها تنعم بالنعمة والسلام عندما يقضي عليهم.

\* \* \* \* \*

## الثعلب والأسد

بلغ الأسد مرحلة متقدمة من العمر، فأصبح عاجزاً عن الحصول على قوته بنفسه، فقرر أن يناله بالمكر والتحايل، وادعى أنه مريض، عاجز عن الحركة، فصارت الحيوانات تزوره مشفقة عليه. وكان الأسد يفترس عدداً كبيراً منها.

وذات يوم مرَّ ثعلبٌ بعرين الأسد، وشعر بحيلة الأسد، فوقف خارج المغارة وسأل الأسد عن صحته. فقال له الأسد: إنني متعب جداً، ولكن لماذا لا تدخل لتسلم عليّ؟ فقال الثعلب: كنت أود أن أدخل المغارة

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

لأسلم عليك من قريب لولا أنني شاهدت آثار حيوانات كثيرة متجهة إلى داخل المغارة، ولم أر آثار حيوان واحد يخرج منها.

وهكذا يفعل أهل العقل والذكاء، يتحسسون مواطن الخطر، ويتجنبونها.

\* \* \* \* \*

### سمكة التون والدلفين

كان دلفين يلاحق سمكة تون ليفترسها. وأثناء معركة الملاحقة والفرار، وما صاحب ذلك من هيجان، وضجيج واحتدام ومشاحنة، وجدت السمكتان نفسيهما خارج الماء، على الشاطئ.

وشاهدت سمكة التون الدلفين وهو يتخبط ويختنق خارج الماء، فقالت في نفسها:

«الآن أستقبل الموت بشجاعة لأنني أرى عدوي يلقي حتفه قبلي».

ومغزى أنه قد يسهل على المرء أن يتحمل الألم عندما يرى عدوه اللدود يلقي مصيراً سيئاً.

\* \* \* \* \*

### الرجل الذي يعدُّ بالمستحيل

كان رجل فقير يعاني من المرض والشقاء، ويئس من محاولات

الأطباء لعلاجه، فتوجّه إلى آلهته ووعدّها بأنّه سيقدّم لها قرابين سخية، مائة ثور، إن هي تولته برعايتها وشفته من مرضه.

سألته زوجته: ومن أين لك كل هذا المال، ومائة ثور، للوفاء بتعهدك للآلهة؟! فأجابها قائلاً:

- وهل تظنين أنني سأبذل أيّ جهد من أجل الشفاء لأمكن الآلهة من مطالبتي بالوفاء بوعدتي.

وهكذا نجد كثيراً من يقدمون وعوداً سخية، بعد أن يقرروا مسبقاً ألا يوفوا بوعودهم.

\* \* \* \* \*

## النملة والحمامة

اقتربت نملة من حافة جدول لتشرب، ولكن التيار جرها، فكادت تهلك، لولا أن حمامة شاهدتها فرمت لها عوداً تسلقته ونجت من الغرق.

وبعد قليل مرّ صياد طيور، وشاهد الحمامة فوق شجرة قرب الجدول، فاستعد لاقتناصها. وفي تلك اللحظة لدغته النملة التي أنقذتها الحمامة، فتحرك بفعل الألم، وشعرت الحمامة بوجوده فنجت بحياتها.

ومغزى الحكاية أنه ينبغي للمرء أن يجازي المعروف بمثله، أو بأحسن منه .

\* \* \* \* \*

## الخنزير البري والثعلب

بينما كان خنزير بري يشحذ أنيابه على جذع شجرة، مرّ به ثعلب  
وسأله:

- لماذا تشحذ أنيابك؟ ولا أرى خطراً عاجلاً يهددك؟

- إنني لا أفعل ذلك عبثاً، بل أستعدّ للحرب أثناء السلم، لأنه  
عندما يفاجئني الخطر، لا أجد الوقت الكافي لشحذ أنيابي.

ومغزى الحكاية أنه على الإنسان أن يعمل في وقت الفراغ،  
لمواجهة المشاكل عند حدوثها.

\* \* \* \* \*

## الفرس والحمار

كان حصان وحمار يسيران في طريق، يتبعهما صاحبهما، وبعد  
فترة قال الحمار للحصان: أكاد أهلك من التعب، ألا تحمل عني جزءاً  
من حمولتي؟

تجاهل الحصان طلبه، وواصل السير، حتى وقع الحمار، منهوئاً  
مرهقاً. عندئذ وضع الرجل الحمل كله على الحصان، بما في ذلك  
الحمار المرهق. وكان العبء ثقيلاً حقاً، فبدأ الحصان يئن ويقول:

«يا لشقائي، رفضت أن أحمل جزءاً خفيفاً لمساعدة الحمار، وها  
أنا أحمل العبء حتى الحمار نفسه».

- ومغزى الحكاية هو أنه لو رضى الكبار والعظماء برعاية الضعفاء، لساعدهم هؤلاء على إنقاذ أنفسهم عند الأزمات.

\*\*\*\*\*

## البخيل

حوّل بخيل جميع ثروته إلى سبيكة من ذهب، ودفنها في مكان معين، وكأنه دفن معها قلبه وعقله. وكان يأتي من حين إلى حين لزيارة كنزه، فشاهده أحد العمال، وأدرك هدف الزيارة، فحضر ذات يوم في مكان الزيارة واستولى على سبيكة الذهب.

وعندما جاء الرجل لزيارة كنزه، وجد الحفرة فارغة فأخذ يندب وجهه، وينتف شعره.. وشاهده رجل في هذه الحالة، واطلع على حكايته، فقال له:

«لماذا تعذب نفسك هكذا، خذ هذه الحجرة، وضعها في الحفرة، واحضر لزيارتها، وافترض أنها الكنز، فقد لاحظت أنه عندما كان كنزك مدفوناً لم تكن تستفيد منه شيئاً».

ومغزى الحكاية هو أن المال الذي يكنزه صاحبه، ولا يتمتع به، ولا يُمتع به غيره، هو مال مفقود، وصاحبه أشد فقراً من الفقراء.

\*\*\*\*\*

## الظبية

هذه حكاية ظبية لا ترى إلا بعين واحدة، وبينما كانت ذات يوم

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

ترعى على شاطيء البحر، جعلت عينها السليمة في اتجاه اليابسة،  
قائلة إن البحر لا يأتي مني منه خطر. وكان بعض البحارة يجوبون ذلك  
الشاطيء، فاصطادوها. فقالت الطيبة وهي تعاني بين أيديهم: «يا  
لسوء حظي، وجهت كل حذري تجاه اليابسة، ولكن جاءني الهلاك من  
جهة البحر».

وقد قيل في هذا الصدد: «من مأمنه يؤتى الحذر».

\* \* \* \* \*

## الأيل والأسد

حضر أيل إلى نبع ماء ليروي عطشه، وشاهد صورته في الماء،  
فقال لنفسه: ما أسعدني بهذه القرون الملتوية القوية! غير أنه شاهد  
سيقانه الرقيقة فشعر بالخجل.

وبينما هو كذلك شاهد أسداً يقترب منه، ففرّ واختفى بفضل قوة  
سيقانه. ثم دخل أدغلاً قريبة فعلمت قرونه الضخمة بين الأغصان،  
وعرقلت جريه فلحق به الأسد وافترسه.

قال الأيل لنفسه وهو يحتضر: ما أتعسني من مخلوق! خجلت من  
سيقاني الرقيقة، فكانت سبب نجاتي، وافتخرت بقروني الضخمة،  
فخذلتني، وكانت سبب هلاكي.

وهكذا في ساعة الخطر، قد يخذلنا من كنا نعتدّ به؛ ويساعدنا  
من كنا نحتقره.

\* \* \* \* \*



## الحمار، الثعلب والأسد

تصالح حمار وثعلب وخرجا معاً للصيد . وفي الطريق لقيهما  
أسد، فشعر الثعلب بالخطر، واقترب من الأسد، ووعدته بأن يستغل  
مكره ليسلم له الحمار دون عناء إن هو آمنه على نفسه .

ولجأ الثعلب، كعادته إلى الاحتيال والمراوغة ، ووضع الحمار في  
مأزق يسهل على الأسد أن يفتك به . ولكن عندما رأى الأسد أن الحمار  
تحت سيطرته، انقض أولاً على الثعلب فافترسه، ثم التفت إلى الحمار  
وفتك به .

وكذلك الإنسان الخادع الذي يمكر بأصحابه، يجد نفسه، آجلاً  
أم عاجلاً، ضحية لخديعته .

\* \* \* \* \*

## الأفعى والسرطان (السلطعون)

كانت أفعى وسرطان يقضيان معظم الوقت معاً في أحد الكهوف .  
وكان السرطان يعامل الأفعى بكل تقدير وإحسان؛ كان حيواناً  
متواضعاً . أما الأفعى فكان يغلب على طبيعتها الكبرياء والغرور والمكر .  
وحاول السرطان أن يعظها ويصلح من سلوكها دون جدوى .

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

وذات يوم بينما، كانت الأفعى نائمة، انقضَّ السرطان على عنقها وقتلها. ولاحظ أن جسمها أصبح في وضع مستقيم، دون أيّ اعوجاج، فخطبها قائلاً: لو جعلت سلوكك مستقيماً مثل جسمك الآن، لما لقيت هذا المصير المميت.

ومغزى هذه الحكاية أن الأشخاص الذين يزعجون الناس في حياتهم، يكون موتهم راحة للناس.

\* \* \* \* \*

## الأسد والحمار

تصادق أسد وحمار ذات يوم وخرجا معاً للصيد. وعندما وصلا إلى مغارة فيها عدد من المعز الوحشي، وقف الأسد أمام مدخل المغارة، ودخل الحمار المغارة، وأخذ ينهق بأعلى صوته ليخيف المعز وتغادر المكان. واستطاع الأسد أن يقبض على عدد منها. وعندما خرج الحمار قال للأسد:

- ألم أبذل جهداً كبيراً لأدفع المعز خارج المغارة؟

- أجل لقد أجدت النهيق بصوت مزعج إلى درجة كدت أن أنجو بنفسي لولا علمي بأنك حمار .

وهكذا الأمر لدى بعض الناس، منهم من يفتخر بنفسه لدرجة يجعل الناس يسخرون منه.

\* \* \* \* \*

## الراعي والذئب

وجد راعي غنم ذات يوم جرّو ذئب، فأخذه إلى منزله، وربّاه مع كلابه. وعندما كبر الجرو أصبح يرافق الكلاب لحراسة القطيع، وملاحقة الذئاب المعتدية.

غير أن الراعي لاحظ ذات يوم أنه في الأيام التي لا تهجم فيها الذئاب على قطيعه، يقوم الذئب الذي رباه باختطاف خروف فيخنقه ويقتسمه مع الكلاب. عندئذ قبض عليه وعلّقه في شجرة.

والعبرة من الحكاية هو أنه ليس من السهل أن يغيّر الكائن الحيّ سلوكه الغريزي. ويبقى الذئب ذئبًا ولو لبس جلد الخروف.

\* \* \* \* \*

## الغراب والحمام

شاهد غراب مجموعة من الحمام تتعم بطعام وافر، فأعجب بذلك، ودهن ريشه بلون أبيض، واختلط بها ليتمتع وسطها بما تحصل عليه من طعام. وظنّه الحمام واحدًا منهم فقبلوا وجوده بينهم. غير أن الغراب نسي نفسه ذات يوم وأخذ ينطق، فانزعج الحمام من صوته وطردوه من حديقتهم.

اضطر الغراب للعودة إلى حياته وسط الغريبان، غير أنهم أنكروا لونه الأبيض وطردوه من بيئتهم.

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

والعبرة هي أن المرء يستطيع أن يغيّر مظهره، فهل يستطيع أن يغيّر جوهره؛ وأن عليه أن يقنع بمصيره ويعيش في بيئته بين أمثاله.

\* \* \* \* \*

## الرجل المدين

هذه حكاية رجل مدين ألح عليه الدائن أن يسدّد دينه، فاضطرّ المدين أن يبيع خنزيرة كانت عنده. جاء رجل لشرائها، فسأل صاحبها:

- هل الخنزيرة ولود؟

- تسأل هل هي ولود؟ إنها ولود لدرجة لا تصدق! فهي تلد الإناث للطقوس الدينية، وتلد الذكور قريباً للإلهة في أثينا...» .

وظهر بعض الاندهاش على ملامح المشتري، فأجابه البائع:

- لا تتعجب يا سيدي، ستلد لك كذلك الجديان التي يمكنك أن تستغلها في أعياد إله الخمر!

ترمز الحكاية إلى أن كثيراً من الناس لا يترددون في تأكيد أكاذيب غريبة لخدمة مصالحهم.

\* \* \* \* \*

## القرد والدلفين

اصطحب رجل معه قرداً أثناء سفره عبر البحر. وحدث أن هبّت

عاصفة شديدة فأغرقت السفينة، وأخذ الركاب يسبحون نحو الشاطيء، ومن بينهم القرد، طلباً للنجاة.

شاهد دلفين القرد وظنه إنساناً، فحمله على ظهره متجهاً نحو ميناء قريب، هو ميناء مدينة أثينا. وسأل الدلفين القرد:

- هل أنت من سكان أثينا ؟

- أجل ، أنا من سكان أثينا ، ولي فيها أقارب .

- إذا تعرف «بيري» جيداً؟

(وبيري هو اسم الميناء، ولكن القرد ظنه اسم لشخص من أثينا).

فأجاب :

- أجل إنه من أعزّ أصدقائي.

عندئذ اغتاط الدلفين عندما سمع هذه الكذبة، وغطس في الماء، ففرق القرد.

وهكذا حال من يبالغ في الكذب، معتقداً أنه يخدع الآخرين، وهو إنما يخدع نفسه.

\*\*\*\*\*

## الكلبان

كان لرجل كلبان ، درّب أحدهما على حراسة المنزل، ودرّب الآخر

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

على الصيد. وكان الرجل عندما يعود من جولة الصيد، يقدم جزءاً من  
المصيد إلى كلب الحراسة؛ فغضب كلب الصيد لكونه يركض طول  
النهار لجمع المصيد، بينما يتمتع كلب الحراسة بأكله دون عناء.

فقال له كلب الحراسة: لا تلمني يا رفيقي، بل وجه لومك إلى ربّ  
المنزل الذي دربني على أن أعيش على حساب غيري.

وهكذا بالنسبة لبني آدم، لا يلام الفتى الكسول إذا كان أبواه  
ربيّاه على الكسل والدلال.

\* \* \* \* \*

## الشمس وريح الشمال

قالت ريح الشمال للشمس أنا أقوى منك، وردت عليها الشمس  
بأنها الأقوى. فقررتا أن تحاول كل منهما أن تحمل رجلاً مسافراً على  
خلع ملابسه. وبدأت ريح الشمال تهبّ بقوة فلم ينزع الرجل شيئاً من  
ثيابه؛ وضاعفت الريح قوتها مثل العاصفة، فلم يخلع الرجل شيئاً من  
ملابسه.

وجاء دور الشمس، فبدأت ترفع من حرارتها تدريجياً، وبدون  
ضجيج، وأخذ الرجل ينزع جزءاً من ملابسه كلما ارتفعت درجة  
الحرارة، وأخيراً رمى نفسه في النهر فراراً من شدة الحر.

وتشير الحكاية إلى أن المرء ينبغي أن يلجأ إلى وسائل الإقناع  
تدريجياً، بدلاً من استعمال القوة من أول وهلة.

\* \* \* \* \*

## الجدى والذئب

تأخّر جدّي عن الالتحاق بالقطيع، وشاهد ذئبًا يلاحقه، فقال له:  
أيها الذئب، أعرف جيّدًا أنني أصبحت تحت رحمة أنيابك، ولكن قبل  
أن تأكلني، أرجوك أن تأخذ هذا المزمار، وأن تسمعني بعض الألحان،  
أريد أن أرقص وأستقبل الموت بشجاعة.

تناول الذئب المزمار، وأخذ الجدّي يرقص بحماس، فسمعت  
الكلاب الصوت وأسرعت إلى المكان لملاحقة الذئب. فقال هذا الأخير  
للجدّي، وهو يسارع الريح:

يالغباوتي، لقد خلق الله الذئب جزارًا مفترسًا، وليس ليلعب دور  
الموسيقار لضحاياه.

وهكذا مصير من يضع الأشياء في غير مواضعها، يخسر ما كان  
يظنه في قبضته.

\* \* \* \* \*

## الخفاش وابن عرس

سقط خفاش على الأرض، فأمسكه ابن عرس. وقبل أن يلتهمه  
طلب منه الخفاش أن يرحمه ويطلق سراحه. فقال له ابن عرس:

- كيف تطلب ذلك، وأنت تعلم أنني عدوّ الطيور!؟

- أنا لست طيراً، بل فأر، أوكد لك أنني فأر!

عندئذ عفا عنه ابن عرس وأطلق سراحه.

وحدث أن وقع الخفاش مرة ثانية في قبضة ابن عرس آخر.  
فتوسل إليه أن يخلي سبيله. فقال له ابن عرس:

- كيف أبقى عليك؟ وأنت تعلم أنني عدوُّ الفئران!

- ولكنني يا سيدي لستُ فأراً، بل أنا من جنس الطيور.

وبذلك خلى ابن عرس سبيله، ونجا من الهلاك.

وكذلك بوسع الإنسان الذكي، إذا أجبرته الظروف أن يتحايل على  
العدو بشتى الوسائل لينجو من الهلاك.

\*\*\*\*\*

## المتبجّح

سافر رجل «رياضي» إلى بلدان عديدة، وعندما عاد إلى مدينته،  
أخذ يفتخر أمام زملائه، ويؤكد أنه أثناء سفره قام بإنجازات رياضية  
باهرة؛ وقال:

«في مدينة رودس، على سبيل المثال، أنجزت قفزة رياضية لا  
يقدر عليها أحدٌ في الألعاب الأولمبية. وإذا مر شخص ممن  
شاهدوني في تلك المدينة سيشهد على ما أقول» .

فقاطعه أحد زملائه قائلاً :



«إذا كان ما تقول صحيحاً، فأنت لا تحتاج إلى شاهد؛ افترض أننا الآن في مدينة رودس، وأنجز أمامنا تلك القفزة الرائعة التي أنجزتها هناك».

وتصح هذه الحكاية بأنه لا حاجة لنا لسماع الكلام المشكوك فيه، بل علينا أن نطلب البرهان المادي.

\* \* \* \* \*

## الرجل المخادع

زعم رجل أنه بوسعه أن يكذب تنبؤات «وسيط الوحي»<sup>(1)</sup> في مدينة دالفييا. وفي الوقت المحدد أخفى طيراً صغيراً تحت جلبابه، ودخل المعبد، وسأل الوسيط:

— هل الشيء الذي أحمله في يدي حيٌّ أو ميتٌ؟

وكان قد عزم على أنه إذا أجابه وسيط الوحي بأن الشيء ميت، يخرج الطير من تحت جلبابه حيًّا . وإذا قال الوسيط بأنه حيٌّ، يخنق الرجل الطير ويخرجه ميتاً.

غير أن وسيط الوحي (الكاهن) انتبه إلى خداع الرجل وسوء نيته، فأجابه:

---

(1) وسيط الوحي (ORACLE) كان عند الإغريق، كان الناس يعتقدون أن الإله يجيب، بواسطته، عن أيّ سؤال حول أمر من أمور الغيب.

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

«لا تطل السؤال، لأن حياة المخلوق الذي تحت جلبابك يتوقف على ما تفعله يداك».

وفوق كل ذي علم عليم.

\*\*\*\*\*

### أين المضر؟

قتل رجل شخصاً وهرب من ملاحقة أقربائه له حتى وصل إلى مكان مشجر قرب النيل، وهناك لقي ذئباً ففر منه وتسلق شجرة، ولكنه شاهد أفعى في أعلى الشجرة تزحف نحوه، فرمى نفسه في مياه النيل، وهناك هجم عليه تمساح وقتله.

والمعنى هو لا الأرض، ولا الماء، ولا السماء، تتقذ الظالم من عدالة السماء.

\*\*\*\*\*

### الصوص والديك

دخل لصوص منزلاً ولم يجدوا شيئاً مفيداً غير ديك واحد فأخذوه. فتوسل إليهم أن يطلقوا سراحه قائلاً :

- إنني بريء، أخدم الناس فأوقفهم باكراً كل صباح ليتوجهوا إلى أعمالهم، فأجابه اللصوص:

— إن ما ذكرت سبباً آخر للتخلص منك، فأنت توظف الناس في الوقت الذي يطيب لنا العمل فيه، فتفسد علينا خططنا .

وقديماً قيل: «مصائب قوم عند قوم فوائد»؛ ويصح في هذا السياق القول: «فوائد قوم عند قوم مصائب».

\* \* \* \* \*

## الحمار والحصان

كان حمار يحسد حصاناً على ما يناله كل يوم من طيبات الأكل وحسن الرعاية والمعاملة؛ وكان الحمار يشتكي من سوء حظه، وما يلاقي من متاعب يومية .

وذات يوم اندلعت الحرب في المنطقة، فركب الرجل فرسه، وصال وجال في المعارك، إلى أن أصيب الفرس ذات يوم بضربة قاتلة .  
وعلم الحمار بالخبر فتأسف على ما حدث للفرس، وندم على ما كان منه من حسد أثناء حياته .

ومغزى الحكاية هو أنه لا ينبغي للمرء أن يحسد الأسياد والأثرياء لأنهم أكثر عرضة للأخطار من الفقراء .

\* \* \* \* \*

## الثعلب والحطاب

كان صيادون يلاحقون ثعلبًا، فلجأ إلى حطاب وتوسل إليه أن يخفيه، فأشار إليه أن يدخل كوخه. وحضر الصيادون فسألوا الحطاب: هل شاهد ثعلبًا؟ فأجاب الحطاب بصوت مرتفع بأنه لم ير شيئًا. ولكنه في الوقت نفسه أشار بيده إلى أن الثعلب داخل الكوخ. غير أن الصيادين لم ينتبهوا إلى إشارة يده، فانصرفوا .

خرج الثعلب وابتعد عن الكوخ ، فناداه الحطاب:

- أيها الثعلب، لقد أنقذت حياتك، ألا تشكرني؟!

- كنت جديرًا بشكري لو أن حركات يدك كانت مطابقة لكلامك.

وذلك شأن الصديق الذي يظهر الود بلسانه، ويتآمر بسلوكه.

\*\*\*\*\*

## الأسد والحمار والثعلب

اتفق أسد وحمار وثعلب على الخروج معًا إلى الصيد. وبعد أن جمعوا بعض الطرائد، طلب الأسد من الحمار أن يقسم المصيد؛ فوزع الحمار الغنيمة إلى ثلاثة أقسام متساوية، وقال للأسد:

- اختر واحدًا منها!

غضب الأسد وهجم على الحمار فقتله. ثم قال للثعلب، اقسام أيها الثعلب! فوضع الثعلب جميع المصيد في كومة واحدة، وقال للأسد:

- هذا نصيبك أيها الملك!

فردّ عليه الأسد مسروراً :

- ومن علمك أن تحسن القسمة بهذه الطريقة العادلة؟

فقال الثعلب:

- مصير الحمار علمني أيها الملك.

المغزى أن نتعلم من تجارب غيرنا؛ والسعيد من اتعض بما يحدث

لغيره.

\* \* \* \* \*

## الثعلب والقرد

سحر قرد جميع الحيوانات برقصاته البهلوانية، فمنحوه لقب «الملك». غير أن الثعلب حسده على ذلك، فاغتاض وفكر في الانتقام.

وذات يوم شاهد الثعلب قطعة لحم في فخ، وقاد القرد إليها، وقال له:

- لقد عثرت على كنز، ولكن لم أجرؤ على الاقتراب منه ، لأنه

يعود إليك، فأنت الملك.

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

اقترب القرد ليتناول «الكنز»، فوقع في الفخ. واتهم الثعلب بتدبير المكيدة، ولكن الثعلب ردّ عليه:

- أيها القرد، إذا كنت غيبًا لدرجة لا تنتبه لخطر كهذا الذي وقعت فيه، فكيف تريد أن تدير مملكة الحيوانات؟!

وهكذا الرجل الذي يأخذ القضايا المهمة ببساطة يعرض نفسه للخطر.

\* \* \* \* \*

## الغريق

كان رجل من أثرياء أثينا مسافرًا في سفينة. وهبّت عاصفة شديدة، فغرقت السفينة؛ وأخذ الناس يرمون أنفسهم في البحر ليسبحوا نحو الشاطئ. غير أن الرجل الثري وقف يستتجد ويتوسل إلى الإلهة أثينا لتتقده، ويعدّها بأن يقدم لها ألوانًا من القرابين إذا نجا من الموت.

خاطبه أحد الذين رموا بأنفسهم إلى البحر قائلاً:

«في الوقت الذي تطلب فيه مساعدة أثينا، استعمل ذراعيك! وكما جاء في الأثر: اعقلها وتوكل!

\* \* \* \* \*

## البحر والغريق

رمت الأمواج غريقاً على الشاطئ. وبعد أن عاد إليه وعيه، أخذ يلوم البحر قائلاً: «أيها البحر لماذا تغري الناس بهدوئك وجمالك...؟ لماذا تحملهم على مياه هادئة، ثم تطلق عليهم أمواجاً عاتية لتهلكهم؟ فأجابه البحر في هيئة امرأة جميلة:

- لا تلمني أيها الرجل! بل وجه لومك إلى الرياح. فأنا كما شاهدت في البداية هادئ، وليس من طبعي أن أخدع الناس، بل الرياح والعواصف هي التي تهجم عليّ، فترفع الأمواج التي تحطم المراكب.

وينطبق هذا الكلام على حياة البشر، فلا ينبغي أن نوجه اللوم فقط إلى من يرتكب الفساد، وننسى الناس الذين حرّضوه، والظروف التي دفعته إلى الفساد.

\* \* \* \* \*

## الأب وابنتاه

كان لرجل ابنتان، زوج إحداهما لبستاني، والأخرى لصانع الأواني الفخارية. وبعد بضعة أشهر ذهب لزيارة ابنته، زوجة البستاني، وسألها كيف تسير الأمور، فقالت:

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

- الأمور على أحسن ما يرام يا أبي، وليس لنا إلا أمنية واحدة،  
وهي أن ينزل المطر ليسقي غلال البستان».

وذهب الأب لزيارة ابنته الأخرى، وسألها السؤال نفسه: كيف  
تسير الأمور يا ابنتي؟ فقالت:

- الحمد لله، الأمور على ما يرام، وليس لي إلا أمنية واحدة، هي  
ألا ينزل المطر، وأن يبقى الجو مشمساً لتجف أواني الفخار.  
فقال الأب:

- إذا كانت إحداكما تتمنى نزول المطر، والأخرى تتمنى بأن يدوم  
الطقس الجاف، فماذا تريدان أن أتمنى لكما؟! ذلك شأن  
الدنيا وأهلها؛ وقد تتحقق المطالب، وإن اختلفت الوسائل.

\* \* \* \* \*

## البستاني

مرّ رجل ببستاني يسقى النباتات، فسأله :

- لماذا تنتعش النباتات الوحشية، وتنمو بسرعة؛ وتبقى نباتات  
البساتين ضعيفة هشّة؟ فأجابه البستاني:

- ذلك لأن الأرض أم للأولى، وزوجة أب للنباتات التي يزرعها  
الإنسان.

وكذلك لدى بني الإنسان، فالأطفال الذين تربيتهم أمهاتهم



يترعرعون في ظروف أفضل (بدون تعميم) من ظروف الأطفال الذين تربيتهم زوجة الأب.

\*\*\*\*\*

## البغل

كان بغل لا يتوقف عن الافتخار بأبيه، ويقول: كان أبي لا يُشَقُّ له غبار في حلبة السباق، وأنا شبيه به. وذات يوم أُجْبِرَ على المشاركة في سباق، فخاب أمله واستولى عليه الحزن. عندئذٍ فقط تذكر أن أباه كان حماراً.

ومغزى الحكاية هو أنه ينبغي للمرء ألا ينكر أصوله حتى وإن بلغ قمة المجد.

\*\*\*\*\*

## الأسد والخنزير البري

التقى أسد وخنزير بريٌّ عند نبع ماء، فتنازعا من يشرب قبل الآخر، وهجم كل منهما على الآخر في معركة شرسة. ثم وقفا لحظة لاستعادة الأنفاس، فشاهدا نسوراً تحوم فوق المكان تنتظر الهجوم على المغلوب. عندئذٍ قال كلٌّ منهما: في النبع ماء كثير، ومن الأفضل أن نتصالح بدلاً من أن نصبح جيفة تأكلنا النسور.

والحكمة هي أن النزاعات عواقبها وخيمة، وليس في الحرب خير.

## الفلاح والأفعى

لدغت أفعى طفل أحد الفلاحين ؛ توفي الفتى، وشعر الفلاح وعائلته بحزن عميق. ووقف الفلاح أمام جحر الأفعى يترصدّها، وعندما أخرجت رأسها هجم عليها بفأسه بضربة قوية، ولكنه أخطأها، وأصاب صخرة فكسرها.

حاول الفلاح أن يحتال على الأفعى، فاقترح عليها أن يتصالحا، شريطة ألا تؤذي أسرته. فقالت له :

«يستحيل عليّ أن أصلحك، وقد شاهدتُ ما فعل فأسك بالصخرة. ولا يعقل أن تصفح عني، وأنت تشاهد قبر ولدك أمام منزلك كل صباح».

ومغزى الحكاية أن الأحقاد العميقة الدفينة تجعل المصالحة شبه مستحيلة.

\*\*\*\*\*

## الفلاح والشجرة

كان يوجد قرب مسكن فلاح شجرة ضخمة عتيقة؛ كانت تلجأ إليها أنواع الطيور والصراير والحشرات. وذات يوم حضر الفلاح بفأسه ليقتلها، فأحاطت به الحيوانات والتمسوا منه أن يتركها لهم

## — القسم الأول —

ليستفيدوا منها . وقالوا : إنها مأوانا الوحيد، ونعدك أن نؤنسك بأصواتنا وألحاننا .

لم يستمع الفلاح إلى طلبهم، وأخذ يقطع الشجرة، وبعد ضربات قليلة، وجد داخل جذعها خشرما من النحل يبني نسيجه لإنتاج العسل، فأبقى على الشجرة وأخذ يربعاها ويحترمها .

وكذلك أنانية الإنسان، فهذا الفلاح لم يحترم عدالة الطبيعة، ولا حقوق الحشرات والطيور في الحياة، ولكنه أبقى على الشجرة عندما عثر على خشرم النحل ونسيج العسل .

\*\*\*\*\*

## السرطان الصغير وأبوه

قال السرطان لصغيره: «لا تمش منحرفاً يا بني، ولا تحكّ جانبك على الحجارة..» فأجابه الصغير :

- أبي ، إذا أردت أن تعلمني كيف أمشي، فامش أنت مستقيماً لأقلدك!

وكذلك أخطاء الإنسان، تصحح بالسلوك القويم، وليس بالكلام وحده .

\*\*\*\*\*

## الذئب والمرأة العجوز

كان ذئب جائع يتنقل من مكان إلى آخر بحثاً عن الطعام، حتى وصل إلى منزل وسمع طفلاً يبكي، والعجوز تقول له: إذا لم تسكت سأعطيك إلى الذئب ليأكلك. وظن الذئب أن المرأة مجدة في قولها، فوقف في مكانه طويلاً ينتظر الطفل الموعود.

وعندما حلّ المساء، سمع الذئب المرأة تقول: لا تخف يا حبيبي. إذا جاء الذئب سنقتله. شعر الذئب بالخيبة وقال: هذا حال بني آدم يعد بشيء في الصباح، ويغير رأيه في المساء.

\*\*\*\*\*

## الكلب

بينما كان كلب يعبرُ نهرًا، وفي فمه قطعة لحم، شاهد خياله في الماء، فظن أنه يشاهد كلبًا آخر يحمل قطعة لحم أكبر من قطعتة، فرمى ما في فمه، وهجم على الكلب الخيالي، وبذلك أضاع القطعة التي كانت في فمه، ولم يظفر بالقطعة التي تخيلها.

وهذه موعظة للإنسان الجشع البخيل الذي لا يتمتع بما في حوزته، ويركض وراء ما في أيدي الآخرين.

\*\*\*\*\*

## الفيلسوف ديوجان والرجل الأصلع

مرّ رجل أصلع ذات يوم بالفيلسوف اليوناني ديوجان، فأخذ يشتمه. فأجابه الفيلسوف: «لا تتوقع مني أن أردّ عليك، وأشتمك، ولكنني أتشي على الشعر الذي فرّكارها لجمجمتك الغبية».

\* \* \* \* \*

## صياد الطيور والحمام

نصب صياد شباكه، وربط فيها عددًا من الحمام الأليف، واختفى غير بعيد يترصد ما يحدث. ونزل عدد من الحمام البري فعلقوا بالشباك، وركض الصياد فحمل شباكه بما فيها إلى منزله.

وأثناء العودة عاتب الحمام البري الحمام الأليف، قائلاً: نحن أبناء جنسكم وإخوانكم، فلماذا لم تحذرونا قبل الوقوع في الشباك. فأجاب الحمام الأليف:

— إننا نرى أنه من الأفضل لنا أن نرضى سيّدنا من أن نرضى أقرباءنا».

وتشير الحكاية إلى أنه لا ينبغي لنا أن نلوم الخدم الذين يدفعهم الوفاء إلى طاعة أسيادهم.

\* \* \* \* \*

## الجرذان وبنات عرس

اندلعت الحرب بين الجرذان وبنات عرس ، وانهزمت الجرذان، فاجتمعوا، وتشاوروا، واستتجوا أن سبب هزيمتهم هو الفوضى. فاختاروا لهم عددًا من القادة لينظموا صفوفهم. وقرّر القادة أن يضعوا على رؤوسهم خوذات لها قرون ليتميزوا بها عن عامة الجرذان .

واندلعت معركة ثانية بين المجموعتين، فهزم الجرذان كذلك، فتقهقروا نحو جحورهم، غير أن قادتهم لم يستطيعوا الدخول إليها، لأن القرون التي وضعوها على رؤوسهم أعاقتهم عن ذلك. فلحقت بهم بنات عرس وقتلتهم.

والموعظة هنا هي أن غرور القادة بملابسهم الفخمة قد يسبب لهم كثيرًا من الإزعاج والمشاكل.

\* \* \* \* \*

## الآلهة زيوس<sup>(1)</sup>، وبروميتي<sup>(2)</sup> وأثينا<sup>(3)</sup>

تروى الأساطير اليونانية أن الإله زيوس صنع ثورًا؛ والإله

- (1) زيوس ZEUS: كبير الآلهة في الأساطير اليونانية، ويدعى جوبيتر عند الرومان.
- (2) بروميتي PROMETHEE: تروى الأساطير أنه سرق سرّ النار من الآلهة، وقدمه للإنسان.
- (3) أثينا ATHENA: في الأساطير اليونانية إلهة محاربة، وحامية مدينة أثينا؛ وهي تمثل الحكمة اليونانية، وتدعى منيرفا عند الرومان.

بروميتي صنع رجلاً؛ والإلهة أثينا صنعت منزلاً؛ واختار ثلاثتهم «السخرية» لتكون حكماً بينهم. وأخذت الغيرة قلب «السخرية» مما صنعته الآلهة، فقالت للأول:

- كان من الأفضل لو أنك وضعت عَيْنِي ثورك في مقدمة قرنيه ليرى بوضوح المكان الذي يهجم عليه .

وقالت للثاني:

- كان من الأفضل لو وضعت قلب الرجل خارج جسمه لكي لا يخفى على الناس شيئاً من عواطفه .

وقالت للإلهة أثينا:

- كان من الأفضل لك لو أنك شيّدت منزلك على عجالات ليتمكنك أن تبتعدي عن الحمقى الذين يسكنون بجوارك .

واغتاض الإله زيوس من ملاحظات «السخرية» وحماتها، وطردها من مركز الآلهة في السماء .

وتشير هذه الأسطورة إلى أن كل عمل، مهما كان رائعاً، يمكن أن يتعرض للانتقاد .

\* \* \* \* \*

## الغداف<sup>(1)</sup> والطيور

قرر الإله زيوس<sup>(2)</sup> أن يعين ملكاً جديداً على الطيور، فجمعهم وقال لهم: سأختار أجمل طائر فيكم وأعينه ملكاً عليكم . فأسرعت الطيور إلى النهر لتنظف ريشها، وتستعد للمنافسة. أما الغداف فأخذ يجمع ما تساقط من ريش الطيور، ويصقلها ببدنه، وبذلك أصبح يبدو، بريشه الجديد الملون، من أجمل الطيور.

وجاء موعد اختيار الملك، فتجمعت الطيور، وبينهم الغداف يختال بريشه الملون. ولكن بينما كان زيوس يلقي خطابه لتنصيب الملك، أخذت الطيور، كل واحد منها، ينتف الريش الذي استولى عليه الغداف، فبدأ هذا الطائر في مظهر قبيح .

وهكذا يكون مصير أولئك الذين يعيشون على الاقتراض تكون ظروف حياتهم جميلة خلال فترة، ولكن تسوء أحوالهم عندما يضطرون لتسديد ديونهم.

\* \* \* \* \*

## العدوان

كان بين رجلين عداوة شديدة؛ والتقيا ذات يوم على سفينة واحدة، فتحول أحدهما إلى مقدمة السفينة، وابتعد الآخر إلى مؤخرتها.

(1) الغداف طائر من فصيلة الغريبان.

(2) زيوس (ZEUS) انظر الملاحظة السابقة.



وفجأة هبّ إعصار شديد، وبدأت السفينة تغرق. فسأل الرجل  
الواقف في مؤخرة السفينة الريان:

- أيّ جزء من السفينة سيغرق الأول؟ أجاب الريان :

- يبدو أن مقدمة السفينة ستغرق قبل غيرها . قال الرجل:

- الحمد لله، سأستقبل الموت بارتياح عندما أشاهد أن عدوى  
غرق قبلي .

وتفيد الحكاية بأن كثيراً من الناس يتحملون مصائبهم بسهولة  
أكبر، إذا شاهدوا أعداءهم «يغرقون».

\* \* \* \* \*

## مسافرون بحراً

بينما كان عدد من الناس على متن سفينة، هبت عاصفة شديدة  
كادت تغرق السفينة، فاستولى الرعب على الناس، وراحوا يصرخون  
ويبكون من الهلع، ويعدون الآلهة بالقرابين إن أنقذتهم من الموت.

ثم هدأت العاصفة، واستقرت السفينة، فأخذ المسافرون يغنون  
ويرقصون، ويشربون... احتفالاً بنجاتهم . فجاء ربان السفينة وقال لهم:

ابتهجوا أيها الأصدقاء! ولكن لا تنسوا أننا يمكن أن نتعرض  
لعاصفة أخرى غداً .

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

وتعلمنا الحكاية أنه لا ينبغي أن يبالغ في الابتهاج بالحظ  
السعيد، دون أن يفكر في تقلبات الزمان.

\* \* \* \* \*

## صيادو الأسماك

أخذ صيادون يجذبون شباكهم، فشعروا أنها ثقيلة، فعمتهم  
البهجة، وساد التفاؤل، وهم يفكرون في حجم صيد كبير. ولكن عندما  
أخرجوها من البحر وجدوها مملوءة بالنفايات وبقايا حطام قديم،  
فشعروا بالخيبة، واستولى عليهم الحزن بدل المرح.

ونطق من بينهم شيخ ملاح قديم مجرب فقال لهم : هونوا عليكم  
يا رفاق! ألم يقل الحكماء إن للبهجة أختا تدعى: الحزن. فللحياة  
تقلباتها، وبعد الزوبعة يأتي الطقس الجميل.

\* \* \* \* \*

## صائد الطيور والأفعى

شاهد صياد طيراً على قمة شجرة، فراح يتقدم نحوه ببطء  
لاقتناصه. وبينما كان يسدد سلاحه مركزاً بصره على الطير، وضع  
رجله على أفعى فلدغته لدغة قاتلة.

قال الصياد، وهو يسلم الروح لخالقها: ما أتعس الإنسان! فبينما هو يحتال لاقتناص أرواح غيره، يقتنصه القدر من حيث لا يتوقع.

ومن يحفر حفرة لغيره يقع فيها.

\* \* \* \* \*

### الأفعى والهدرة<sup>(1)</sup>

اعتادت أفعى أن تأتي إلى نبع ماء لترتوي. غير أن أفعواناً ضخماً ساءه أن يشاهد أفعى أجنبية في حيّه، فقرر أن يحاربها. واتفقا على موعد المعركة ومكانها، وبحضور عدد كبير من الضفادع. وكانت هذه الأخيرة تكره الأفعوان، فوعدت الأفعى بأن تقف إلى جانبها أثناء المعركة. وأثناء المعركة أخذت الضفادع تتنقق بأعلى أصواتها، فأحدثت ضجة كبيرة. وانتصرت الأفعى على الأفعوان، ولكنها غضبت من موقف الضفادع التي اكتفت بالنقيق. فردت عليها هذه الأخيرة قائلة:

«اعلمي يا سيدتنا أننا معشر الضفادع، نساعد أصدقاءنا بالأقوال، وليس بالأفعال».

وما أكثر الإخوان حين تعدهم

ولكنهم في النائبات قليل

\* \* \* \* \*

(1) الهدرة (HYDRA) : أفعوان خُرَافي له تسعة رؤوس.

## الأفعى والمبرد

تسللت أفعى إلى ورشة حدادة، وطلبت من كل آلة أن تهدي لها شيئاً. فحصلت على هدية كل آلة، إلا المبرد فإنه قال لها:

«أنت مغفلة إذا كنت تنتظرين هدية مني! فأنا المبرد، من عادتي أن آخذ ولا أعطي شيئاً» ومغزى الحكاية:

«فلا ترجو «الهدية» من بخيل

فما في النار للظمان ماء»

\*\*\*\*\*

## الرجل والأسد

كان رجل وأسد يتجولان، وكلّ منهما يفتخر بمزاياه. وشاهدًا في إحدى الحدائق تمثالاً نقش عليه صورة رجل يخنق أسدًا. فقال الرجل للأسد:

- انظر إلى هذه الصورة! ألم أقل لك إن الرجل أقوى من الأسد. فأجابه الأسد قائلاً:

- لو كانت الأسود تحسن النحت لرأينا على هذا التمثال أن الأسد هو الذي يخنق الرجل.

ومغزى الحكاية هو أن كثيراً من الرجال يدعون الشجاعة والإقدام، ولكنهم يحجمون عندما تحين ساعة الخطر.

\* \* \* \* \*

## الأسد والأرنب

فاجأ أسد أرنباً نائماً، وبينما كان يستعدُّ للهجوم عليه، شاهد غزالاً، فترك الأرنب وركض وراءه . وشعر الغزال بحركة الأسد فاختفى بسرعة البرق. وكم كانت خيبة الأسد لأنه ترك صيداً كان بين مخالفه، وركض وراء صيد غير مضمون.

وكذلك يتصرف بعض الناس، يستخفون بأرباح مؤكدة، ويركضون وراء مكاسب مغرية، ولكنها غير مضمونة.

\* \* \* \* \*

## الدجاجة وطائر السنونو

وجدت دجاجة بيض أفعى فحضنته حتى خرجت الحيات من بيضاتها. وشاهد طائر السنونو صغار الأفاعي في عشها فقال لها: أيتها الدجاجة المغفلة لماذا تربين مخلوقات هي من أعدائك؟! وعندما تكبر الأفاعي تكونين أول ضحاياها.

وكذلك سلوك الأشرار، يذكرني بقول الشاعر:

«إذا أنت أكرمت اللئيم تمردا».

## الحمار والغراب والذئب

كان حمار يرعى في أحد المروج، وكان يعاني من جروح في ظهره. حطَّ غراب عليه وأخذ ينكأ جروحه، فبدأ الحمار ينهق من شدة الألم. وكان صاحب الحمار يقربه فأخذ يقهقه بصوت مرتفع عندما شاهد ما يفعل الغراب بالحمار.

وحدث أن مرَّ ذئب بالمكان فقال في نفسه: عجباً لحالة الناس يطربون لنهيق الحمار، ويقتلوننا عندما نبحت عن طعامنا بين مواشيهم.

\* \* \* \* \*

## الأسد والثور

أراد أسد أن يسيطر على ثور ضخم بالحيلة فقال له: أنت ضيفي هذا المساء، وقد أعددت لك أنواعاً من أطيب الحشيش... وحضر الثور إلى عرين الأسد مساءً، فلم يشاهد حشيشاً، بل كثيراً من السفافيد، والقضببان، والقذور.. فغادر المكان على الفور. وقال له الأسد (وكان ينوي أن يفترسه عندما ينام): لقد أعددت لك مكاناً لتقضي ليلة هادئة، وستذهب للصيد معاً في الصباح. فأجابه الثور: لا تتعب نفسك أيها الملك، سأتيك في الصباح بثور أبله.

\* \* \* \* \*

## الجمل يطلب قرنين

شاهد جمل ثورًا يستعرض قوة قرنيه، فأخذته الغيرة، ورغب أن يحصل على قرنين مثل الثور. فتوسل إلى الإله زيوس أن يمنحه قرنين مثل الثور. غير أن زيوس غضب لذلك وقال للجمل:

— كيف لحيوان طويل وقوي مثلك أن يطلب مزيداً من المزايا؟  
ورفض طلبه، بل قصّ قطعة من أذنيه.

وكذلك حال الإنسان، كثير من الناس يطمعون فيما لدى الآخرين، فيحرمون مما لديهم.

\*\*\*\*\*

## الرجل والستير<sup>(1)</sup> Satyre

يروى في الأزمنة القديمة حكاية رجل وستير اتفقا على ربط علاقة صداقة بينهما. وكان الرجل، عندما يحل فصل الشتاء يضع يديه أمام فمه، وينفخ فيهما.

وسأله الستير: لماذا تفعل ذلك؟ فأجابه: لأدفئ يدي. وعندما يقدم لهما الطعام، يتناول الرجل قطعة منه، يضعها أمام فمه، وينفخ فيها. وسأله رفيقه عن السبب فقال الرجل: عندما يكون الأكل ساخناً، أنفخ عليه ليبرد قليلاً.

(1) SATYRE مخلوق خرافي عند الوثنيين، نصفه الأعلى بشر، ونصفه الأسفل ماعز.

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

عندئذ صاح الستير قائلاً: خير لي أن أبتعد عن هذا الصديق  
الذي يخرج من فمه الساخن حيناً، والبارد حيناً آخر.

وكذلك على المرء أن يتجنب صداقة من يخلط في كلامه عبارات  
الحقد، والقلق، والتشاؤم، والمكر، والخداع.

\* \* \* \* \*

### الضفادع تطلب ملكاً

سئمت الضفادع من ظروف حياتها الفوضوية، فأرسلت لجنة إلى  
الإله زيوس تطلب منه أن يعين ملكاً عليها. ولاحظ زيوس سذاجتها،  
فرمى لها بقطعة خشب في المستنقع. ولاحظت الضفادع أن الخشبة  
لا تتحرك، فأخذت تقفز فوقها، وتجول حولها؛ وسرعان ما سئمت  
منها، واحتقرتها.

ثم طلبت من زيوس أن يرسل لها ملكاً شجاعاً . غضب زيوس  
هذه المرة وأرسل لها أفعى ضخمة، فالتهمت الضفادع واحدة تلو الأخرى.  
ومغزى الحكاية أنه من الأفضل للناس أن يرضوا برئيس سمح،  
مخلص، ومتساهل ومسالماً، من رئيس ناشط ولكنه شرير ودكتاتوري.

\* \* \* \* \*

### الثعالب على ضفاف نهر

اجتمع عدد من الثعالب على ضفاف نهر لتروي عطشها. غير أن



تيار المياه كان قويًا مما جعل الثعالب تحجم عن الاقتراب من النهر. ولكن ثعلبًا من بينهم راح يسخر من جبن الآخرين ؛ وفجأة قفز في النهر، فجرّه التيار بقوة. فصاح به الآخرون : نحن في انتظارك لتعود إلينا، وتخبّرنا بالمكان الذي يمكن أن نشرب منه دون خطر!

وينطبق القول على أولئك الذين يدفعهم الغرور والحماسة إلى الدخول في مغامرات خطيرة.

\* \* \* \* \*

## تاجر التماثيل

صنع رجل تماثلاً لرسول الآلهة «هرميس»<sup>(1)</sup>، وذهب إلى السوق لبيعه. ولما لم يقدم أحد على شرائه، أخذ الرجل ينادي بأعلى صوته: «إنه تماثيل إله كريم، وسيضاعف خيراتكم!»

فتقدم إليه رجل وقال له:

«إذا كان هذا الإله كريماً حقاً كما تزعم، لماذا لا تحتفظ به لنفسك، وتستفيد من خيراته؟! فأجابه البائع:

«لأنني في حاجة إلى المال في الحال، بينما لا يستعجل هذا الإله في توزيع خيراته على صاحبه.»

وتشير الحكاية إلى أولئك الذين يهملون الإله في ساعات اليسر والرخاء، ويذكرونه عند الحاجة.

(1) هرميس (HERMES) : رسول الآلهة عند الإغريق، وإله الطرق، والتجارة.

## النافخ في البوق

بينما كان جندي ينفخ في البوق داعياً الجند للتجمع، أحاط به جنود العدو، فصاح فيهم: «لا تقتلونني، فأنا إنما أنفخ في البوق، ولا أشارك في القتال، وسلاحي الوحيد هو هذا البوق النحاسي». فصاحوا به: «إن ما تفعله أشد من حمل السلاح، فأنت لا تدخل المعركة كفرد، بل تجمع الجنود وتحرضهم على قتالنا».

ومغزى الحكاية هو أن أشد الناس إجراماً هم القادة الأشرار الذين يحرضون غيرهم على ارتكاب الجرائم.

\*\*\*\*\*

## راعي الماعز

بينما كان راعي الماعز يقود قطيعه عبر المراعي، لاحظ أن عدداً من الماعز الوحشية اختلطت بقطيعه، وفي المساء ساق الجميع إلى المغارة التي كان يبيت فيها. وفي اليوم التالي ساد طقس سيئ فلم يستطع أن يخرج بها إلى المرعى.

قدّم الراعي لقطيعه حصّة قليلة من الحشيش الذي كان يحتفظ به في المغارة؛ وقدم للماعز الوحشية حصصاً كبيرة من الحشيش رغبة في أن يحتفظ بها.

وعندما هدأت العاصفة، وخرج بالحيوانات نحو المراعي، انطلقت الماعز الوحشية نحو الربى والجبال التي تعودت أن ترعى فيها فصاح بها الراعي: «أهكذا تفرون مني بعد ما قدمت لكم الرعاية والأكل الوافر؟» فرد عليه الماعز: إن ما فعلته سبب كاف لنحذر سلوكك؛ لقد أحسنت إلينا وفضلتنا على قطيعك لأننا أجانب، وغدا عندما تجمع قطيعاً جديداً تفضله علينا.

ومغزى الحكاية هو أنه ينبغي الحذر من أولئك الذين يهملون صديقاً قديماً، ويهتمون بالجديد. لأن هذا الصديق الجديد سيصبح قديماً، ويعوض بآخر.

\*\*\*\*\*

## الثعلب والنمرة

اجتمع ثعلب ونمرة فأخذ كل منهما يفتخر بجمال هذا وخفة حركاته... فقالت النمرة:

- انظروا إلى فروي المزرکش، وحركاتي المتسقة.. فما أجمل هيئتي ورشاقة حركاتي!.

وقالت الثعلب:

- لا شك أنني أجمل منك؛ فجمالي يكمن في فكري ورقة مشاعري، وسرعة بديهتي..»

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

وكذلك قول الحكيم: المرء بأصغريه، قلبه ولسانه، وليس بمظهره وهندامه.

\* \* \* \* \*

### الطاووس والكركي<sup>(1)</sup>

أخذ طاووس يسخر من طائر الكركي، ويعيب ريشه قائلاً:

- انظر إليّ، إنني مكسوّ بألوان الورد والذهب، أما أنت فلك لون واحد». فأجابه الكركي:

- أنا أحلق في السماء، وأصدح بالقرب من النجوم، بينما تمكث أنت على الأرض مثل دجاجة مبتذلة.

وترمز الحكاية إلى أنه من الأفضل أن يعيش المرء حياة سعيدة في مظهر متواضع، من حياة الكسل والهوان وسط الثراء والرفاهية.

\* \* \* \* \*

### زيوس والنحل

غضب النحل من اعتداء الناس على عسلهم، فذهبوا إلى الإله زيوس، وتوسلوا إليه أن يمنحهم القدرة على قتل من يعتدي على إنتاجهم بلدغة واحدة. غير أن زيوس غضب لهذا الطلب المفرط الوقح، وقرّر عكس ما طلب النحل، أي بأن تموت النحلة عندما تلدغ الإنسان.

(1) الكركي: طائر كبير من فئة طوال الساقين.

وتشير الحكاية إلى المقولة: على الباغي تدور الدوائر.

\*\*\*\*\*

## الثعلب المغامر

هذه حكاية ثعلب جائع، وجد كثيرًا من الخبز واللحم كان الرعاة تركوه داخل جذع شجرة؛ دخل إلى التجويف وأكل حتى انتفخ بطنه، فلم يقدر على الخروج من التجويف، وأخذ يئنّ ويتأوه.

ومرّ بالقرب منه ثعلب آخر، وسمعه يتألم، فسأله عن السبب. حكى له الآخر من داخل التجويف ما حدث؛ فقال له هذا الأخير: ما عليك إلا أن تنتظر حتى يعود بطنك إلى حجمه قبل دخولك إلى التجويف، وتخرج بسهولة.

تشير الحكاية إلى عاقبة الجشع.. وإلى أن الزمن يعالج جميع المشاكل.

\*\*\*\*\*

## العقاب والفلاح

اصطاد فلاح عقابًا وأعجب به، فأطلق سراحه على الفور؛ ولم ينس العقاب للفلاح معروفه. وذات يوم شاهد الطائر من بعيد ذلك الفلاح نائمًا إلى جانب جدار متصدّع يكاد يهوى إلى الأرض؛ فانقضّ العقاب على الفلاح وخطف قبعته؛ فاستيقظ الرجل وركض وراء الطائر ليستردّ قبعته؛ وعاد الطائر فرمى له القبعة أمامه.

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

عاد الفلاح إلى مكانه فلاحظ أن الجدار قد انهار، فأعجب  
بصنيع الطائر.

وتتصح الحكاية بأن يجازي الإنسان أهل المعروف بمثله، أو  
بأحسن منه.

\*\*\*\*\*

### صائد الطيور وطائر اللقلق

نصب صياد شبكته ليصطاد طائر الكركي، وابتعد ليترصده  
الأمور. ووقع طائر اللقلق إلى جانب الكركي فعلق معه في الشبكة.  
وعندما حضر الصياد توصل إليه اللقلق ليطلق سراحه قائلاً: إنني  
مفيد للإنسان، فأنا أكل الزواحف التي تؤذي الإنسان...

فأجابه الصياد: أنت على حق، فأنت طائر مسالم، غير أنك  
جاورت الأشرار، فوقعت في الشبكة.

وكذلك على العاقل ألا يصاحب الأشرار حتى لا يعتبر شريكهم  
في أفعالهم.

\*\*\*\*\*

### طائر السنونو والتنين

شيّدت أنثى السنونو عشها على نافذة في عمارة محكمة كبيرة.

و ذات يوم جاء تتين فأكل فراخها . وعندما اكتشفت ما حصل أخذت تنوح وتنتحب . وسمعتها أنثى سنونو أخرى تنوح فقالت لها :

«هدئي روعك، فلست وحدك في مصابك». فأجابتها :

«لست أنوح لفقدان صغاري فحسب، بل الأمر من ذلك أن العُدوان على فراخي حدث في أكناف محكمة كنت أظنها مكاناً آمناً، ومأمناً للضعفاء مثلي».

والمغزى هو أن المصائب قد تأتي ممن كنا نظنهم من أهل الثقة والأمان . ولكن كما قيل : «من مأمنه يؤتى الحذر».

\* \* \* \* \*

## الرجل الذي يربي النحل

دخل رجل إلى منحلة أثناء غياب صاحبها، وسرق جميع أقراص العسل . ولاحظ مربى النحل، عند عودته، أن المنحلة فارغة، فراح يتفحصها بعناية . وعادت مجموعات النحل إلى مصنعها وعندما وجدته فارغاً، هجمت على مربيها تلسعه بقوة، فقال لها :

«أيتها الحشرات الحمقاء، ألا تفرقون بين من يربيكم ومن يسرق عسلكم؟!».

وكذلك الأمر عند كثير من بني آدم، ينكرون المعروف ، ويجازون الإحسان بالإساءة .

\* \* \* \* \*

## الفلاح والأفعى

عثر فلاح على أفعى في فصل الشتاء، وقد تجمدت من شدة البرد، فأشفق عليها، ووضعها داخل جلبابه. انتعشت الأفعى تدريجياً وعادت إليها قوتها وغريزتها الأولى، فلدغت الفلاح المسكين الذي أنقذها من خطر الموت. وهذا جزاء من يحسن للأشرار.

\* \* \* \* \*

## الثعلب وعناقيد العنب

كان ثعلب جائعاً، وشاهد عناقيد العنب متدلّية من كرمة، فحاول جاهداً أن يصل إليها، ولم ينجح؛ فغادرها قائلاً:

«هذه العناقيد حامضة، إنها لم تنضج بعد».

وهكذا حال بعض الناس، عندما يعجزون عن بلوغ الهدف، ينسبون عجزهم إلى ظروف مختلفة.

\* \* \* \* \*

## الثعلب والأسد

شاهد ثعلب أسداً لأول مرة، فأرعبه منظره، واشتدّ خوفه. ولقيه مرّة ثانية، وثالثة فتعود على لقائه، واقترب منه، وتحدث إليه.



ومثل ذلك الإنسان، يتعود تدريجيًا على مواجهة العمليات المخيفة، ومجابهة الحوادث الخطيرة.

\* \* \* \* \*

## الصرصار والثعلب

شاهد ثعلب صرصارًا «يغني» في أعلى شجرة، ورغب في أكله، فوقف تحت الشجرة، وأخذ يُثني على صوته، وطلب منه أن ينزل إليه قائلاً:

- إنني أودُّ أن أتمتع برؤية مخلوق صغير يطلق هذه الأنغام اللذيذة. غير أن الصرصار خشي أن يكون وراء طلب الثعلب خدعة، فنزع ورقة ورمهاها أمام الثعلب، فهجم عليها الثعلب بقوة.

فقال له الصرصار:

- لقد أخطأت أيها الثعلب إذ ظننت أنني سأغترّ بكلامك، إنني أحتاط من مكر الثعالب منذ أن شاهدت كومة من أجنحة الصراصير أمام مغارة للثعالب.

ومغزى الحكاية هو أن مآسي الآخرين تعلم الرجل الواعي أن يلتزم بالحدز والتعقل.

\* \* \* \* \*

## القسم الثاني



- الشاعر الفرنسي الشهير لافونتان
- نخبة من حكاياته

## لافونتان



ولد لافونتان في CHÂTEAU THIERRY ، بمقاطعة شامباني، بفرنسا، في شهر يوليو (جويلية) من عام 1621، وقضى فترة من شبابه بين أحضانها. كان أبوه أحد مستشاري الملك لويس الثالث عشر؛ ويتولى مسؤولية قطاع المياه والغابات، اتجه في البداية إلى الدراسات الدينية والعقائدية في كنيسة بباريس، ثم تركها واتجه إلى دراسة القانون.

واستجابة لرغبة أبيه، تزوج عام 1647 بفتاة لا يتجاوز سنها أربعة عشر سنة. غير أن زواجه لم يحقق له ما كان يرجوه من حياة سعيدة.

وفي عام 1652، أسندت إليه مسؤولية مراقبة قطاع المياه والغابات، فساعده هذه المهمة على إثراء معلوماته عن الطبيعة، فزاد حبه لها، وتمتع بجولاته في الوديان، والهضاب والغابات، وترك ذلك آثاراً إيجابية عميقة في نفسه.

رزق لافونتان عام 1653 بولد أسماه شارل؛ وبعد بضع سنوات توفى أبوه وترك له وضعاً مالياً سيئاً .

وفي سنة 1658، تعرف على ناظر (وزير) المالية، فوكي (Fouquet) الذي خصص له منحة مالية شهرية ، وأهدى له الشاعر

قصيدة عنوانها «أدونيس»؛ وردّ له الشاعر فضله ورعايته فمدحه بعمل أدبي عنوانه : Le songe de vaux .

وفي عام 1661 ، تقلد لويس الرابع عشر مقاليد الحكم بنفسه، فأبعد فوكي عن منصبه، ثم أودع السجن؛ وبدأ لافونتان يواجه صعوبات كثيرة، لأنه فقد ما كان يتمتع به من رعاية في ظل فوكي، وتدهور وضعه المادي، وكان عليه أن يقترض ليسدد ديوناً عاجلة؛ واضطر لبيع منزله. ومما ضاعف مشاكله أنه اتهم بالتزوير لنيل لقب النبلاء، وحكم عليه بدفع غرامة كبيرة .

وفي سنة 1664، انضمّ إلى خدمة دوقية أورليان في قصر لوكسامبورغ، وبقيت زوجته مقيمة في مسقط رأسه وفي سنة 1670 ترك الشاعر مسؤولياته في قطاع المياه والغابات. وبعد ذلك بقليل توفيت دوقية أورليان، ففقد ما كان يحظى به من رعاية في قصرها .

ومن حسن حظ لافونتان أنه حظي بعد ذلك برعاية السيدة لاصابليار LA SABLIERE ، وكانت سيدة كريمة وفرت له مقاماً مريحاً مكنه من أن يبدع، ويعبر عن أجمل أفكاره. وقد كتب الشاعر يصفها فقال:

«إنها ذات شعر أشقر رمادي؛ ولها عينان بلونهما الأزرق، تشعّ منهما الطيبة واللطافة؛ وجهها بيضوي، وبشرتها نضرة بيضاء؛ لها أجمل يدين وأجمل عنق؛ وجميع ملامحها توحى بقلب طيب، ونفس زكية صافية».

الحكم والمواظ على السنة الحيوانات —————

وقد حظي الشاعر كذلك بعلاقات طيبة مع السيدة لافايات، والسيدة سَفِينِي؛ وقد ساعدته علاقاته مع السيدات المذكورة على اندماجه في المحيط الارستقراطي، وعلى التقرب من شخصيات مهمة، فراح يزور الصالونات ، وخاصة صالون السيدة LA SABLIERE التي كان يجتمع في صالونها العلماء، والأدباء، والفلاسفة. وعندما انقطعت هذه السيدة عن صالونها الأدبي، وانتقلت إلى مسكن متواضع، اصطحبت معها الشاعر.

في عام 1680، حاول لافونتان أن يحصل على مقعد في الأكاديمية الفرنسية، غير أن الملك فضل أن يعطي المقعد للأديب بُوَالو، المؤرخ الرسمي للملك. وانتخب الشاعر إلى الأكاديمية سنة 1684 .

وبعد وفاة السيدة لاصابليار عام 1693، لقي الشاعر مسكناً ورعاية لدى أحد الأثرياء. وفي السنة نفسها أعلن أمام جماعة من رجال الأكاديمية، عن نبذه لبعض الأعمال التي كتبها والتي تمس بالأخلاق الفاضلة. وكرس وقته لترجمة أناشيد وتراتيل دينية.

توفي لافونتان في باريس، سنة 1695.

\*\*\*\*\*

### نبذة عن أعماله :

قضى لافونتان معظم حياته في باريس، حيث تعرف على شخصيات مهمة، واطلع على مؤلفات عظماء الكتاب والفنانين، وتجوّل في حدائق القصور المزخرفة، وشاهد اللوحات الفنية التي ألهمت

خياله، ووجد في صالون السيدة لاصابليار مساعدة كبيرة، فتمكن من مجالسة رجال البلاط والأوساط الارستقراطية.

بدأ الشاعر إنتاجه الأدبي متأخراً (حوالي سنّ الأربعين) . وقد مرت حياته بمراحل مختلفة: مرحلة الأحلام؛ مرحلة الحياة الاجتماعية الثرية؛ مرحلة الضغوط المادية؛ مرحلة التكر له... إلخ .

مارس الشاعر أنواعاً مختلفة من الأدب : قصائد المناسبات؛ القصص؛ الرواية الأسطورية .. إلى أن اكتشف موهبته المفضلة وهي «الحكايات على ألسنة الحيوانات» استوحى معظمها من كتاب سبقوه إلى هذا الفن . وكانت هذه الحكايات هي التي أكسبته شهرة عالمية، وخلدت ذكره؛ وأصبحت تستعمل ضمن الكتب المدرسية، عبر الأجيال، فأصبحت ميراثاً ثقافياً لجميع الفرنسيين على مختلف أعمارهم.

وقد أصدر لافونتان بين سنة 1668 و1694 مجموعات واسعة من حكاياته الشائعة على ألسنة الحيوانات التي جمعت بين القصائد الغنائية؛ والأفكار الفلسفية؛ والأساطير؛ والواقعية؛ وتضمنت تأملات وحوارات أخلاقية وسياسية .

وصدق عندما قال عن حكاياته: «إنها مسرحية واسعة تجمع بين ثناياها مائة مشهد متنوع». فقد كان خبيراً بطبائع الحيوانات وسلوكها، وردود أفعالها، وأساليب كفاحها من أجل البقاء، فصورها كأنها مخلوقات ذكية، بارعة في طلب قوتها، حكيمة وحذرة من أعدائها، متعاونة فيما بينها . كان الشاعر يحب الحيوانات ويدافع عنها ، لذلك

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

برع في إلقاء الحكم والمواعظ على أسنتها ، كما قال «إنني أستخدم الحيوانات لتعليم الإنسان» .

إن حكايات الشاعر ليست موجهة للتلاميذ فقط كما يظن البعض، بل إنها تقدم لنا تعاليم بيداغوجية، وتثير في النفس تساؤلات فلسفية، وتتضمن معلومات ثقافية متنوعة، وإرشادات أخلاقية بأسلوب يسلي الأطفال ويثقف البالغين فهي بذلك مرآة تكشف سلوك البشر بما فيهم من خير وشرّ ، صلاح ، وفساد، إحسان وعدوان، وفاء وخيانة، أنانية وعدوانية، مكرّ واحتيال؛ كما تكشف لنا الإنسان في سعيه الدؤوب وراء حاجاته ومصالحه الفردية، وما يصاحب ذلك من طموح نحو السيطرة واستغلال القوي للضعيف.

الإنسان كما قيل خلاصة ما في العالم من عجائب؛ وحكايات الحيوانات مسرحية يلعب فيها الإنسان الدور الذي تؤهله له إمكانياته. وهي تتألف من قسمين : الجسم (أو الشكل) ، والروح. فالجسم هو شكل الحكاية، والروح هي المغزى الأخلاقي والثقافي الذي تهدف إليه.

يحدثنا الشاعر عن الفلاح ، والمزرعة؛ وعن الراعي وقطيعه؛ وعن الحطاب وفأسه، وهو يتجول في الأدغال ليجمع قوت عياله؛ وعن الطباخ، والخدم.. ولكنه لا ينسى الحديث عن الأمراء، ورجال البلاط، وقد سيطر النفاق والتملق على سلوكهم؛ وعن الأثرياء، وهم مزهوون بملابسهم المزركشة مثل الطواويس؛ وعن أصحاب المزارع الذين يمتطون خيولهم ويذهبون لمراقبة حقولهم وسير أعمالهم؛ ويحدثنا عن الأخيار والأشرار.

فحكاياته تشمل كذلك الحديث عن البخيل الذي يكتنز ثروته ليستولى عليها اللصوص والورثة؛ ويصور لنا مشاهد من حياة الرجل المغرور، والبخيل، والمنافق، والمتهور، والجبان، والأحمق، والجاهل، والحسود، والطماع، والمعجب بنفسه، وناكر المعروف... إلخ .

وإذا كان لافونتان يشيد في حكاياته بالأخلاق الفاضلة، مثل الإحسان، والوفاء، والصدق، والتسامح، والتعاون... إلخ، فإنه لا يرحم الحيوانات التي تمثل صفات العدوانية مثل الذئب، والضبع والدب؛ ويعطي للثعلب دوره الذي اشتهر به وهو المراوغة والاحتيال؛ ويعطي للفأر تارة دور البطل الذي يُنقذ بأسنانه الحادة حيواناً من شبكة الصياد؛ وطوراً دور المغفل لأنه وضع رأسه بين فكي محارة فأطبقت عليه؛ ويسخر من الشخص الضعيف الذي يدعي القدرة على حل المشاكل فيمثله بالذبابة التي ادّعت أنها هي التي أنقذت العربة التي علقت في طريق وعْر ، وطلبت من الخيل أن يدفعوا لها أجر تعبها؛ ويشبه الشخص المغفل بالغراب الذي انخدع بمدح الثعلب لصوته، وكان في فمه قطعة من الجبن، ففتحه ليغني فسقط الجبن وأكله الثعلب؛ وتمثل حكاية النملة والحمامة مثل الشخص الذي يجازي المعروف بمثله، إذ أنقذت كل منهما الأخرى من الهلاك؛ وفي حكاية أخرى أقنعت الضفدعةُ الفأرَ بأن تنقله في رحلة ممتعة عبر النهر، وربطه في رجلها، وكان هدفها أن تغرقه وسط النهر، وشاهدت حدأة الصراع في النهر، فانقضت عليهما، ولقيت الضفدعة جزاءها لأنها كانت مربوطة إلى الفأر؛ ومن الأمثلة على نكران المعروف حكاية الأفعى التي أنقذها الفلاح من الموت، ثم لدغته؛ وإشارة إلى الشخص الذي يفتخر بنسبه



يذكر الشاعر حكاية بغل ظلّ يفتخر بأمه الفرس، ويمدح مميزاتاها، ولم يذكر أباه الحمار إلا بعد أن شاخ واستخدم ليدير الطاحونة .

وينصح الشاعر لافونتان في بعض حكاياته الإنسان بأن يتصرف حسب طبعه وإمكانياته، وأن يتجنب التقليد الأعمى، فيحدثنا عن الثعلب الذي لبس جلد الذئب؛ والحمار الذي ارتدى جلد الأسد، والغراب الذي أراد أن يقلد العقاب، ففشلوا في محاولاتهم . وفي حكاية أخرى يحدثنا عن ذكاء بومة وضعت عشها على شجرة، وكان بالقرب منها مغارة يسكنها الفئران، فلجأت البومة إلى قضم أرجل الفئران، وكل مواليدها الجديدة، لكي لا تفر منها، والمسلّي في هذه الحكاية أن البومة ظلت تجلب الغذاء للفئران لأنهم غير قادرين على الحركة، ولتجد البومة غداء أمام عشها دون عناء؛ وللشاعر إشارات عديدة على أن قانون القوى هو الذي يسود العالم فيقول: «إذا كان الأسد جارك فما عليك إلا أن تصادقه، أو تبتعد عنه».

وهكذا استطاع لافونتان بقوة ملاحظته وأسلوبه الشيق وحكاياته الممتعة أن يسجل مشاهد رائعة عن سلوك عالم الحيوانات، وأن يعرض علينا كثيراً مما خلفه الأولون من حكم وتجارب، إنها مشاهد طبيعية تزخر بالحياة، تشمل الفلاحين ، وحقول القمح، والغابات، والحطابين، والمزرعة، والنهر، والأسماك، وصائدي الأسماك، والحجل، والقطعان، وكذلك القصر، والمطبخ، والبستان، وكذلك الاصطبل، والخيل، وأكواخ الفقراء... إلخ.

قال أحد أصدقاء الشاعر: «كان لافونتان ذا نفس ذكية، طيبة،

صادقة؛ تَضُمُّ بين جوانحها أطيب قلب؛ كان يتصرف بأسلوب بديهي،  
لازيف فيه، ولا نفاق» .

وقالت عنه السيدة لاصابليار: «كان رجلاً متواضعاً ، طيب القلب،  
صادقاً في مشاعره، تتمثل فيه براءة الأطفال؛ بعيداً عن النفاق والتملق  
الذي يشوب سلوك كثير من الناس».

كان الشاعر معجباً بالنساء الجميلات، لا ينسى نصيبه من متع  
الحياة وملذاتها . ومن أقواله:

«لي قلب غير راض عن نفسه، إنه يرغب، ويحب، ويمرح ويتمتع،  
ولكنه لا يلتزم برغبة واحدة طويلاً» . وقال :

«منع الحكماء مئات المشاعر، والرغبات، والشهوات، ولكن وجدتُ  
أنه ليس في قدرتي أن أعيش دون ملامسة أيِّ ذنب مثل الناسك؛  
وأعتقد أن القلب البارد هو أشبه بحالة العدم».

كان الشاعر يحبذ السعادة التي ينعم بها المرء وسط بيئة تسودها  
السكينة، والقناعة، والمحبة، ويقول عن العزلة والخلوة:

«إنها توفر لمن يحبها أوقاتاً آمنة، طيبة، صافية؛ إنها عزلة أجد  
فيها متعة سحرية، وخلوة أجدها في الأماكن التي أحببتها، وتمتعتُ  
فيها بالظلال الوارفة وسط المروج الخضراء، ومشاهد الطبيعة،  
ونسائم الصباح والغروب المنعشة، أماكن أشعر فيها بهدوء الفكر،  
وراحة البال، بعيداً عن الماكرين ، والمخادعين، والمتوحشين، من الذين  
ينقضون قوانين المجتمع وسنن الطبيعة».

\* \* \* \* \*

نخبته  
من  
حكايات لافونتان



## الفلاح وأولاده

شعر الفلاح بدنو أجله ، فجمع أولاده وقال لهم لا تتبعوا قطعة الأرض التي ورثناها عن أجدادنا، لأن في جوفها كنزاً ثميناً لا أعرف مكانه، ولا بد أن تجدوه إذا بحثتم عنه. ولما توفي الأب راح الأولاد يحفرون الأرض ويحراثونها مرة تلو الأخرى، بحثاً عن الكنز. ولما يئسوا من العثور عليه، زرعوا الأرض فجاءت غلالها أضعاف ما كانت تغله. ودفن الأولاد إلى مغزى وصية أبيهم: العمل كنز .

\*\*\*\*\*

## عربة الخيل والذبابة

توقفت عربة الخيل في طريق وعر، ولم تقدر الخيول الستة على جرها، فنزل الركاب ليساعدوا على دفعها. وجاءت ذبابة فراحت تقفز من حصان إلى آخر، وهي تعتقد أن طنينها سينشط الخيل. وبعد جهد كبير اجتازت العربة الطريق الوعر، فطلبت الذبابة من الخيل أن يدفعوا لها أجر تعبها .

\*\*\*\*\*

## الحذاء ورجل الأعمال

كان الحذاء فقيراً راضياً بنصيبه سعيداً مرتاح البال، يعمل ويغني طوال النهار في دكانه الصغير. وكان له جار، رجل أعمال ثري، يقضي نهاره قلقاً متوتراً، ولا يسعد بلذة النوم ليلاً. فجاء يوماً إلى الحذاء وسأله كم تريح في السنة؟ أجاب الحذاء: لا أعرف، إنني أفكر في رزق يومي فقط. فأهداه مبلغاً كبيراً من المال وطلب منه أن يخفيه في مكان مأمون، لينفقه عند الحاجة.

لم يصدق الحذاء أنه أصبح غنياً فأخفى ثروته، وراح يتفقدتها كل يوم بل كان ينهض أحياناً ليلاً كلما سمع حركة مريبة. وبعد مدة بدأت تظهر عليه علامات القلق والتوتر، وجفاه النوم وراحة البال، وذات يوم ذهب إلى رجل الأعمال وقال له: خذ مالك، وأعد إلي راحة البال، أريد أن أغني كما كنت أفعل في دكاني الصغير.

\* \* \* \* \*

## الأسد والذبابة

سخر أسد من ذبابة واحتقرها، فهجمت عليه تلدغه في الأماكن الحساسة، في عينيه ومنخره وأذنيه. ولم تجد الأسد أنيابه ومخالبه، فراح يضرب بذيله ويدور حول نفسه دون جدوى. أعلنت الذبابة انتصارها، وراحت تنتقل مسرورة من مكان إلى آخر فوقعت في بيت عنكبوت ولقيت حتفها.

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

ومغزى الحكاية هو أنه ينبغي للمرء ألا يستخف بالخصم الضعيف، وأنه قد ينجو من خطر عظيم ليلقى حتفه في حادث بسيط.

\* \* \* \* \*

### الأبله والحكيم

كان رجل أبله يشتم رجلاً حكيمًا ويرميه بالحجارة، فناداه الحكيم وقال له خذ هذه القروش مقابل تعبك، ليس لي غيرها. ولكن انظر إلى ذلك الرجل الثري، لو رميته بالحجارة لنت منه أضعاف ما حصلت عليه مني. فركض الأبله إلى الرجل الغني يشتمه ويرميه بالحجارة، ولكن سرعان ما هجم عليه الخدم وضربوه ضرباً مبرحاً .

المغزى : إذا لم تقدر على معاقبة من أساء إليك، حاول أن توقعه في حبال من يستطيع ذلك .

\* \* \* \* \*

### الأسد والذئب والثعلب

مرض الأسد فجاءته الحيوانات تتمنى له الشفاء وتقدم النصائح لعلاجه، إلا الثعلب لم يمثل بين يديه. فقال الذئب للأسد: لا أرى الثعلب بين زوار ملك الغابة، وإنني أتساءل ما الذي أخره؟ فأرسل الأسد من يأتي بالثعلب، وعلم هذا الأخير أن الذئب وشى به. قدم الثعلب

اعتذاره للأسد قائلاً: أرجو أن يعذرني ملكنا، شفاه الله، إذا تأخرت عن زيارته. لقد ذهبت إلى الحج وكنت أدعو لكم بالشفاء كل يوم . وأثناء سفري التقيت بالعلماء والأطباء، فأخبرتهم بمرض جلالتك، وأشاروا بأن أفضل علاج هو أن تأكلوا لحم الذئب وترتدوا جلده ليلاً ووقاية من البرد. فأمر الأسد بأن يقتل الذئب حالاً لتنفيذ نصيحة الثعلب.

ومغزى القصة أنه على من يعاشر ذوي السلطة أن يحفظ لسانه، لأن من حضر حفرة لأخيه قد يقع فيها .

\* \* \* \* \*

### صاحبة الحليب

بينما كانت فلاحه تحمل قدر حليب على رأسها، وهي في طريقها إلى المدينة لتبيع حليبها، راحت تتخيل كيف أنها ستشتري بمبلغ الحليب، مائة بيضة فتعتني بحضنها لتنتج مائة دجاجة؛ فتبيعها وتشتري أنثى خنزير تنتج لها خنازير كثيرة؛ فتبيعها وتشتري بقرة تلد لها كل سنة عجلاً.. إلخ فسرت بمنظر الأبقار في حقلها، وبدأت ترقص فرحاً فسقط قدر الحليب من على رأسها، وذهبت أحلامها مع الحليب المسكوب.

\* \* \* \* \*

### الغراب والثعلب

بينما كان غراب فوق غصن يمسك في منقاره قطعة جبن، رآه

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

ثعلب فدنا منه وحياه قائلاً: ما أجمل منظرك وألطف هندامك أيها الطائر الجميل! ولو كان صوتك جميلاً مثل منظرك لكنت حقاً سيد الطيور. وفتح الغراب فاه ليسمعه صوته فسقطت قطعة الجبن. أكلها الثعلب وقال للغراب: اعلم يا سيدي أن المادح يعيش على حساب ممدوحه.

\* \* \* \* \*

### الذئب والحمل

بينما كان حمل يشرب من جدول، جاءه ذئب وقال له: كيف تتجراً على تعكير الماء الذي أشرب منه؟ فأجابه الحمل كيف أعكر ماءك وهو ينحدر من الجهة التي تشرب منها نحو مكاني هذا؟ فرد عليه الذئب: وزيادة على ذلك فقد شتمتني في العام الماضي! فأجاب الحمل: كيف يكون ذلك يا سيدي، وأنا لم أولد إلا في هذه السنة! فقال الذئب بصوت غاضب: على أية حال إن لم تكن أنت فقد شتمني أحد أقاربك؟ وهجم عليه فافترسه.

ومغزى هذه الحكاية: قانون القوي هو الصحيح دائماً.

\* \* \* \* \*

### الحمامة والنملة

بينما كانت حمامة تشرب من جدول إذ شاهدت نملة تتخبط في الماء فرمت إليها قشة لتساعدتها على الوصول إلى حافة الجدول.



وطارت الحمامة إلى غصن شجرة مجاورة فرآها صياد، وبينما هو يستعد لرميها بسهمه عضته تلك النملة في رجله، فطأطأ رأسه ليبعد الحشرة. في هذه اللحظة شعرت الحمامة بحركة الصياد ونجت بنفسها.

ومغزى هذه الحكاية أن «من يفعل الخير لا يعدم جوازيه».

\*\*\*\*\*

## الثعلب والذئب والحصان

شاهد ثعلب وذئب حصاناً لأول مرة، فاقتربا منه ليتعرفا عليه. حيّاه الثعلب قائلاً: ما اسمك أيها الحيوان الجميل؟ أجاب الحصان: لقد كتب الحدّاء اسمي على حافري يمكنك أن تقرّاه يا سيدي. فاعتذر الثعلب لكونه لم يتعلم القراءة، قائلاً إنه يترك قراءة الاسم لرفيقه الذئب لأنه مخلوق مثقف جداً. ابتهج الذئب بهذا المدح، وتقدم إلى حافر الحصان ليقرأ اسمه، فركله الحصان ركلة حطمت أسنانه وألقتة على الأرض يعوي من الألم. فاقترب منه الثعلب وهمس في أذنه: ألم تسمع بالحكمة القائلة «لا تثق بمن لا تعرف».

\*\*\*\*\*

## الحيوانات مريضة بالطاعون

أصاب الطاعون الحيوانات، فجمعها الأسد وخطب فيها قائلاً:

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

لاشك أن الله سلط علينا هذا المرض العضال لينتقم منا بسبب ما ارتكبنا من أعمال شريرة. فليعترف كل منّا بذنوبه لعل الله يعفو عنا. وأبدأ بنفسى فأعترف بأنني كنت قاسياً أحياناً، فافترت بعض الأغنام وعدداً من الرعاة. وتقدم الثعلب فقال: أيها السيد النبيل ما أطيب قلبك! إنه لشرف كبير للحيوانات أن تفترسها، فصفق الحاضرون.

واعترفت الحيوانات المفترسة الأخرى مثل النمر والدب.... ، بما فعلت، فلم يجد أحد أعمالها ذنباً. وفي النهاية تقدم الحمار فاعترف بأنه أكل الحشيش من أحد المروج، وأنه الآن يأسف حقاً لما فعل. فصاح الحاضرون إنه جرم كبير، ليحاكم الحمار. وتكلم الذئب فأكد أن أكل حشيش المروج ذنب لا يغفر، وأنه سبب هذا الطاعون الذي سلطه الله علينا، ولا يمحو جريمة الحمار إلا القتل.

ومغزى الحكاية أنك بريء ما دمت ذا قوة وسلطان، ومذنب إذ كنت فقيراً ضعيفاً.

\*\*\*\*\*

## الصرصار والنملة

ظل الصرصار يغني طوال فصل الصيف، ولكن عندما حلَّ فصل الشتاء وجد نفسه بدون طعام، فاشتد به الجوع، وذهب إلى جاراته النملة يرجوها أن تقدم له شيئاً من الطعام يسدُّ به رمقه، ويسكت جوعه.

سألته النملة :

- وماذا كنتَ تفعل في فصل الصيف عندما كان الناس يجمعون  
أقواتهم؟ فقال لها الصرصار:  
- كنتُ أغني طوال فصل الصيف.  
- إذا اذهب واقض فصل الشتاء في الرقص!  
«الجدُّ في الجدِّ، والحرمان في الكسل».

\*\*\*\*\*

## الضفدعة المغرورة

شاهدت ضفدعة بقرة سمينية فأعجبت بشكلها، وحسدتها على  
ضخامة جسمها، فقررت أن تصبح مثلها، وأخذت تأكل وتشرب دون  
توقف، وراح بطنها ينتفخ بلا حدود، وواصلت سعيها ليلاً ونهاراً،  
مصممة على أن ينتفخ جسمها حتى يبلغ حجم البقرة. ولكن هيهات،  
أنى لضفدعة أن تبلغ حجم البقرة؟!  
وهكذا نجد في الحياة كثيراً من الناس يدفعهم الغرور والطمع،  
فيسعون إلى هلاكهم وبئس المصير.

\*\*\*\*\*

## البغلان

كان بغلان يسيران في الطريق أحدهما على ظهره حمل من  
الزرع، والآخر يحمل كيساً من المال. وكان هذا يمشي رافعاً رأسه

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

مفتخرًا بحمله الثمين. وفجأة خرج عليهما جماعة من اللصوص فهجموا على حامل كيس المال، فحاول الهرب، فطعنوه بخناجرهم وأخذوا المال.

قال حامل المال، وهو في النزاع الأخير:

- أهكذا يكون مصيري؟! وأنا صاحب الكنز الثمين.

فأجابه رفيقه :

- ليس من الحكمة دائمًا أن يطلب المرء المركز الرفيع، فقد اخترت أن تكون خادمًا مهما في إدارة جمع الضرائب؛ ولو اقتنعت مثلي بخدمة فلاح بسيط لما لقيت هذا المصير التعس.

\* \* \* \* \*

## العجلة والعنزة والخروف

يحكى أنه في قديم الزمان قرّرت عجلة وعنزة وخروف أن يؤسسوا شركة مع أسد كان في جوارهم، على أن يقتسموا الربح والخسارة. وبينما هم سائرون عثروا على غزال كان قد وقع في فخ. فسارع الأسد وقال: هذه الغنيمة تقسم على أربعة.

- القسم الأول لي بصفتي ملك الغابة، ولا أعتقد أن بينكم من يعارض هذا القرار .

- القسم الثاني يعود لي وحدي وفقاً لقانون : الحق للأقوى.
- وبما أنكم جميعاً تعترفون بأنني أشجعكم ، وأعلاكم همة، فإنني أطالب بالقسم الثالث .
- وإذا تجرأ أحدكم أن يقترب من القسم الرابع، أو يحاسبني عليه، فسأخنقه قبل أن يمدّ يده إليه .

\*\*\*\*\*

## حكاية الموت والحطاب

هذه حكاية حطاب فقير كان عائداً من الغابة إلى منزله، وهو يحمل كعاداته حزمة من الحطب على ظهره . كان يسير متعباً بخطى بطيئة، وطال عليه طريق العودة، فوضع الحزمة جانباً، وجلس يستريح قليلاً. لقد أنهكته السنون، فراح يتمتم لنفسه:

يا لها من حياة قاسية، الفقر، والمرض، ومشقة هذا العمل المظني؛ ولكن لا بدّ من كسب العيش، وتسديد الدين. تنفس الصعداء مرة أخرى منادياً: أين أنت أيها الموت لتتقذني...

وما أن تلفظ بهذه العبارة حتى مثل الموت أمامه وسأله: ماذا تطلب أيها الحطاب؟ فتردّد هذا الأخير محتاراً ثم أجابه :

إنما دعوتك لتساعدني على وضع حزمة الحطب على ظاهري.

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

لا شك أن الموت يشفي كل شيء، غير أن الإنسان في نهاية المطاف  
يتمسك بالأمل، ويفضل أن يتحمل المتاعب على أن يفارق الحياة.

\* \* \* \* \*

## شجرة البلوط والقصبة

قالت شجرة البلوط للقصبة: من حقدك أن تشتكي سوء حظك  
للطبيعة، فإن أصغر طائر يحطّ عليك هو عبء ثقيل يحني رقبتك؛  
وأخفّ نسمة تمرّ تهزّك؛ أما أنا فشجرة قوية، وجبهتي صامدة مثل  
قمة جبال القوقاز، تتصدّى لأشعة الشمس، وتصمد أمام العواصف  
العنيفة؛ ولو ساعدك الحظ وكنت قريبة مني لحميتك من العواصف.

فأجابتها القصبة: لا تقلقي علي أيتها الشجرة، فإن العواصف لا  
تخيفني، فأنا أهتزّ وأنحني، ولكن لا أنكسر. ولا تنخدعي بضخامتك،  
ولننتظر العواقب!

وبينما هما يتحاوران ظهرت في الأفق عاصفة عاتية؛ وصمدت  
الشجرة في مكانها، لا تتحني ولا تتحرك، وراحت القصبة تتحني يميناً  
وشمالاً وفي كل اتجاه، مرنة، لينة مطاوعة. واشتدت قوة العاصفة  
لدرجة أنها اقتلعت الشجرة من جذوعها. وسلمت القصبة الصغيرة  
بفضل مرونتها.

\* \* \* \* \*

## الذئب والثعلب يحتكمان إلى القرد

رفع الذئب قضية أمام القاضي القرد يتهم فيها الثعلب بالسرقة. ومثل الاثنان أمام القاضي (القرد)، واجتهد الذئب بكل ما أوتي من فصاحة وقوة ليثبت التهمة ضد الثعلب. واجتهد هذا الأخير بكل ما أوتي من دهاء وحماس ليثبت براءته.

وطال الجدل ، واشتد الصياح والنزاع، وتبادل الاتهامات... وأخيراً نطق القاضي بالحكم فقال:

«بناء على ما أعرفه عن كل واحد منكما منذ زمن طويل، وعلى ما اشتهرتما به من عدوانية ومراوغة وسوء النية، قررت المحكمة أن يدفع كل واحد منكما غرامة: أنت أيها الذئب لأنك تعودت على التشكي حتى وإن لم يؤخذ منك شيء؛ وأنت أيها الثعلب لأنك تعودت على النكران والتحايل حتى إن كانت التهمة ضدك ثابتة».

وهكذا رأى القاضي أن يحكم على من عرف بسوء السمعة والمكر والخداع، لأنه لا يُصدّق حتى وإن صدق في دعواه .

\* \* \* \* \*

## الأسد والذبابة

سلمت ذبابة على أسد فازدراها وشتمها . فقالت له: هل تظن أن

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —

كونك ملك الغابة يقلقني أو يخيفني؟ إعلم أيها الأسد أنني لا أخشى أقوى الحيوانات. ثم ابتعدت الذبابة قليلاً، ولكنها قرّرت أن تأخذ بثأرها وتعلم الأسد درساً لكي لا يحتقر من هو أصغر منه حجماً. فهجمت عليه بقوة تلدغ منخريه، وعينيّه، وأذنيه. وأخذ الأسد يزار، ويرغي، ويُزبد، ويلوح بذيله، وينفض أذنيه، ويتمرغ في التراب حتى كاد يجن جنونه.

وعندما حققت الذبابة مرادها، طارت في طريقها تترنم مزهوّه بانتصارها. غير أن فرحها لم يدم طويلاً، فبينما هي سائرة في طريقها نصب لها عنكبوت شبكته، فلقيت فيها حتفها.

وتعلمنا الحكاية أنه لا ينبغي للمرء أن يحتقر مخلوقاً لأنه أضعف أو أصغر منه؛ وأن الإنسان قد ينجو من خطر كبير، ويلقي حتفه لسبب صغير.

\*\*\*\*\*

### الحمار الذي يحمل كيساً من الاسفنج والحمار الذي يحمل كيساً من الملح

كان رجل يسوق أمامه حمارين أحدهما على ظهره حمل من الاسفنج، والآخر حمل من الملح. وبعد مسيرة طويلة وصلا إلى نهر عميق، وزلقت رجل الحمار الذي يحمل الملح، فتخبّط قليلاً في النهر، ثم قفز مسرعاً ونجا بنفسه. ذلك أنه بعد أن تمرّغ قليلاً في النهر ذاب الملح فأصبح حمله خفيفاً.



وحاول الحمار الذي يحمل الاسفنج أن يقلد رفيقه، فغطس في  
النهر، فامتلاً الاسفنج بالماء، ولم يستطع الحمار أن ينهض بعبئه ففرق.  
ومغزى الحكاية أنه ينبغي للمرء ألا يقلد غيره دون أن يفكر في  
العواقب.

\*\*\*\*\*

## الأسد والفأر

بينما كان أسد مستلقياً في عرينه، مرّ بين مخالبه فأر، فنظر  
ملك الغابة إليه بعطف وتركه يواصل دربه. ثمّ حدث بعد ذلك أن وقع  
الأسد في شباك صياد، وراح يزأر ويتخبط في الشبكة دون جدوى.  
وصادف أن مرّ ذلك الفأر بالمكان، وشاهد الأسد في محنته،  
فهرع إليه، وأخذ يقرض الشبكة بجدّ وحماس، ونجح في النهاية في  
إنقاذ الأسد اعترافاً له بالمعروف.  
وهكذا سنة الحياة، من يفعل الخير لا يعدم الجزاء، وكثيراً ما  
يحتاج الإنسان إلى مساعدة من هو أصغر منه.

\*\*\*\*\*

## المنجم

وقع منجم ذات يوم في بئر، فقال له بعض من حضروا لإنقاذه:

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

«أيها المسكين، بما أنك لا تستطيع أن ترى أين تضع رجلك، فكيف تزعم أنك ترى ما تخفيه النجوم!».

إن هذه الحادثة ينبغي أن تكون درساً لكثير من الناس. فكثير هم أولئك الذين يدعون بأنهم يتنبأون بحوادث المستقبل، ويقرأون ما خفي في سجلات الأيام والمصير. والواقع أن ما سيحدث في المستقبل هو من علم الغيب، وفي حكم القضاء والقدر. وما قد يُوفَّق إليه بعض «المنجمين» إنما هو من قبيل الحظوظ والمصادفات .

\* \* \* \* \*

## الديك والثعلب

مرّ ثعلب فشاهد ديكاً في أعلى شجرة، فسلم عليه وقال له: أيها الصديق ، لقد جئتك بخبر يسرك، لقد انتهت حالة الحرب بيننا وحلّ عهد السلم والأمان؛ فانزل لحظة لأعانقك وأواصل طريقني لأبلغ الآخرين بالنبأ السار .

ولكن هذا الديك كان فظناً ومجرّباً، فأجاب الثعلب من أعلى الشجرة:

أشكرك أيها الصديق، لقد أسعدني هذا الخبر كثيراً، ولكن انتظر، إنني أرى سلوقيين قادمين، لا شك أنهما يحملان نفس الخبر الذي جئتني به، سأنزل عندما يحضران لنتعانق جميعاً .

وما أن سمع الثعلب كلام الديك حتى أجاب: إنني مستعجل يا صديقي، وطريقي طويل، أودعك الآن، سنحتفل بالخبر السعيد في فرصة أخرى.

وشعر الديك بالغبطة لأنه استطاع هذه المرة أن يخدع الثعلب الماكر.

\*\*\*\*\*

### الغراب الذي قلد العقاب

شاهد غراب ذات يوم عقاباً قوياً ينقض على خروف صغير ويحلق به بعيداً، فأراد أن يقلده، فراح يحوم حول قطيع من الغنم، وشاهد كبشاً سميناً أعجبه، فانقض عليه، ونشب مخالفه في صوف الكبش الكثيفة. غير أنه لم يستطع أن يرفعه ويطير به.

قررّ الغراب أن ينجو بنفسه، غير أن مخالفه علقت بصوف الكبش، فصعب عليه التخلص من ورطته. وأسرع إليه الراعي فقبض عليه ووضع في قفص، وأهداه إلى أولاده ليتسلوا بمداعبته.

وهكذا على المرء أن يعرف حدود إمكانياته، وألاً يقحم نفسه فيما لا قدرة له على إنجازه.

\*\*\*\*\*

### الطاووس يشكو حظه إلى السماء

إلهي أرجو أن تسمع شكواي: إن صوتي لا يعجب الناس،

الحكم والمواظ على السنة الحيوانات —————

ولا ينعش الطبيعة. إني أشاهد البلبل، ذلك الطائر الصغير، وقد وهبهُ  
الله أنعاماً لذيذة تنعش الربيع وتدخل البهجة على قلوب الناس.

فأجابته السماء غاضبة: أقلع عن حسدك للبلبل، فها أنت تحمل  
ريشاً مزخرفاً يبهج النفوس مثل قوس قزح؛ فهل هناك من طائر حولك  
يلبس رداء حريراً مزخرفاً مثل رداك؟ ألا ترى أن كثيراً من الناس  
معجبون بجمال ريشك؟

إن السماء لا تعطي لجميع الطيور جميع الامتيازات، بل توزع  
عليها مظاهر الجمال والقوة والذكاء والعظمة.. وعلى كل طائر أن  
يرضى بحظه. فتوقف أيها الطاووس عن الشكوى، واقنع بما لديك،  
وإلا فسنتزع عنك رداك .

\* \* \* \* \*

## الضفادع تريد ملكا

استولى الملل على الضفادع من الحكم الديمقراطي، فتوجهت إلى  
الإله جوبيتر<sup>(1)</sup> وطلبن منه أن يغير نظامهن إلى حكم ملكي. فأرسل  
إليهن ملكاً لطيفاً، هادئاً، ضعيفاً. ورغبت الضفادع في التعرف على  
ملكها فراحت تقترب من منزله شيئاً فشيئاً، يوماً بعد يوم. واكتشفت  
هدوءه وضعف شخصيته فازدادت جرأتها عليه .

(1) كبير الآلهة عند قدماء الرومان.

وذات يوم توجهت الضفادع إلى الإله جوبيتر وطلبت منه أن يبعث لها ملكاً ناشطاً وشجاعاً. فغضب جوبيتر وأرسل إليهن «كركيا»<sup>(1)</sup> وما أن حلّ هذا الطائر الشرير بمنازلهن حتى انقض عليهن يفتك بهن واحدة تلو الأخرى. فثارت الضفادع تشكو مصيرها مع هذا الملك العدواني. فكان جواب الإله جوبيتر:

هل تريد الضفادع أن تفرض رغباتها على السماء؟ لقد رفضتّ الحكم الديمقراطي، وكان عليك أن ترضين بملككن الأول الحليم المتسامح؛ والآن أقول لكن: عسى أن تكرهن شيئاً وهو خير لكن.

\* \* \* \* \*

## الثعلب والتيس

طلب الثعلب ذات يوم من التيس أن يرافقه في إحدى جولاته. وطال بهما السير، وشعرا بالعطش. وجدا بئراً فنزلا معاً ليروي كل منهما عطشه. كان التيس حيواناً شجاعاً، ولكنه لا يملك دهاء الثعلب.

وبعد أن ارتوى كل منهما قال الثعلب للتيس: كيف السبيل إلى الخروج من البئر، أيها الرفيق؟ ولكن عندي فكرة صائبة، فما عليك إلا أن ترفع رجلك وقرنيك على الحائط، وسأصعد أنا على ظهرك وقرنيك، ثم أخرجك من البئر بسهولة.

استجاب التيس لفكرة الثعلب قائلاً: أشهد أنك عبقري! وما أن خرج الثعلب من البئر حتى راح يسخر من التيس قائلاً: لو أن الله

(1) طائر عظيم طويل الساقين .

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

رزقك من العقل بمقدار وزن لحيتك ما كنت لتغامر بالنزول معي إلى  
البئر. والآن وداعاً يا رفيقي فإن لي أشغالاً أخرى تنتظرنني.

\* \* \* \* \*

## العقاب والقطة والخنزيرة البرية

كان العقاب يرعى صغاره في تجويف في أعلى شجرة ضخمة.  
وكانت القطة تربي صغارها في تجويف في وسط تلك الشجرة. وكانت  
الخنزيرة البرية ترعى جراءها عند جذع الشجرة. واتفقت ثلاثتهن  
على أن يسود السلام بينهن، وأن تنهض كل واحدة منهن بأشغالها دون  
إلحاق أي ضرر بمصالح الأخرى.

غير أن القطة سعت بمكرها لإفساد علاقات حسن الجوار،  
فصعدت إلى العقاب وقالت له : إن الخنزيرة اللئيمة لا تتفك تحفر  
تحت جذع شجرتنا، وهذا قد يجلب لنا الهلاك، لأنه إذا سقطت  
الشجرة سيهلك صغارنا، وتأكلهن الحيوانات الأخرى.

وبعد أن زرعت الخوف في نفس العقاب، نزلت القطة إلى  
الخنزيرة وأسرت لها خفية: إن العقاب قد يستغل غيابك ويخطف  
صغارك واحداً تلو الآخر؛ ولكن أرجوك أن تحفظي هذا الخبر بيننا،  
فأنا أخشى مثلك أن يفتك العقاب بصغاري.

وهكذا أصبح العقاب يخشى أن يبتعد عن صغاره ليجث عن  
الطعام؛ وأصبحت الخنزيرة كذلك تخشى أن تذهب للصيد بعيداً؛

وهكذا قضى الجوع تدريجياً على صغار العقاب والخنزيرة، بينما ظلت القطة تجلب لجرائها ما يكفيها من الطعام.

وكانت نهاية القطة أنها دخلت ذات يوم إلى مغارة لتصطاد فأرًا، فلم تخرج من المغارة، ولم ترجع إلى صغارها. وكان ذلك جزاء من لا يكفّ لسانه عن المكر والخديعة.

\* \* \* \* \*

## الذئب وطائر اللقلق

كان ذئب يعاني من جوع شديد فراح يركض وراء كل ما يتحرك حتى أمسك صيداً. ولشدة جوعه كان يبتلع كل شيء، حتى علق عظم كبير بحلقه كاد يخنقه.

ولكن لحسن حظه حطّ بقربه طائر اللقلق، فأشار إليه أن يساعده على إخراج العظم من حلقه. وبعد أن نجح الطائر في إخراج العظم بمنقاره الطويل، طلب من الذئب أن يجازيه على إنقاذ حياته. فصاح به الذئب:

«ويحك أيها الساذج، ألا يكفيك جزاء أنك أخرجت عنقك من فمي حيًّا؟! يا لك من حيوان ينكر المعروف.

\* \* \* \* \*

## الذئب والخرفان

بعد مرور ألف سنة ويزيد على حرب معلنة بين الخرفان والذئاب، أعلنت هذه الأخيرة عن رغبتها في الدخول في عهد سلم وأمان مع الخرفان، ووافقت هذه الأخيرة على ذلك. واتفق الطرفان على أن تقدم الذئاب عددًا من صغارهن رهينة لدى الخرفان، ويقدم هؤلاء كلابهم رهينة لدى الذئاب لضمان الالتزام بينود المعاهدة، وشهد الشهود على ذلك.

وبعد فترة من الزمن أصبحت بعدها جراء الذئاب الرهينة ذئابًا بالغة قوية، فثارت في نفسها غريزة القتل، فاستغلت غياب الرعاة، وهجمت على الخرفان خنقًا وتقتيلًا. وما إن بلغ هذا الخبر مجتمع الذئاب، الطرف الثاني في المعاهدة، حتى هجموا على الرهائن من الكلاب التي كانت مقيدة لديها، فخنقوها.

وخلاصة الحكاية أن معاهدة السلم والأمان بين الأفراد، والجماعات، والدول، لا تفيد إذا أبرمت مع عدو لا يحفظ العهود؛ ولذلك يصح القول: تحدث عن السلم، واستعد للحرب.

\*\*\*\*\*

## الذبابة والنملة

التقت ذبابة ونملة فراحت كل منهما تفتخر بمزاياها، قالت الذبابة:

- يا للعجب! هل حبّ الذات يعمي البصيرة لدرجة تجعل حشرة



لئيمة مثلك تقارن نفسها بابنة الفضاء الطلق الواسع؟! ألا  
ترين أنني أسكن القصور، وأجلس على موائد الأمراء والملوك،  
وأذوق أصناف اللحوم قبل أن يذوقوها، في حين تعيش حشرة  
بئيسة مثلك على فتات القشور والأوراق. ولكن أخبريني، أيتها  
المدعية، هل حدث لك أن جلست على رأس ملك أو إمبراطور،  
أو على رأس فتاة جميلة؟

فأجابتها النملة:

- إنك تدخلين القصور فيلعنونك؛ وحتى لو كنت تذوقين من طعام  
الآلهة، فإنك تفعلين ذلك متطفلة لشدة وقاحتك لا شك أنك  
تدخلين كل منزل، وهذا من فعل الحمقى. وعندما تقفين على  
رؤوس الأمراء، أو على رؤوس المشردين، يكون عقابك الموت  
غالبًا. فكفى عن ذكر مزاياك لأن المتطفلين مثلك يقتلون بالنعل.

وبينما أعيش أنا، في فصل الشتاء، من ثمار جهدي هادئة  
راضية، تقاسين أنت من الجوع والبرد. إنك تعيشين في عز كاذب  
وخطر محقق. والآن ليس لي وقت أضيعه معك، لأن لي أشغالاً تنتظرنني،  
فخزانة مؤونتي تمتلئ بالجهد الدؤوب، وليس بالكلام الفارغ، وداعًا.

\*\*\*\*\*

## غراب يرتدي ريش الطاووس

عثر غراب على حزمة من ريش الطاووس فارتداه واختلط

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

بالتواويس، وراح يفتخر بريشه في وسطهنّ. لكنه سرعان ما اكتشفت هذه الأخيرة زيفه فانقضت عليه تنتف ريشه بمنقرهن؛ ولجأ الغراب إلى جماعته فأنكرت شكله ورفضت حضوره بينها.

وكم بين الناس من غريان يرتدون ثياب غيرهم، ويزخرفون أنفسهم بملابس أجنبية عن تقاليدهم، ولكن سرعان ما ينكشف زيفهم.

\* \* \* \* \*

### الجمال .. أو حزمة حطب؟

لا شك في أن أول شخص شاهد جملاً لأول مرة فرّ منه خائفاً. ثم ألفت الناس الجمال، واعتادوا عليها، ووجدوا فيها منافع كثيرة.

شاهد جماعة شيئاً بعيداً في عرض البحر فقال أحدهم إنها سفينة، وقال آخر إنه زورق، وبعد لحظات ظهرت كأنها حزمة بضائع، وفي النهاية ظهر بأنها حزمة من الخشب يهزها الموج.

وهكذا لدى كثير من الناس تبدو لهم الأشياء من بعيد، ولأول نظرة، جميلة، مهمة، محبوبة، مناسبة، رائعة وعظيمة؛ ثم عند امتلاكها، واختبارها، والتعود عليها يقلّ عندهم شأنها، وربما تصبح مملة. ولكل جديد لذة.

\* \* \* \* \*

## الضفدعة والفأر

يحكى أن فأراً كان يعيش بالقرب من مستنقع في هدوء وراحة بال. وذات يوم اقتربت منه ضفدعة وقالت له:

تعالى لزيارتي وسأعدّ لك جميع ما تشتهي نفسك من الطعام. لم يتردد الفأر في قبول الدعوة، وقد دفعه الفضول، والرغبة في السفر، وما قد يشاهد في الطريق من أشياء لم يشاهدها في محيطه. وذَكَرَ الضفدعة بأنه لا يحسن السباحة لمسافة بعيدة، فقالت له الضفدعة الذكية: سأربطك إلى ساقي وأساعدك على السباحة.

غير أنه عندما وصلت به إلى المياه العميقة راحت تجذبه نحو الأعماق لتغرقه. وراح الفأر المسكين يتخبط في الماء، ويتضرع إليها أن تحفظ وعدها وتحافظ على حياته، ولكنها كانت قد دبرت أمرها، وعزمت على إغراقه.

وأثناء اصطدام غريزة القتل وغريزة البقاء بين الضفدعة والفأر، كان طائر من الجوارح يحوم حول المستنقع، فشاهد حركة التجاذب والتخبط في الماء، فانقض على الفأر، وزاد ابتهاجه عندما لاحظ الضفدعة المربطوة بجسم الفأر، ونال الطائر صيدين في هجوم واحد. وهكذا من حفر حفرة لأخيه وقع فيها، ولا يحيق المكر السييء إلا بأهله.

\* \* \* \* \*

## الذئب والعنزة وصغيرها

قبل أن تخرج العنزة إلى المرعى أوصت صغيرها ألا يفتح الباب لأحد قبل عودتها، وأعطته كلمة السر وهي «تبًا للذئب ولبني جنسه». وحدث أن ذئبًا كان مارًا بالمنزل في تلك اللحظة فسمع كلمة السرّ.

انتظر الذئب حتى ابتعدت العنزة الأم، ودقّ على الباب مقلدًا صوت الأم، ونطق بكلمة السرّ. ونظر الجدي الصغير من ثقب الباب وقال للطارق: أفصح عن هويتك أيها الغريب، وإلا فلن أفتح لك الباب!

تعجب الذئب من ذكاء الجدي وحزمه، وشعر بخيبة الأمل، فواصل طريقه. وهكذا ينصح الحكماء: إذا شككت في أمر فتأكد مرتين.

\* \* \* \* \*

## الرجل المسنّ وأولاده

جمع رجل طاعن في السن أولاده وقال لهم: «أبنائي الأعزاء، ليحاول كل واحد منكم أن يكسر حزمة العِصِيّ هذه! وسأشرح لكم السرّ في قوتها».

حاول كبير الأبناء أن يكسر الحزمة، فلم يقدر؛ وأعطاهم لأخيه الثاني، فلم يستطع كسرها؛ وحاول أخوهم الثالث فلم ينجح هو الآخر. فقال الأب لأبنائه :

«أيها الضعفاء إعطوني الحزمة لأريكم مصدر قوتها». ثم فرّق الأب العصيّ، وكسرهما واحداً، واحداً. وقال : أرايتم كيف أن اتحاد العصيّ في حزمة واحدة جعلكم عاجزين عن كسرهما. وإنّي سأرحل عنكم قريباً إلى حيث رحل أبائنا وأجدادنا؛ ولكن عدوني بأن تعيشوا إخوانا متحدين متعاونين متحابين. فوعدوا أباهم وعيونهم تدمع من ألم الفراق.

غير أن الإخوة الذين جمعهم الدم، فرقتهم المصالح، فلم يدم تعاونهم طويلاً، وعند اقتسام الميراث سيطر على كل منهم الطمع وتغلبت الأنانية، وبدأ النزاع، وتدخل المحامون والمحاكم، واشتدّ الخصام والعداوة.. فتفرقوا، وانتصر حبّ متاع الدنيا على نصيحة الأب.

\* \* \* \* \*

## القناعة والصدق

أضاع حطاب فأسه، وهي كل ما يملك ليكسب بها قوت أهله، وفتش عنها في كل مكان فلم يعثر عليها. فتوجه إلى الإله جوبيتر<sup>(1)</sup> بالدعاء ليساعده على العثور على فأسه. فأجابه إلهه قائلاً: هل تتعرف على فأسك؟ إنها هنا، انظر! وقدم له فأساً من ذهب.

فأجابه الحطاب: إنها ليست فأسي يا مولاي، وأنا لا أطلب شيئاً أكثر من فأسي. فقدم له إلهه فأساً من فضة، فرفضها كذلك. ثم قدّم

(1) جوبيتر هو كبير الآلهة في مجمع الآلهة عند قدماء الرومان.

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

له فأساً من حطب، فابتهج الحطاب بها، وشكر جوبيتر على عنايته.  
عندئذ قدّم له إلهه جوبيتر الفأسين الآخرين، من ذهب وفضة، هدية  
جزاء على صدقه وقناعته.

\* \* \* \* \*

## الفرس والذئب

في يوم ربيعي مشمس، خرج ذئب يبحث عن طعامه، وشاهد في  
مرج مزدهر بالحشائش فرساً يرعى، فابتهج الذئب وظن أنه وجد  
صيداً سميناً. تقدم نحو الفرس بخطى متأنية، وقال له:

إنني تلميذ الطبيب الشهير «أبقراط» أعرف خصائص الأعشاب،  
وأعالج جميع الأمراض. وما أظن أن أصحابك تركوك ترعى وحدك  
في هذا المرج إلا لأنك تعاني من داء في ساقك. فإذا سمحت لي، أيها  
الفرس المبارك، بالكشف عن دائك، سأعالجك مجاناً. فقال له الفرس:

صدقت أيها الحكيم، إنني أعاني من دُمّل في أسفل رجلي.

وبينما تقدم الذئب متظاهراً بالكشف عن ساق الفرس، ومستعداً  
للهجوم عليه، كان الفرس قد خطط للدفاع عن نفسه، وفاجأه برفسة  
برجليه حطمت فكّه وأسنانه. فرّ الذئب والدم يقطر من فمه وهو يتمتم:  
لا يليق بالجزار أن يعالج المرضى، خاصة إذا كانوا من جنس الخيل.

\* \* \* \* \*

## الدجاجة ذات البيض الذهبي

كان لرجل دجاجة تبيض له كل يوم بيضة من ذهب، فظن أن في بطنها كنزاً من ذهب، فقرّر أن يذبحها ليحصل على الكنز دفعة واحدة، فلم يجد في بطنها شيئاً. وهذا جزاء من لا يقنع بالقليل، ومن يطمع في كل شيء يخسر كل شيء.

\*\*\*\*\*

## الحمار والكنز

لاحظ حمار يحمل كنزاً أن الناس يحيطون به، ويتقربون منه، ويلطفونه معجبين. فظن أنهم يكرمونه لشخصه، وأخذ الغرور. وفطن شخص للأمر ذات يوم، فقال للحمار «أقلع عن كبريائك وغرورك، فأعجاب الناس واهتمامهم ليس موجهاً لك، ألا ترى أن الناس عندما يحيون القاضي، إنما يحيون جلبابه.

\*\*\*\*\*

## العقاب والبومة

قرّر العقاب والبومة أن يوقفا نزاعهما، وألا يعتدي أحدهما على فراخ الآخر؛ وأقسم كل منهما على احترام الاتفاق.

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

وسألت البومة العقاب: هل تعرف صفات فراخي؟ فقال العقاب:  
أعترف أنني لا أعرف صفات فراخك، فهل لك أن تصفيها؟ فقالت  
البومة:

إن صغاري من أجمل الطيور التي خلقها الله، وهي أنيقة،  
ولطيفة، وظريفة، وحسنة الخلق والخلق.

وحدث أنه بينما كان العقاب، ذات مساء، يحلق في المحيط،  
شاهد في حفرة، قرب مسكن متداع، فراخاً ذات وجه عابس، وملامح  
مقطبة، وريش منقر، فقال في نفسه: لا شك أنها ليست فراخ صديقتي  
البومة، فهي لي حلال طيب يهدئ جوعي.

وعندما عادت البومة الأم إلى عشاها لم تجد من فراخها سوى  
عظامها المهشمة. عندئذ ناداها هاتف من السماء قائلاً: أيتها البومة لا  
تلومين إلا نفسك لأنك جريت على عادات الأمهات التي تجعل كل أم  
ترى أن صغيرها أجمل وألطف ما خلق الله، فهل كان صغارك حقاً من  
أجمل مخلوقات الله؟

\*\*\*\*\*

## الأسد يعلن الحرب

قرّر ملك الغابة إعلان الحرب، فجمع مجلس الحرب للمشورة،  
وأرسل الضباط والمستشارين ورجال الأمن لإبلاغ الحيوانات بالأمر،  
وتنظيمهم كل حسب إمكانياته وخبرته الطبيعية.



طلب من الفيل أن يحمل المعدات ، وأن يكون في مقدمة الجبهة للهجوم؛ ومن الدب أن يستعد هو الآخر للانقضاض؛ وكلف الثعلب بمسؤولية العمليات السرية؛ وكانت مهمة القرد أن يركز على خرق صفوف العدو ببراعته البهلوانية.. إلخ.

ونصح أحد المستشارين بأن يعفي الحمار لثقل حركته؛ وكذلك الأرنب الذي ترعبه المفاجآت، فأجاب الأسد بأنه ينبغي أن يستغل نهيق الحمار فيكون مثل البوق الذي يخيف العدو؛ وأن يكلف الأرنب بنقل الرسائل.

وهكذا أبدى ملك الغابة حكمته عندما أمر أن يستغل جميع ما لديه من قوى، صغيرها وكبيرها، كل في حدود مواهبه وإمكاناته، والحاكم المتبصر بالأمور يعلم أنه لا يوجد شيء أو مخلوق عديم الفائدة في مملكته.

\* \* \* \* \*

## فروة الدب

كان رجلان في حاجة ماسة إلى النقود، فذهبا إلى تاجر وأكدوا له أنهما ذاهبان لصيد دبّ من أجمل الدببة وأضخمها، وطلبا منه أن يدفع لهما مبلغاً مسبقاً من ثمن جلد الدبّ.

تردّد التاجر ملياً، ثم فكّر في ما يجلب له فرو الدبّ من ربح، وقد أقبل فصل الشتاء، واشتدّ الطلب على الفرو. فقدم للرجلين مبلغاً من المال، ووعداه بأن تكون البضاعة لديه خلال يومين أو ثلاثة أيام.

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

وفي منطقة الصيد شاهد الرجلان الدبّ الضخم يهرول نحوهما بقوة مرعبة، فأسرع أحدهما إلى شجرة وتسلقها، واستلقى الآخر على الأرض، وجعل وجهه على التراب، وقد تجمدت عضلاته من الرعب (وكان قد سمع بأن الدب لا يهجم على فريسة ميتة). وتقدم نحوه الدبّ وقلبه على جانبيه، فظن أنه ميت فولى مدبراً عنه.

نزل الرجل الآخر من الشجرة وركض نحو رفيقه وقال: الحمد لله على سلامتك، إنك محظوظ حقاً! ولكن أخبرني ماذا قال لك الدبّ؟ فقد رأيته يسرّ لك بكلمة في أذنك. فأجابه قال لي: أنصحكما ألا تتبعنا جلد الدبّ قبل قتله .

\* \* \* \* \*

### الجمار يلبس جلد الأسد

ارتدى حمار جلد أسد فأحدث الرعب في محيطه مما جعل الناس يرتعدون خوفاً عند رؤيته. ولكن ذات يوم ظهر جزء من أذنه من تحت الجلد الزائف، فاكتشف الناس خداعه، ونال عقاباً جزاء مكره وتحاييله، وأعيد إلى رباطه في الاضطراب.

وهكذا نشاهد كثيراً من الناس في فرنسا يرتدون ملابس الفرسان والعظماء ليوهموا الناس بشجاعتهم وعظمتهم، ويصدق عليهم القول:

«تري الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل».

\* \* \* \* \*

## الديك والقط وجرو الفأر

خرج جرو فأر صغير من جحره، وابتعد عن أمه يتجول في الربي المجاورة، ثم عاد إلى أمه وقصَّ عليها ما شاهد فقال:

«لقد التقيتُ، يا أمي، في جولتي الطويلة بحيوانين، أحدهما لطيف، هادئ، حلو المنظر، رقيق المشاعر. أما الحيوان الآخر فكان قلقاً، مشاغباً، صاخباً، وكان صوته مزعجاً؛ كان يحمل فوق رأسه قطعة جلدية، وله جناحان، وذيل من ريش ملون. كان هذا الحيوان أحياناً يضرب جانبيه بجناحيه فيحدث صخبا مزعجاً. ولولا أنني خفت منه وهربت لتعرفتُ على الحيوان الأول الذي كان بقربه، وكانت ملامحه هادئة ونظراته مُطمئنة ومتواضعة. كان يكسوه فروٌ يشبه فرونا، وله ذيل، وعينان لامعتان، وأذنان تشبهان آذاننا، لقد بدا لي هذا الحيوان طيب القلب لطيفاً مع أبناء جنسنا. وكنتُ أرغب في محادثته لولا أن الحيوان الآخر حرك جناحيه بقوة، فغادرتُ المكان.

فقالت له أمه: إسمع يا بني، إن الحيوان الأول الذي بدا لك لطيفاً طيباً هادئاً يدعى القط؛ وعلى الرغم مما يوجد من تشابه بينه وبيننا، فإن مظهره يخفي شراً كبيراً لأبناء جنسنا، إنه من أشدِّ أعدائنا.

أما الحيوان الآخر الذي لقيته فيعرف بالديك. وعلى الرغم مما يوجد بيننا من اختلاف في المظهر، فهو ليس عدواً لنا. وأوصيك يا ولدي ألا تحكّم على المخلوقات بمظاهرها.

\* \* \* \* \*

## البغل يفخر بنسبه

كان لأحد الأطباء بغل يمتطيه عند الذهاب لزيارة المرضى. وكان يسمعه من حين لآخر يفتخر بنسبه، ولكنه لا يتحدث إلا عن أمه الفرس، فيذكر مآثرها، ويقول بأنها جديرة بأن تسجل في كتب التاريخ. كان هذا البغل شديد الإعجاب بنفسه، ويرى أنه إنما يخدم هذا الطبيب تواضعاً منه.

ومرت السنون، وبلغ البغل سن الشيخوخة، فسخره صاحبه ليدير عجلة طاحونة. عندئذ فقط تذكر البغل أباه الحمار.

والخلاصة هي أنه إذا كان الشقاء، أحياناً، يفيد في ردِّ الأحمق إلى رشده، يمكن القول بأنه ساعد على إصلاح سلوكه .

\*\*\*\*\*

## الأرنب والسلحفاة

تراهنت الأرنب والسلحفاة على الدخول في مسابقة؛ وراحت الأرنب تسخر من جرأة السلحفاة، غير أن هذه الأخيرة قبلت التحدي. وجرى تحديد المسافة، والهدف وإحضار الشهود، وانطلقت المسابقة.

كان الأرنب واثقاً من نيل الجائزة، وقال في نفسه: لديّ من الوقت ما يكفي لقضم بعض الأعشاب، والاستماع لتغريد الطيور، وتكفيني بضع قفزات لأقطع المسافة.

أما السلحفاة فواصلت سيرها بعزم وحماس نحو الهدف. وأخيراً قررت الأرنب أن تقفز نحو الهدف، ولكنها وجدت السلحفاة هناك في انتظارها. فصاحت السلحفاة: أرايت؟ لم تُفدِكَ خفة ساقيك أمام استخفافك بقوانين الحياة، وماذا كنت تفعلين لو كنت تحملين منزلك على ظهرك مثلي؟

\*\*\*\*\*

### الحمار يشكو سوء حظه

كان حمار يشكو للقدر سوء حظه لأن سيّده البستاني يوقظه مبكراً كل صباح. وكان يقول: أيّها القدر ساعدني لأنتقل إلى خدمة سيد آخر، لأن سيدي البستاني يوقظني قبل أن يصيح الديك، ولا يسمح لي أن أتمّ فترة نومي، فأضطر لحمل الخضر والفواكه إلى السوق.

استجاب القدر لشكواه، ونقله إلى خدمة رجل آخر مهنته دباغة الجلود. لم يمض وقت طويل حتى اشمأزت نفس الحمار من رائحة الجلود الكريهة، وتعب من ثقل وزنها، فقال لنفسه: ليتني بقيت في خدمة سيدي البستاني، على الأقل هناك كنت أعيش وسط البساتين والخضر والفواكه، وأقضم من حين لآخر شيئاً من ورق الخضر؛ وهأنذا الآن أتحمل هذا العمل الشاق، وأتلقى من حين لآخر ضربة بالعصى.

واستجاب القدر إلى شكواه مرة أخرى فنقله إلى العمل في مفرمة، حيث أصبح ينقل أكياس الفحم ليلاً ونهاراً، فعاد الحمار المسكين إلى الشكوى، يندب حظه التعس.

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

غضب القدر من شكواه وقال: إن هذا الحمار مخلوق متعب ومشاكس، لا يرضيه شيء؛ أيظن أنه الوحيد الذي يتعب ويشقى في هذه الحياة؟! وأنا؟ أليس لي مهام أخرى في الدنيا إلا الاهتمام بمشاكله!؟

كان القدر على حق، فقليل منا من يرضى بحظه ويقنع بنصيبه؛ ولو عرف ابن آدم حظه في المستقبل لرضى بالحاضر، «وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم».

\* \* \* \* \*

## الفلاح والأفعى

في يوم من أيام الشتاء الباردة كان فلاح يتجول حول حقوله، فشاهد أفعى ملتوية على نفسها فوق الثلج متجمدة من شدة البرد، فأخذها إلى منزله، ووضعها بالقرب من المدفأة، فأعادها الدفء شيئاً فشيئاً إلى الحياة. غير أنها انتعشت من محنتها منزعة، فرفعت رأسها، وارتدت قليلاً إلى الوراء، فاستجمعت قواها ووثبت على الفلاح بسرعة البرق.

فقال الفلاح: أهذا جزاء من أنقذك من الهلاك، ثم أخذ فأسأ وقتلها.

ما أجمل أن يفعل الإنسان الخير! ولكن ما أكثر من ينكرون المعروف، ويجازون الخير بالشر.

\* \* \* \* \*

## الحوذي وعربة الخيل

كان الحوذي يسوق عربته المحملة بالسلع، وكان يجرها حصانان. وفي مكان وعَر غرقت عجلتا العربة في الوحل. حدث ذلك في مكان منعزل فلم يجد من يساعده على إخراج عربته من الوحل. اشتدَّ به الغضب، وراح يصرخ ويلعن تارة الوحل، ومرة العربة، ومرة حظه السيء. ثم رفع صوته نحو السماء يسأل «هيركول»<sup>(1)</sup> الشهير أن يساعده على إخراج عربته من الوحل .

فجأة سمع هاتفًا يناديه من وراء السحاب: انزع الوحل والرمل الذي غرقت فيه العجلتان ، خذ الفأس وأبعد الحجارة التي تعرقل العجلتين، ثم املاً الحفرة بالحجارة الصغيرة! بعد قليل:

- الهاتف : هل فعلت ؟

- أجل فعلتُ ما أمرت به .

- الهاتف : السوط الآن !

- الحوذي : ما هذا؟! إن العربة تتقدم، شكرًا لك يا هيركول.

- الهاتف : تذكر دائماً الحكمة : ساعد نفسك، تساعدك السماء!

\* \* \* \* \*

(1) المصارع الجبار.

## الطائر ملك الحزين وضياع الفرص

كان طائر الملك الحزين (البلسون) يتجول بالقرب من نهر كبير، كان ماؤه صافياً والجو رائقاً في فصل الربيع. وكانت أنواع من الأسماك تروح وتغدو قرب الشاطيء، غير أن الطائر فضل أن ينتظر حتى يحين موعد غدائه.

وبعد مدة شعر بالجوع، وشاهد سمكات تسبح قرب الشاطيء، غير أنها لم ترق له، ففضل أن ينتظر بعض الوقت، وقال : أنا ملك الحزين، الطائر الجميل، أكل هذا النوع من السمك؟ لا، لا، إنه صنف رديء، لا يلائم ذوقي. وواصل تجواله جيئةً وذهاباً فعثر على نوع آخر من السمك، فاستخف به وترفع عن أكله.

اشتدّ الجوع بالطائر، فراح يهرول نزولاً وصعوداً قرب مجرى النهر، إلى أن عثر على حلزون ففرح به وأكله .

وهكذا في شؤون حياة كثير من الناس، فبينهم من يرغب في الحصول على الأفضل من كل شيء، فيضيع الفرص، ويخاطر بفقدان ما لديه.

فقد سمعت عن فتاة معجبة بنفسها كانت تبحث عن شاب مكتمل الخلق، وسيم المظهر، ثرياً ومن عائلة عريقة، على أن لا يكون غيوراً، ولا كسولاً... إلخ وساعد الحظ هذه الفتاة فجاءها خطّابون كثيرون، من ذوي الشأن والمركز والمال؛ غير أن الحسناء كانت دائماً تجد سبباً



لرفضهم: هذا همته باردة، وذاك ليس له روح مرحة، وآخر لم تجد فيه رقة العواطف، والرابع كان بديناً، والخامس بدا لها ضعيف البنية، وآخر تنقصه أناقة التعبير وآداب المجاملة، وآخر يخلو طبعه من اللطافة ورقة الذوق، وفلان أنفه كبير، وعلان قصير القامة ...

وبعد هذه الفئة من الخطاب جاءها خطاب من صفوف دون المستوى الاجتماعي المرغوب، فاستخفت بهم ورفضت الزواج بهم، وأصبحت تقول بأنها غير قلقة على مستقبلها، وأنها تتمتع بنوم هاديء ونفسها مطمئنة.

ومرت السنون فأصبحت تشعر بشيء من القلق والعزلة، وبدأت تنزل تدريجياً من برجها العالي، وأخذت بعض ملامح وجهها تتغير، وفقدت عدداً من صديقاتها اللواتي تزوجن أو ابتعدن عن الحي، وبدأت تفقد شيئاً من فرص المتع والأنشطة المسلية، وأخذ طبعها يتكدر.. فأخذت تهتم بمساحيق التجميل والتمويه، وتساءل مرآتها: أين فارس الأحلام الموعود؟ وفي نهاية المطاف قبلت الحسنة العانس الزواج من رجل دون أن تسأل عن أصله أو تهتم بشكله ومركز عائلته.

\*\*\*\*\*

## الرجل الذي يجري وراء الحظ والرجل الذي ينتظر حظه في فراشه

ومن ذا الذي لا يركض وراء الحظ؟ ليتني كنت في مكان مرتفع فأشاهد من قمته مساعي الجماهير وتحركاتها وتقلباتها وهي تبحث

عن الحظ، أحياناً دون جدوى، كأنهم يركضون وراء شبح. إنني أشعر بالشفقة على هؤلاء المساكين وهم يرددون: فلان كان يزرع الكرنب، وها هو قد أصبح شخصية لها مركز في الفاتيكان، فهل نحن أقل أهلية منه؟ وغير ذلك مما يقولون .

ولكن ماذا تفيدكم أهليتكم وجدراتكم إذا كان الحظ أعمى؟ ثم هل الوظيفة في الفاتيكان تساوي ما يوجد لدينا من الهناء وراحة البال؟ وهل المقام الرفيع والمسؤوليات العظيمة، إذا جاءك بها الحظ، تسمح لك بأن تتعم براحة البال والطمأنينة والأمن؟

كان صديقان يعيشان في قرية عيشة هادئة راضية، وكان أحدهما لا يتوقف عن التذمر، يشكو حاله، ويندب حظه، ويقول: لماذا لا نغادر قريتنا؟ ألم يقل الحكيم لا نبي في بلاده؟! فلنسافر، ولنغامر، ولنبحث عن حظنا في بلاد أخرى».

وكان صديقه يردّ عليه: «سافر وغامر وحدك، وابحث عن حظك! أما أنا فإنني راض بحظي في قريتي، وقانع بقدري ونصيبي، سأنتظر عودتك في داري هذه، بل ستجدني نائماً مرتاح البال في فراشي».

وانطلق الأول في رحلاته ومغامراته حتى وصل إلى بلد قيل له أن آلهة الحظ موجودة هناك، في بلاط الملك. وراح يتردد على البلاط صباح مساء، علّه يحظى بلقاء حظه. ولكن خاب أمله ولم ينل ما كان يرجو. وقرر أن يرحل إلى بلد آخر، واستقر فيه بعض الوقت، فاكتشف أن آلهة الحظ لا توجد في ذلك المكان.

وقيل له أن الآمال تتحقق للطامحين في مدينة كذا، في بلاد الهند الواسعة، المشهورة بثرواتها ونشاطها التجاري، فقرّر أن يسافر إليها، وكانت الرحلة شاقة، ولكنه تحمّل متاعب السفر ومخاطر الرحلة، ووصل إليها. غير أنه لم يلق في هذه المدينة ما يحقق طموحاته.

وبعد مدة اقتنع بأن آلهة الحظ موجودة في بلاد اليابان، ولكنه لم يكن حظه في اليابان أفضل منه في الهند وغيره من المدن التي أقام فيها. وفي نهاية المطاف قرّر أن يتوقف عن مغامراته المتعبة، وأن يعود إلى قريته. وعندما وصل إليها انحدرت دموع الفرح من عينيه، وقال لنفسه: «إنه لسعيد من يرضى بالعيش في قريته بين أهله وأصدقائه، فما عليه إلا أن يبذل جهده لتحقيق رغباته، ويقنع بحظه».

وبينما هو كذلك، شاهد إلهة الحظ جالسة أمام منزل صديقه، الذي كان ينعم بنوم عميق في فراشه. فهل يصحّ في هذا الصدد أن نكرر أن القناعة كنز لا يفنى؟

\* \* \* \* \*

## ديكان ودجاجة

كان ديكان يعيشان في أمن وسلام إلى أن دخلت عليهما دجاجة، فاشتدّ النزاع بسببها، وتطور إلى حرب تعارك فيها الديكان بالمنقارين والأرجل والأجنحة. وانتهت المعركة بهزيمة أحدهما، فحزن المهزوم، واختفى يندب حظه ويكي حبه الضائع لتلك الدجاجة الجميلة. غير أنه لم ييأس، وأخذ يستعد لمعركة أخرى في حينها.

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

وصعد الديك المنتصر على أسطح المنازل، وراح يصيح بأعلى صوته معلناً انتصاره على خصمه وفوزه بمغازلة الدجاجة الجميلة دون غيره. ولكن لسوء حظه سمع عقاب صياحه فانقضَّ عليه بقوة، وأخذه إلى غير رجعة .

وأسعف الحظ الديك المهزوم، فأعفاه من خوض غمار معركة ثانية، وفاز برفقة الدجاجة، لا ينافسه عليها أحد .

وهكذا يرفع الحظ ويخفض، ويُضحك ويُبكي، ويُسعد أناساً ويُشقي آخرين؛ فمصائب قوم عند قوم فوائد؛ وعلى المرء أن يحذر تقلب الأيام حتى في حالة فوزه في معارك كبيرة.

\* \* \* \* \*

## كم يظلم الناس الحظ !

تاجر ساعده الحظ في رحلاته المتتالية عبر البر والبحر، فلم تعق مراكبه لجج البحر، ولا الزوابع، ولم تعرقل قوافله الجبال ولا رمال الصحاري.

وكان شركاؤه ووكلاؤه ناشطين مجرّبين وصادقين في معاملاتهم معه، وبيعهم لما يجلب لهم من سلع التبغ، والسكر، والتوابل، والأواني الزخرفية وغير ذلك. ونجح في جمع ثروة كبيرة، وامتلاً منزله بالتحف النادرة، وبمظاهر الترف والتبذير.

سأله أحد أصدقائه يوماً : إنك لذو حظ عظيم، فكيف جمعت كل هذه الثروة؟ فأجابه : إنما جمعتها برغبتني في الأسفار والمغامرة، وقدرتي على توظيف المال في المشروعات المربحة، وبفضل موهبتي وتجاربي.

أصبح هذا التاجر يجد متعة في مغامراته، فواصل توظيف أمواله في مشاريع لم تكن نتائجها مضمونة؛ وانخدع بالإفراط في الثقة بوكلائه وشركائه؛ وتعرضت سفينة تحمل سلعةً لزوبعة عاتية فأغرقتها؛ واستولى قطاع الطرق على قافلة كانت تحمل كميات كبيرة من بضائعه وسلعه؛ ووصل أحد مراكبه المحمل بالسلع إلى ميناء، واجهت فيه تجارته كساداً كبيراً؛ وخسر التاجر جزءاً من أمواله بسبب احتيال شركائه؛ ومع ذلك كله استمر في حياة الترف والتبذير والتهرب من دفع الضرائب. وفي نهاية المطاف، دارت عليه الدائرة؛ وأصبح يعيش في ظروف سيئة، وفي حالة يرثى لها.

قال له أحد أصدقائه يوماً : كيف وصل بك الأمر إلى هذه الحال المزرية، بعد أن بلغت ما بلغت من الثروة والجاه؟ فأجاب التاجر: إنه الحظ السيئ يا صديقي . فقال له الصديق: على كل حال، إذا لم تكن سعيداً فكن حكيماً ، على الأقل.

وهل من الحكمة أن ينسب المرء نجاحه إلى مواهبه، ويحمل سوءَ الحظ فشله وسوء تديره؟! ولماذا ننسب الخير لأنفسنا، ونعلق الشر في عنق الحظ؟!؟

\* \* \* \* \*

## الموت والشخص الذي حضر أجله

الموت لا يفاجئ الرجل الحكيم، فهو دائماً مستعد للرحيل؛ فالموت لا يؤجل ميعاده، ولا يرحم، ولا يقبل الأعذار؛ إنه يتخطف كل مخلوق دون احتشام ولا تردد .

حضر الموت ذات يوم لياخذ رجلاً كان قد تجاوز قرناً من العمر، فاشتكى من أن الموت فاجأه، وقال للموت :

- هل من العدل أن تخطفني هكذا فجأة؟ ألا يمكنك أن تهملني بعض الوقت؟ فأنا لم أكتب بعد وصيَّتي؛ ولم أتدبر شؤون أحمادي؛ ألا ترى أن زوجتي المسكينة غير مستعدة لفراقي الآن؛ ألا تسمح لأتم بناء الجدار الذي بدأتاه؟ ولماذا كل هذا الاستعجال؟! فأجابه الموت:

- أنا لم أفاجئك، وليس لك عذر في التشكي من قلة صبري أو استعجالي؛ ألم تتجاوز المائة من العمر؟ فمجيئي إليك ليس بغتة كما تزعم؛ وقد كان بوسعك أن تنجز جميع ما ذكرت، وتعدّ وصيتك قبل حضوري.

وكيف لم تتنبه إلى ما مرّ بك من حوادث تنذر بك بقرب رحيلك؟! حصل ذلك عندما ضعف سمعك، وقل نومك، وتباطأت حركاتك، وضعف بصرك، وتبلبلت ذاكرتك، وتساقطت أسنانك... ألم ترافق كثيراً من جيرانك وأصدقائك إلى المقبرة؟ فكيف لم تتعظ بهذه الحوادث؟!

والآن، استعد أيها الشيخ فليس أمامك إلا دقائق، ولا يهم العالم هل دبرت أمورك أم لا، لقد حضر أجلك ولات حين نقاش ولا مناص.

لقد كان الموت على حق، أودّ لو أن كل شخص في مثل هذه السن، أو ما يقاربها، يكون قد استعد لتوديع الحياة، كما يحضر الحكيم حفلة عشاء، ثم يشكر مضيفه، وينهض ليغادر المائدة ليجلس غيره إليها.

\* \* \* \* \*

## النساء والأسرار

السّرّ عبء ثقيل، ومن الصعب أن تتحمّله المرأة مدة طويلة؛ وأعرف عددًا من الرجال لا يحفظون السّرّ كذلك.

أراد رجل أن يختبر زوجته الساذجة، فأيقظها ذات ليلة وفاجأها قائلاً: يا إلهي! ماذا حصل لي؟! ياللعجب العجاب! لقد وضعت بيضة، ها هي ذي، انظري! ولكن احذري أيتها الزوجة، فليبق هذا الخبر الغريب المزعج بيني وبينك، وإلا فإن الناس يسموني «دجاجة».

كانت هذه الزوجة ساذجة، لا علم ولا خبرة لها بشؤون الناس والحياة، فصدقت الخبر، وأكّدت لزوجها بأنها ستحفظ سرّه. غير أن وعدّها تبخر بطلوع شمس اليوم التالي، وسرعان ما ركضت إلى جارتها وأخبرتها بما حدث لزوجها، وأضافت: أرجوك ألا تخبري أحداً بهذا السّرّ، وإلا فإن زوجي سينتقم مني» وعندما أظهرت الجارة استغرابها للحكاية، أكّدت لها بأنها شاهدت البيضة بنفسها.

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

لم تستطع الجارة أن تحافظ على سرّ عجيب كهذا، فراحت تتشره بين الجارات والصديقات، وأكدت لهن أن الزوج باض ثلاث بيضات. ونقلت جارة أخرى بأنه باض أربع بيضات، وبمرور الساعات ارتفع عدد البيضات التي وضعها الرجل المسكين في نهاية النهار إلى ستين بيضة.

\* \* \* \* \*

### الكلب الذي يحمل في عنقه طعام صاحبه

العين تعشق الجمال، وترغب في احتضانه، والنفس تعشق المال، وتجتهد في امتلاكه، وقليل من الناس من يحافظون على أموال غيرهم بوفاء ونزاهة.

يحكى أن كلباً كان مدرباً تدريباً لائقاً، وكان يوكل إليه أن ينقل الطعام إلى صاحبه، وكان يوضع الطعام في قفة تعلق حول عنق الكلب.

وذات صباح، بينما كان الكلب في طريقه يحمل الغداء إلى صاحبه، لقيه كلب آخر أراد أن يأخذ منه الطعام. فوضع الكلب الأول القفة على الأرض، واستعدّ لمقاتلة الكلب المعتدي. وأثناء المعركة اشتتمت كلاب أخرى رائحة الطعام، وتجمعت حول قفة الطعام. وشعر كلينا الأمين بأنه لا يقدر وحده على مقارعة جميع الكلاب لإيقاظ طعام سيده، فقال للكلاب: لا داعي للنزاع، يكفيني أن آخذ نصيبي من هذا الطعام، ولكم الباقي.



إنني أتخيّل مثل هذه الحادثة في عدد من المدن حيث توضع الأموال تحت مسؤولية عدد من الناس، فيتنافس المسؤولون ومساعدوهم في البلديات والولايات ومراكز الشرطة والقضاء وغيرهم من التجار والأثرياء... إلخ على حيازة الأرباح بطرق غير شرعية. وإذا تردّد شخص من ذوي الضمائر النزيهة، يتهمونه بالغباء والسذاجة، ويزينون له مشاركتهم في نهب أموال الدولة.

\* \* \* \* \*

## الفأر والمحار

سئم فأر من الحياة في مساكن أجداده في الخلاء، فقرر ذات يوم أن يسافر في أرض الله الواسعة. وما أن ابتعد عن جحره حتى صاح: ما أجمل العالم وما أوسع. وأصبحت كل كومة تراب تبدو له جبلاً، فبدأ له كأنه قطع مسافات كبيرة. وبعد عدة أيام وصل الفأر الساذج إلى شاطئ بحر، فوجد أمامه أنواع المحار قال في نفسه: مسكين أبي لم ينعم بهذه المشاهد الغريبة.

ومن بين المحار كانت إحداها قد فتحت جناحيها لتتمتع بدفء الشمس وتستنشق هواء البحر العليل؛ فظهر داخلها دسم أبيض اللون ذو رائحة زكية جذبت شهية الفأر، فاقترب من المحارة ومدّ عنقه ليتناول الطعام، ولكن سرعان ما أطبقت المحارة جناحيها على عنقه؛ وهكذا يرمي الجهل الشخص المغفل في مسالك الهلاك؛ ومن قلت تجاربه يُخدع عندما يظن أنه الخادع، ويخسر عندما يظن أنه الراجح.

\* \* \* \* \*

## الدبّ والرجل المسنّ

كان رجل مسن يعيش في غابة نائية، وكان يعاني من العزلة ويشعر بالملل، لأنه لا يجد مخلوقاً يؤنسه ويتحدث إليه. وغير بعيد منه كان يوجد دبّ يعيش وحيداً هو الآخر. وكانت ظروف حياة الرجل والدب متشابهة، والأيام تمرّ هادئة في أماكن مشجرة جميلة، ولكنها حياة يخيم عليها جوّ من السكون والملل.

وذات يوم قرّر الرجل أن يبحث عن مخلوق يؤنس وحدته. وفي اليوم ذاته خرج الدبّ يتجول في المنطقة الجبلية التي يعيش فيها الرجل، وفجأة شاهد كل منهما الآخر. شعر الرجل بالخوف، ولكن ماذا بوسعه أن يفعل غير أن يبقى صامداً وقد أقبل الدبّ عليه. قال الدبّ:

- ماذا؟ هل أتيت للقائي؟

- ليست داري بعيدة من هنا، هل تريد حضرتك أن تشرفني للعشاء؟ عندي شيء من اللبن والفاكهة .

وبعد العشاء توطدت العلاقة بين الرجل والدبّ؛ وكان كل منهما يذهب لأشغاله، هذا للصيد، وذاك يهتم بزراعة ودواجنه، وتوثقت بين الإنسان والحيوان علاقات الصداقة.

وذات يوم، استلقى الرجل لينام، وأوصى صديقه الدبّ أن يطرد الذباب المزعج عن وجهه. وبينما كان يغط في نوم عميق حطت ذبابة على وجهه؛ كانت ذبابة عنيدة، حاول الدب أن يبعدها، ولكنها كانت ترجع دائماً لتتزل على أنف الرجل. توترت أعصاب الدب من عناد هذه

الذبابه، وقرّر أن يقضي عليها نهائياً؛ فجاء بصخرة كبيرة، وانتظر حتى حطت على أنف رفيقه، وصعقها بضربة قاضية على الذبابه وعلى الرجل معاً. ولذلك يصح القول:

«عدو عاقل، خير من صديق جاهل».

\* \* \* \* \*

## الصديقان

هذه حكاية صديقين يجمع بينهما الصدق، والوفاء، والإخلاص. وكان ما يملكه أحدهما يعتبر ملكاً للآخر كذلك. وذات ليلة قفز أحدهما فجأة من نومه، وركض إلى منزل صديقه، والناس نيام، فطرق الباب قائلاً: أين أنت يا صديقي؟، ماذا حدث؟ هل أصابك مكروه؟

استيقظ الصديق النائم مندهشاً عندما سمع صوت صديقه، فحمل بكل سرعة مالا وسلاحاً، ركض للقاء صديقه، وهو يقول: ماذا حدث لك، فداك نفسي، أنا ومالي فداك إذا أصابك مكروه، نفسي فداك يا صديقي، ماذا أصابك؟

فأجابه الصديق: كلا! لم يحدث لي أيُّ مكروه، وأشكرك على نبلك وصدق مشاعرك؛ بل شاهدتُ في منامي أنك قلق، متعب، كأنما أصابك مكروه، فخشيت أن يكون الأمر صحيحاً فأسرعت إليك لمساعدتك. هذا هو سبب مجيئي إليك ليلاً، والحمد لله على سلامتك.

ما رأيك أيها القارئ الكريم؟ مَنْ مِنَ الصديقين يحب الآخر أكثر؟  
إن الصديق المخلص كنز عظيم؛ وهو كما قال الشاعر:

إن الصديق الحق من كان معك ،  
ومن يضرّ نفسه لينفعك ،  
ومن إذا ريب الزمان صدعك ،  
شتت شمل نفسه ليجمعك ،

\*\*\*\*\*

### مأتم ملكة الغابة اللبوة

نَفَقَتِ اللبوة، حرم الأسد، ملك الغابة، فأرسل أعوانه ليبلغوا مواطنيه في مناطق مملكته بمكان ويوم تشييع جنازة حرمه؛ وأمر مستشاريه ومساعديه بالحرص على جعلها جنازة تليق بمقام ملكة الغابة. وتوافدت الحيوانات فقدمت تعازيها للأسد، مظهرة دلائل الحزن والأسى، وأطلقت حناجرها فمنها من يعوي، ومن يصهل، ومن ينهق، وكل منها يصيح بلهجته ، فكان بلاط الأسد مندبة كبيرة.

لاحظ أحد المتملقين أن الغزال لم يُبَد من الحزن ما تستدعيه المناسبة، بل أضاف إلى ذلك أنه شاهده يبتسم. والواقع أن عدم حزن الغزال سببه أن اللبوة كانت قد قَتَلَت الظبية حريم الغزال وصغيرها.

غضب الأسد من موقف الغزال، وقال له: «أيها الحيوان الهزيل، إنني لا أريد أن أُلطخ أنيابي المقدسة بدمك الحقيير». ونادى على مجموعة من الذئاب وأمرها أن تقتل الغزال، وتقدم جثته قرباناً للأرواح المقدسة.

تقدم الغزال وقال: أيها الملك الوقور، إن وقت البكاء قد فات، والتظاهر بالحزن الآن لا يجدي شيئاً. ولقد زارتي حرمكم المقدسة، طيب الله ثراها، في المنام، وقالت لي: «أيها الأصدقاء، تذكروا أنكم عندما تنقلون جثمانى لتواروه في التراب، بين أحضان الآلهة ورحمتهم، عندئذ لا ينفعني بكاؤكم، لأنني عندئذ سأكون بين الأرواح المقدسة مثلي، أتمتع بمباهج الجنة في نعيم الفردوس. لذلك أسألكم أن تتركوا الحزن يغمر قلب زوجي الملك الوقور العزيز، برهة من الزمن، فإن ذلك وحده يسعدني».

وما إن سمع جمهور الحيوانات كلام الغزال حتى صاحوا جميعاً:

«المجد للملكة، وجنان الفردوس لروحها المقدسة». وبدلاً من قتل الغزال، قدموا له هدية ثمينة.

فحاولوا أن تسلوا الملوك بالأحلام، لاطفوا مشاعرهم بالعبارات الجميلة التي تتعش قلوبهم؛ كل ذلك مصحوباً بعظم التقدير، وشيء من المداهنة، ولكن مع الإخلاص والصدق، لعل ذلك يجعلكم من المقربين.

\*\*\*\*\*

## الفأر والفيل

كثير من الناس في فرنسا يتظاهرون بأنهم شخصيات مهمة، وهم في الواقع جماعات برجوازية لا ينتجون شيئاً مفيداً للبلاد. إننا شعب يغلب عليه الغرور الكاذب.

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

شاهد فأر صغير فيلا ضخماً يحمل على ظهره السلطانة التي كانت في طريقها إلى الحج، ويحمل جميع تجهيزاتها، ومنها قطتها، وكلبها، وقردها، وبيغاؤها، وخادمتها...

تساءل الفأر محتاراً: لماذا يعجب الناس بمثل هذا المشهد الضخم؟ فهل الحيوانات التي تحتل مساحة كبيرة ترفع من أهميتنا وتحسن ظروف حياتنا؟ وما فائدة هذا الفيل الضخم غير حمل الأثقال؟.

وبينما كان الفأر يواصل ملاحظاته، فاجأه قط جائع فأكد له أنه حقاً ليس في مستوى الفيل.

\* \* \* \* \*

## التنجيم وقراءة الطالع

يحكى أن رجلاً كان له ابن واحد، وكان يحبه ويرعاه لدرجة أنه كان يذهب إلى العرافين والمنجمين ليستطلع مستقبل ولده. قال له أحدهم: أنصحك أن تبعده عن أي مكان ترتاده الأسود إلى أن يتجاوز سن العشرين».

قرّر الرجل أن يتخذ جميع الاحتياطات لكي لا يخرج ولده من القصر، ووفّر له جميع وسائل اللهو والراحة والتسلية ليتمتع مع رفقائه داخل القصر. وعندما بلغ الشاب السن التي يشتهق فيها الرجل إلى ممارسة الصيد، جاء الأب برسامين وفنانين رسموا له مشاهد ولوحات تصور له الحيوانات التي يصطادها الناس.

كانت جدران القصر تزخر بلوحات رائعة وتجهيزات كبيرة، بعضها مصنوع بخيوط الصوف الملونة، وأخرى مرسومة بألوان الدهن المزخرفة، وغير ذلك. وشاهد الشاب لوحة كبيرة عليها رسم للأسد، فثار غضبه وقال: هذا أنت أيها الوحش المخيف الذي جعلني أعيش في ظلال القصر وبين القضبان!، وثارت ثائرتة فرفع قبضته وأرسل ضربة قوية على اللوحة. وصدف أن مسمارًا كان على الجدار، وراء اللوحة، دخل في ذراع الشاب وأحدث فيه جرحًا عميقًا، لم تجد الجهود في علاجه، وأدى إلى وفاته. وهكذا فقد الأب ابنه الوحيد، وهكذا قد يسعى المرء إلى حتفه، وهو يتخذ الاحتياطات لتجنبه.

ويحكى أن أحد العرافين نصح الشاعر اليوناني العظيم إسكيليس بأن يتجنب أحد منازل الحي المعرض للانهييار، فأخذ الشاعر فراشه وجلس في الخلاء. وأثناء ذلك، كان عقاب يحلق في السماء، حاملاً بين مخالبه سلحفاة، وحلق فوق الشاعر وكان رأسه الأصلع عارياً، فبدأ للعقاب كأنه صخرة، فرمى على رأسه السلحفاة ليكسرها، فقتل الشاعر المسكين الذي فرّ من خطر انهيار المنزل، ولقي حتفه حيث طلب الأمان.

أعتقد أن الطبيعة ليست عاجزة لدرجة أن تسلّم مصيرنا إلى أيدي العرافين والمنجمين والمشعوذين؛ فالحظ مرتبط بتلاقي ظروف وعوامل زمانية ومكانية، وبتصرفات البشر وتعاملاتهم الإرادية، وليس

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

بالتقاء أو افتراق كواكب ونجوم في السماوات، ولا بتكهنات مشعوذين وتوقعات مهرجين جهلة على سطح الأرض.

هذا راعي غنم، وذاك ملك، الأول يحمل العصي، والثاني يحمل صولجان الملك، هذه مشيئة القدر. أما فن التجيم فهو أعمى وكذاب؛ وإذا أصاب مرة في ألف فإنما ذلك من حسن الصدف لا من علم الغيب.

\* \* \* \* \*

## الحمار والكلب

«التعاون بين البشر ضروري، إنه قانون الطبيعة».

كان الحمار والكلب يسيران ذات يوم في الخلاء، يتبعهما سيدهما. وبعد مسيرة طويلة، نام السيد ليستريح قليلاً، فراح الحمار يرعى في مرج، وتفتحت شهيته وسط الأعشاب والحشائش المزهرة.

وشعر الكلب بجوع شديد فقال للحمار:

«أرجوك أن تتحني قليلاً لأكل من طعامي الموجود في القفة على ظهرك». فلم يردّ عليه الحمار، واستمر في الرعي. وبعد فترة طويلة أجاب الحمار قائلاً:

«أنصحك يا رفيقي أن تنتظر حتى يستيقظ سيّدك ليعطيك نصيبك من الطعام». وفي أثناء ذلك خرج عليهما ذئب جائع من الغابة، فاستغاث الحمار بالكلب، فقال له هذا الأخير: «أنصحك يا رفيقي أن



تدافع عن نفسك، أو تنتظر حتى يستيقظ سيدك لينقذك». وأثناء ذلك هجم الذئب على عنق الحمار وخنقه «أليس التعاون أفضل من التنازع».

\* \* \* \* \*

## فضل العلم

ثار خلاف بين رجلين أحدهما عالم فقير، والآخر غني جاهل. وكان هذا الأخير يرى أنه أهل للتقدير والتشريف أكثر من صاحبه.

وكان الغني كثيراً ما يقول لصاحبه: تظن نفسك رجلاً مهماً، ولكن قل لي ماذا يفيد أمثالك أن يقرأوا الكتب دون توقف؟ إنهم يسكنون أرخص المساكن، ملابسهم في الصيف هي ملابسهم في الشتاء، ليس لهم خدم ولا حيوانات تفيدهم؛ ثم لا ننسى أن الدولة لا تستفيد شيئاً من الناس الذين لا ينفقون شيئاً. والخير كل الخير يأتي من أولئك الذين ينفقون الأموال لشراء كثير من السلع والبضائع، حتى الكماليات منها، لأن إنفاقهم هذا يوفر العمل لأصحاب الصناعات والمهن، وللتجار، ولليد العاملة عموماً.

بقي العالم الفقير ساكناً، وكان يودّ أن يقول أشياء كثيرة. ولكن سرعان ما أجابت الحرب عنه. قامت حرب دمّرت مساكن الأثرياء فاضطّروا لمغادرة المدينة، وفقد الغني الجاهل ثروته وأصبح بدون مأوى، لا يحظى بأيّ تقدير من السكان. أما العالم فقد علا شأنه بينهم، وحظي بكثير من التقدير والإكرام.

«فلنترك الحمقى يدعون ما يشاؤون، سيظل العلم كنزاً لا يفنى».

\* \* \* \* \*

## القط والفأر

كانت أربعة حيوانات تتردد على شجرة أرز ضخمة قد نخر الزمان جوانبها. وذات مساء جاء رجل ونشر شراكه قرب جذعها. وخرج القط في الصباح الباكر يبحث عن طعامه، غير أنه لم يشاهد الشراك فوق فيه، وراح يصيح بأعلى صوته، فركض الفأر نحوه، فشاهد عدوه اللدود يتخبط في أحبولة الصياد. فقال له القط:

- أرجوك أن تسرع لإنقاذي من هذا الشرك، ألا تذكر أنك كنت الوحيد من بين أفراد عائلتك الذي كنت أرحاه وأحافظ على حياته. ولا أندم على حسن معاملتي لك، لأنني كنت معجباً بمهارتك ولطفك وحسن أخلاقك. وقبل مثولك أمامي كنت أدعو الله أن يقودك نحوي لإنقاذي من هذه الورطة، إن حياتي بين يديك أيها الشاب الكريم. فسأله الفأر قائلاً:

- وبماذا ستجازيني أيها القط المسكين؟

- أقسم بجميع الأيمان المقدسة أنني سأكون لك حليفاً وانياً، وسأحميك من خطر أعدائك، وخاصة من عدويك ابن عرس والبومة.

- أتطلب مني أن أنقذك أيها الأبله، لست بالأحمق الذي يحرر أعدى أعدائه من خطر الموت .

وصدّ الفأر عن القط عائداً إلى جحره، ولكنه شاهد ابن عرس

ينتظره أمام جحره، فاتجه مسرعاً وتسلق الشجرة، فوجد البومة تنتظره في أعلى الشجرة، فأسرع بالعودة إلى القط، واجتهد في فكّ حلقات الشرك. وأثناء ذلك شاهد الصياد قادمًا نحو الشجرة، ففر كل من المتحالفين، القط والفأر، لينجوا بحياتهما.

وبعد قليل شاهد القط حليفه الفأر يقف حذرًا متيقظًا لما يدور من حوله، فخاطبه قائلاً:

- أيها الفأر الصديق، إن ما يبدو عليك من قلق عند رؤيتي يزعجني! فأنت الآن تنظر إلى حليفك، وليس إلى عدوك، وهل تظن أنني نسيت أنك بعد الله أنقذت حياتي! اقترب مني، تعالى نتعانق!

- وهل تظن أيها القط أنني نسيتُ غريزتك؟ لا يمكن لأيّ معاهدة أن تجبر القط على الوفاء بعهده. ألا تعلم أن أيّ معاهدة أبرمت تحت الضغط، وفي ظروف الضرورة لا تلزم صاحبها، أعني الطرف الضعيف المغلوب؟!

\*\*\*\*\*

## التربية والتعليم

هذه حكاية كلبين ينتميان إلى فصيلة عريقة واحدة من الكلاب المشهورة بالقوة والجرأة وجمال القوام. كان أحدهما يعيش في الجبال، والآخر يعيش مع سيده في شقة في المدينة .

الحكم والمواظب على السنة الحيوانات —————

كان الأول يقضي يومه يركض في الخلاء، ويجوب الوديان والغابات، ويتحمل بجرأة وشجاعة مغامرات شتى أثناء الصيد مع صاحبه؛ وما زادته تجاربه في تلك البيئة القاسية إلا قوة وجسارة ومهارة.

وكان الكلب الآخر يقضي يومه مع الطباخ، أو الخادمة والأطفال في بيئة هادئة توفر له الدلال والطعام دون جهد، وتعود على نعومة العيش والحنان والخمول، فأصبح يخشى الحيوانات، ويتجنب المغامرات، ويلاطف كل من لقيه من الأطفال والجيران وحتى الأجانب، بل أصبح يساعد في بعض الأعمال المنزلية.

وهكذا نجد أنه حتى في مملكة الكلاب لا يتبع الواحد منها سيرة آبائه وأجداده دائماً، بل ينشأ على ما تعود عليه، لأن التربية، وظروف الحياة، تؤثر، بمرور الزمن، على سلوك النوع الحيواني والبشري، فتسّمو به أو تفسده، وتحسن قدراته أو تخفضها.

وكم نشاهد من حيوانات برية وحشية عدائية أصبحت أليفة تصادق الإنسان وتخدمه، بل قد يتعايش الكلب والقط والفأر، ويربي جرو الذئب بين الخرفان. ولذلك ينبغي أن توجه التربية والتعليم لرعاية المواهب وتحسينها لتطوير أحسن ما وهبته لنا الطبيعة.

\* \* \* \* \*

### ديمقريطس وأهل أبديرا<sup>(1)</sup>

إنني أكره الأفكار والآراء المتهورة والمبتذلة التي لا أساس لها من

(1) ديمقريطس فيلسوف يوناني شهير (460 - 370) قبل الميلاد. ولد وعاش في مدينة أبديرا بشمال اليونان.

الصحة. وقد حدثت إشاعات باطلة لا سند لها في الواقع حول العالم والفيلسوف العظيم ديمقريطس الذي اتهمه بعض سكان مدينته «أبديرا» بأنه أصيب بالجنون. وكما جرى المثل: لا نبي في بلاده.

وقد بلغ الجهل بسكان تلك المدينة أن أرسلوا وفداً إلى أبقراط، الطبيب الشهير، وطلبوا منه أن يأتي إليهم ليعيد إلى ديمقريطس (المريض عقلياً في نظرهم) رشاده وصواب عقله. وقد قال وفدهم إلى أبقراط:

«إن مواطننا المذكور فقد رشده، لأن كثرة المطالعة أفسدت أفكاره؛ وليته بقي جاهلاً. إنه يقول بأن الله خلق عوالم كثيرة، لا حصر لها، ولكنها متشابهة... ولم يكتف بزعمه هذا، ولكنه أضاف بأن العالم يتكون من ذرات، أي أشباح غير مرئية؛ وراح يضع مسحا للسماوات من دون أن يتحرك من مكانه؛ لعله يعرف العالم ولكنه يجهل نفسه. لقد كان يحسن حل النزاعات بين الناس، ولكنه أصبح اليوم يتحدث إلى نفسه».

لم يصدق أبقراط ما قاله الوفد، ولكنه ذهب لزيارة الفيلسوف ديمقريطس. حدث أنه عندما وصل أبقراط إلى المدينة وجده جالساً قرب نهر في مكان تظله الأشجار، وكان يفكر في حل لغز يراوده: هل عقل الإنسان مكانه القلب أم الرأس؟ تركز الحديث بين العالمين حول الإنسان، وروحه، وعقله، وأخلاقه... وكانت الخلاصة أن شهادات الجماهير معرضة للخطأ، رغم المقولة الشائعة بأن كلمة الجمهور هي كلمة الله.

\*\*\*\*\*

## الذئب والصيد

إنها شهوات الطمع، والبخل، وعدم القناعة التي تجعل الإنسان يقول دائماً: هل من مزيد، ولا يُقَدَّرُ مَا بين يديه من نعم الله. وهل يقول الطماع الشحيح: كفاني ما جمعت، الآن أتمتع بنعم الخالق؟ أنصحك أن تبدأ الآن أيها الصديق، فلم يبق من حياتك مثل ما فاتك!

دعني أضرب لكل مثل الذئب والصيد. نجح صياد في أن يصطاد بقوسه غزالاً؛ ثم شاهد ظبية فاصطادها في الحال. غير أنه لم يكتف بذلك. وبينما كان يتأمل فيما حوله، شاهد خنزيراً برياً سميناً، قوياً مثل الثور، فركض وراءه، وأصابه بسهم فطرحه أرضاً.

لم يقنع الصياد بكل ذلك، وراح يكشف ما حوله من البراري فشاهد حجلة تقفز عن قرب؛ وبينما كان كامناً يتربص بها، كان الخنزير قد استردّ قواه، وهجم على الصياد من خلفه، فمزقه، وسقط الخنزير ميتاً على جثة الصياد. وهذا الجزء من الحكاية موجه لمن أعماهم الطمع.

ومرّ بالمكان ذئب، وشاهد ذلك المشهد المؤسف، فصاح: يا له من حظ عظيم! ولكن ينبغي أن أتدبّر أمري، وأحتاط للأيام القادمة. لدي أربع جثث تكفيني لأربعة أسابيع، سأبدأ بإحداها غداً، أما الآن فيكفيني أن أتذوق هذا القوس الجميل، إنه مصنوع من أمعاء الحيوان، ورائحته طيبة. ورمى نفسه على القوس بقوة فانطلق منه السهم ومزق

أمعاءه. وهكذا كان بخل الذئب وشراسته سبباً في قتله. كما تسبب طمع الصياد في وفاته .

واغْنَمُ من الحاضر لذاته فليس في طبع الليالي الأمان

\*\*\*\*\*

## القرد والنمر

كان يوجد في أحد الملاعب الشعبية (سيرك) قردٌ ونمر، وكان يقيمان في غرفتين متجاورتين. ذات يوم قال النمر لجمهور المتفرجين:

«أيها السادة والسيدات، إن مواهبي، وإمكاناتي، ومجدي، معروفة لدى الجميع، بل إن الملك نفسه طلب أن يراني ، وبعد اللقاء أوصى بأن يحفظ، بعد وفاتي، جلدي المزركش، المرصع ببقعه الملونة الجميلة. وردّ عليه القرد قائلاً:

«أيها السادة والسيدات، استمعوا إليّ، إن براعتي البهلوانية، وحركاتي الفريدة، وقفزاتي المسلية، تتبع من دمي، إنها جزء من طبيعتي. أما النمر فافتخاره لا يتجاوز الحديث عن جمال جلده. لا شك أنكم سمعتم بالقرد (فلان) إنه ابن عمّي، وهو من جواهر الحيوانات التي يملكها بابا الفاتيكان، وقد وصل البارحة إلى هذه المدينة، وسيتحدث إليكم. أجل إنه يحسن الحديث، ويتقن الرقص، وشطحاته البهلوانية لا يجاريه فيها حيوان آخر».

لقد كان القرد على حق، لأن البراعات الحركية، والشطحات

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

البهلوانية لا تعتمد على المظهر، إنها تنبع من الروح؛ فجمال المظهر سرعان ما يسأم منه المشاهدون، أما ما ينبع من الروح فهو موهبة دائمة.

وكم من السادة، وأصحاب المقام والمعالي، والأمراء، يشبهون النمر في مظهرهم، ولكن ليس لهم من المواهب إلا الملابس المزركشة، والعربات المرصعة البراقة.

\* \* \* \* \*

## البلوطة واليقطينة

اللَّهُ حكيم فيما يخلق. وليس ضرورياً أن نذهب بعيداً، أو نتعمق في البحث لإثبات حكمته؛ بل يكفينا حديث البلوطة واليقطينة.

كان قرويٌّ يتأمل ثمرة اليقطينة الضخمة، وساقها الرقيقة، فقال:

«لعل خالق هذه الثمرة لم يضعها في مكانها المناسب! ولعله كان من المناسب أن تُعلّق على غصن شجرة البلوط العظيمة. فالثمرة الكبيرة للشجرة الضخمة».

وأضاف: «لماذا لا تعلق هذه البلوطة الخفيفة التي لا يتجاوز حجمها حجم إصبعي الصغير، على أغصان نبتة اليقطين؟! إنني كلما فكرت في موضوع البلوطة واليقطينة ينتابني الغموض ويلتبس عليّ الأمر».

وذات مساء، بينما كان مستلقياً تحت شجرة البلوط، سقطت بلوطة على أنفه، فشعر بألم مزعج، وانتفض مسرعاً فوجد حبة البلوط عالقة في لحيته، فقال:



«يا إلهي، هذا فعل حبة بلوط صغيرة، وماذا كان يحدث لوجهي لو سقطت عليه ثمرة اليقطين الضخمة! أعترف بأنّ لله حكمة في خلقه، والحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه».

\* \* \* \* \*

### المعلم المتحدّلق وصاحب البستان

كان تلميذ من أولئك التلاميذ المهملين الذين لا يرون في المدرسة فائدة، فيهملون واجباتهم ويعيشون في محيطهم فساداً، كان هذا التلميذ يهجم، من وقت لآخر على بستان الجيران، ويفسد الأزهار ويتسلق الأشجار ليسرق الفاكهة.

وشاهد صاحب البستان فعل التلميذ، فسارع إلى معلم المدرسة يشكو له سلوك ذلك التلميذ. قرّر المعلم أن يزور البستان في موكب من تلاميذه، ليلقي عليهم درساً في عين المكان؛ ودخل هو وتلاميذه البستان دون أن يخبر صاحب الأمر بذلك.

وراح الأستاذ يلقي على تلاميذه درساً في حسن السلوك والأخلاق والتربية الصالحة، وأطال في خطبته، وهو يستشهد بأقوال الحكماء والفلاسفة والأدباء. أطال المعلم المتحدلق في الوعظ والإرشاد، بينما كان تلاميذه يعيشون فساداً في البستان: يتسلقون الأشجار، ويكسرون الأغصان، ويقطفون الأزهار والغلال، أثناء ذلك كان المعلم مستغرقاً في إظهار فصاحته وقدرته على الكلام المزخرف، والأسلوب المنمق، والعبارات المديجة .

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

إنني أمقت التشدد، والخطب المطولة خارج نطاق المقام  
والموضوع، وأقول: لا يوجد أسوأ من التلاميذ قليلي الأدب، إلا المعلم  
المهمل المتحذلق.

\* \* \* \* \*

## المجنون الذي يبيع الحكمة

نصيحتي لك أن تبتعد عن الحمقى والمجانين. إننا نشاهد في  
بلاطات الملوك كثيراً من البلهاء والحمقى الذين يسلون الملوك والأمراء،  
ولكن الأمر يختلف خارج القصور.

كان رجل أحمق يتجول في الشوارع والأحياء، حاملاً حبلاً طوله  
نحو مترين، ويصيح: «من يشتري الحكمة؟» وكان بعض السكان السذج  
يتوجهون نحوه، وعلى وجوههم ملامح الحيرة، وعندما يدفعون له المبلغ،  
يعطي كل واحد حبلاً وشفعة كان معظمهم ينزعج بسبب الشفقة، ولكن  
يشفقون عليه، لأنه «أبله، مجنون». وكان أشخاص يواجهون الشفقة  
«بضحكة عالية»، ويتساءلون: هل العقل مسؤول عما يفعل المجنون؟

بعد أن اشترى شخص من المجنون حبلاً، وتحمل منه شفعة،  
ذهب إلى حكيم وسأله عن حقيقة بائع الحكمة، فقال له الحكيم: هذا  
أمر غامض، ولكن العقلاء الذين يسعون لراحة البال، وتجنب المشاكل  
يجعلون دائماً بينهم وبين الحمقى مسافة الحبل الذي يبيعه ذلك  
الأحمق، وإلا فإنهم يلاقون مداعبات مزعجة مثلما لقيت أنت. إنك لم  
تخطئ يا بني، فالرجل الأحمق كان يبيع «الحكمة».

\* \* \* \* \*

## الذئب والكلب الهزيل

لقي ذئب كلباً هزياً في الخلاء، فاقترب منه ليهجم عليه، فبادره الكلب قائلاً: ألا ترى أنني جلد على عظم، ولا يليق بك أن تأكلني وأنا على هذه الحالة من الضعف. إن سيدي يُعدّ العدة لزواج ابنته خلال أيام، وسيتوفر لي أثناء الاحتفال بالزواج من اللحم والطعام ما يحسن مظهري، ويزيد لحمي وشحمي؛ أرى أنه من مصلحتك أن نلتقي بعد بضعة أيام، سأكون في انتظارك .

وبعد أيام حضر الذئب ليرى إذا كان كلبه قد تحسّن وضعه وأصبح سميناً مشهياً. كان الكلب داخل المنزل وكلم الذئب من وراء قضبان النافذة قائلاً: سنخرج إليك حالاً، أنا وحارس المنزل». وكان حارس المنزل هذا كلباً ضخماً بارعاً في صيد الذئاب.

شعر الذئب بالخطر عندما سمع بـ«حارس المنزل»، وولّى هارباً. لقد كان هذه المرة ماهرًا في الفرار، ولكنه لم يكن ذكياً في تدبير عملية صيده، فخانته التجربة، ونسي الحكمة القائلة «سمكة في اليد، خير من عشرة في البحر».

\*\*\*\*\*

## الفأران والثعلب والبيضة

كان فأران يبحثان عن عشائهما فوجدا بيضة، فابتهجا بذلك.

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

وبينما هما يستعدان لتناول ذلك العشاء، ظهر ثعلب من بعيد. يا لها من مفاجأة مزعجة! وكيف ينقذان البيضة؟ هل يحملانها؟ أو يدفعانها أمامهما؟ أو يجرانها؟ كان الوضع بالنسبة لهما معقداً وخطيراً؛ والثعلب يقترب. من حسن حظهما أن الجحر كان قريباً.

وفجأة تخيّل الفأران حلاً عملياً لنقل البيضة إلى الجحر. استلقى أحدهما على ظهره، وأمسك البيضة بين أرجله الأربعة، وأخذ الفأر الآخر يجّره نحو الجحر. فهل من ينفي، بعد هذه التجربة، أن لبعض الحيوانات لمحات من الفكر والخيال ولمعات ذهنية تتغلب بها على الخطر، وتساعدنا على البقاء؟

\* \* \* \* \*

## الرجل والأفعى

بينما كان رجل يتجول في الخلاء لقي أفعى، فقال لها: «أيتها المخلوقة المتوحشة سأجعل منك عبرة لبني جنسك». وعندما سمع الحيوان الشرير (وأعني الأفعى وليس الرجل، أوضح المقصود، لأنه من الممكن أن وصف «الشرير» ينطبق أولاً على الإنسان). أقول عندما سمعت الأفعى قوله، استسلمت لقدرها، فقبض الرجل عليها، ووضعها في كيس، وقرّر أن يقتلها.

أراد الرجل أن يقنع نفسه بما يفعل، فأضاف: «أيتها الأفعى إنك مثال لمن ينكر المعروف»<sup>(1)</sup>. إن من يحسن إلى الأشرار يكون

(1) يشير لافونتان هنا إلى حكايته: القروي والأفعى.

أحمق، سأقتلك وأقضي على سمك القاتل». وأجابت الأفعى دفاعاً عن نفسها، فقالت:

«إذا أردنا أن نقضي على جميع الأشرار ومن ينكرون المعروف في العالم، فلمن خلق العفو؟ إنك، يا سيدي، بكلامك هذا إنما توجه الاتهام لنفسك، ولبني جنسك. فكّر قليلاً، انظر ماذا تفعل الآن! حياتي بين يديك فاقتلني! ألا ترى أن عدالتك إنما تخدم مصالحك؟، منفعتك، أنايتك ومتعتك؟! فلماذا لا تحاكم نفسك على أساس نزواتك وسلوكك؟ اسمح لي أن أذكرك، قبل أن تقتلني أن الإنسان هو رمز نكران المعروف، وليس الحيوان».

عندما سمع الرجل كلام الأفعى، رجع إلى نفسه وقال: «لقد أتيت بأعذار تافهة، ومن حقي أن أفعل بك ما أريد، ولكن سأصبر عنك قليلاً حتى نحتكم إلى مخلوق آخر، ولا شك أنه سيثبت وجهة نظري».

كانت بقرة ترعى بالقرب منهما، وبعد أن استمعت إلى الحكاية قالت:

«أرى أن رأي الأفعى هو الصواب؛ ولماذا أخفي عنكما حكايتي مع الإنسان؟ إنني أوفر له الغذاء منذ سنوات كثيرة، فهو ينتفع بجميع خدماتي، وبألباني، فأنا وصغاري نملاً منزله وبستانه بالخيرات، ويساعد وجودنا على تقويم وضعه، وتحسين صحته التي أضعفتها السنون؛ وكم تعبت من أجل متعته وتوفير احتياجاته اليومية. وعندما عجزت ونال من جسدي الزمان، ها هو الإنسان يهملني ويتركني في زاوية دون غذاء، لبيته يتركني أرعى في المروج؛ إنه يربطني بحبل قصير. فلو كانت وليّ أمري أفعى، هل كانت تتكر معروفي، وتجحد خدماتي».

وبعد أن استمع الرجل إلى كلام البقرة، قال للأفعى: إنها عجوز  
ثرثارة تهرف بما لا تعرف.

ثم اقترح الرجل على الأفعى أن يحتكما إلى ثور قريب، فاستدعاه،  
وحكى له وقائع الحكاية مع الأفعى، فسكت الثور ملياً، ثم قال:

«كم تعبتُ وعانيتُ في خدمة الأرض، وفي تحمّل الأعباء وجرّ  
العربات... وفي أحيان كثيرة كان جزائي (ورفاقي) إنكار جهودنا  
ومعاناتنا، وأحياناً إهمال رعايتنا، وضرينا لمواصلة العمل دون راحة. ثم  
عندما يتقدم بنا السن، وتضعف قوانا، يظن الإنسان الجحود أنه  
يرضى الآلهة عندما يضحى بنا قرباناً لها».

غضب الرجل عندما سمع هذه «الاثهامات»، وردّ على الثور قائلاً:

«فلنسكت هذا الثور الذي أزعجنا كلامه، إنه بدلاً من أن يضطلع  
بدور الحكم العادل، يتجرأ على اتهام سيده، إنني أستكر قوله وأرفض  
حكّمه».

قرّر الرجل والأفعى أن يحتكما إلى شجرة قريبة، فقالت:

«ظل سيدي يستغلني بطرق عديدة، فكنت أوفّر له الغلال  
والظلال، ويحتمي بي من الشمس، والمطر، والرياح العاتية، وأحياناً لا  
يتردد في قطع بعض أغصاني لتدفئة منزله في فصل الشتاء...».

طلب الرجل من الشجرة أن تكف عن «ثرثرتها»، وقرّر أن يفرض  
رأيه بالقوة، فقال:

«لقد استمعت بصبر وهدوء إلى كلامكم، وهذا من دلائل كرم أخلاقي وتسامحي».

ثم تناول الكيس، وبدخله الأفعى، وضربه على الأرض حتى ماتت الأفعى؛ واعتبر فعله هذا من أفعال «العظماء» الذين يؤذيهم الاستماع إلى من هم دونه مرتبة؛ لأنه يرى أن جميع المخلوقات إنما خلقت لخدمته، وأن أي حيوان يثور عليه فهو أحمق، لا يستحق الحياة.

\* \* \* \* \*

## السلحفاة والبطتان

سئمت سلحفاة من العيش في كهفها، ورغبت في زيارة بلدان أخرى. وذات يوم لقيت بطتين فحدثتهما عن رغبتها، فقالت البطتان: يمكننا أن نأخذك في رحلة طويلة تشاهدين أثناءها بلداناً كثيرة، وشعوباً مختلفة، وأنهاراً وغابات وجبالاً شامخة. وافقت السلحفاة على الاقتراح، وجاءت البطتان بعصا، وطلبتا من السلحفاة أن تمسك وسط العصا بفمها، ونصحتها بأن لا تفتح فمها أثناء التحليق أبداً.

أمسكت كل بطّة بطرف العصا، وطارتا بها عبر الأجواء. وشاهد السكان ذلك المشهد العجيب فصاحوا بأعلى أصواتهم: إنها معجزة! ملكة السلاحف تطير في السماء، ياللعجب! ولم تتمالك السلحفاة، فردت عليهم: أجل، ملكة السلاحف تطير، فقأ الله أعينكم. ولكن ما أن فتحت فاهما حتى هوت على الأرض، وقضت نحبها.

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

وهكذا كان طموح السلحفاة القاتل، وتهورها، وفضولها، وحماعتها،  
وغرورها سبباً في هلاكها وقد قيل قديماً: هلاكك بين فكيك.

\* \* \* \* \*

## البخيل وكنزه

جمع بخيل كنزاً ثميناً، وبات محتاراً يفكر في أيّ مكان يخفيه.  
كان يخشى أن يُسرق الكنز إذا تركه في منزله، ويقول: إذا تركته  
أمامي، أخشى أن أنفق منه، فتنقص قيمته، وفي هذه الحال أكون كمن  
يسرق نفسه.

أيها الصديق، إنني أخجل من بخلك، وجهلك، وحماعتك، فخذ  
مني هذه النصيحة:

إن المال لا يكون خيراً إلا إذا أنفقنا منه على أنفسنا وأهلنا...  
إلخ، وإلا فإنه يصبح شراً ونقمة على صاحبه. فهل تريد أن تكنز مالك  
إلى زمن تصبح فيه غير قادر على التمتع به؟ أو إلى أن يحجر عليك  
فتمنع من التصرف فيه؛ أو تكنزه حتى تهلك، فيبتهج الورثة به، وقد  
يتنازعون على اقتسامه!

لقد تعبت وشقيت من أجل جمع المال، والآن تساورك الهموم من  
أجل المحافظة عليه في مكان آمن؛ وما فائدة المال إذا كان يزيد  
همومك ويقلق فكرك؟!



كان صاحب الكنز المذكور لا يثق بمن حوله، ففضل أن يخفيه في مكان آمن، تحت التراب؛ فاصطحب صديقاً له يثق به إلى مكان بعيد، ودفن كنزه. وبعد أيام عاد ليزور كنزه فلم يجد إلا حفرة فارغة .

عرف أن سارق الكنز هو صديقه الذي رافقه عند دفن الكنز، فذهب إليه وقال له:

«إن لدي مبلغاً آخر من المال أرغب في دفنه في نفس المكان الذي دفنا فيه الكنز السابق، فهل لك أن ترافقني غداً؟» فقال السارق في نفسه:

«من الأفضل أن أعيد المال إلى مكانه، وأنتظر حتى يضيف إليه الرجل ما بقي لديه من المال، بعد ذلك أستولي على كل الكنز».

ولكن صاحب الكنز كان حكيماً هذه المرة، فقد ابتهج بقدرته على خداع صديقه الذي سرقه، فما أن أعاد السارق الكنز إلى الحفرة حتى أسرع إلى أخذه، وتركه في منزله، وقرّر أن يتمتع بجميع أمواله، فلا تخزين، ولا تقشير، ولا بخل بعد اليوم.

\* \* \* \* \*

## الذئب والرعاة

يحكى أن ذئباً كان متعاطفاً ومتسامحاً مع بني الإنسان، (إن صح أن يوجد ذلك في عالمنا) فكّر ذات يوم في وحشيته التي لا يمارسها إلا عند الضرورة، وقال لنفسه: «إن جميع الناس يكرهونني، ويعتبرونني

عدواً: الكلاب، الصيادون، القرويون، مجمعون على القضاء علي». وواصل الذئب شكواه :

«ولكن لماذا كل هذه الكراهية؟ أمن أجل خروف أجرب، أو حمار نتن؟ أم من أجل كلب شرس؟ إذا سأتجنب أكل الحيوانات، وأكتفي برعي الأعشاب، أو أموت جوعاً؟ أم أختار أن أعيش كعادتي وسط كراهية الناس وحقدهم؟! إنه مصير قاسٍ.

وبينما كان الذئب محتاراً يفكر في مستقبل حياته، شاهد عدداً من الرعاة يأكلون خروفاً مشوياً، فوقف عن بعد يتلذذ برائحة الشواء، ثم قال: ما هذا؟ ماذا أرى؟ يلومونني على سفك دم حيوان، وها هم الرعاة يذبحون ويشوون الخرفان، وينعمون وكلاتهم بلحم لذيذ. ولماذا إذا ألوم نفسي، وأشعر بالذنب بعدما شاهدت من فعل الإنسان؟ كلا ثم كلا! أقسم برب المخلوقات أنني سأكل الخرفان، وأمهااتهم، وآباءهم، وما شابه ذلك».

كان هذا الذئب على حق، لقد شاهد بني آدم يذبحون الخرفان، والمعز، والأبقار، وحتى الأرانب والدجاج... في الخلاء وفي منازلهم، في أعيادهم واحتفالاتهم، وأعراسهم، وينعمون بلحومها وشحومها، هم وكلاتهم وقططهم؛ ورأى هذا الذئب أنه إذا استمر الناس في شرهم ووحشيتهم واعتداءاتهم على الحيوانات، سيقضون عليها.

أيها الرعاة ليس الذئب مخطئاً وعدوانياً إلا لأنه ضعيف ومغلوب على أمره؛ فهل تطلبون منه أن يعيش حياة الناسك، الزاهد، ليموت جوعاً؟ ولماذا يكون حراماً عليه ما هو حلال لكم؟

\* \* \* \* \*

## العنكبوت وطائر السنونو

توجهت العنكبوت ذات يوم إلى إله السماوات بدعائها قائلة: إلهي أرجوك أن تساعدني، وتبعد عني طائر السنونو الذي ما زال يحوم حول شبكتي ويخطف منها الحشرات التي أصطادها بعد طول صبر وعناء؛ ولولا هذا الطائر المشؤوم لكانت شبكتي اليوم ممتلئة بالحشرات.

قول العنكبوت صحيح، فقد كان السنونو يخطف من شبكة العنكبوت ما استطاع من الحشرات ليطعم فراخه التي تنتظر عودته فاغرة أفواهها. وفي النهاية هجم الطائر على الشبكة، وخطف العنكبوت نفسها لتكون طعاماً لفراخه.

وهكذا يبدو أن القدر أعدّ موائد متنوعة من الغذاء في العالم، في البرّ والبحر، يأكل منها كل حيوان حسب قوته وجنسه وإمكانياته. يتناول الأقوياء طعامهم المفضل أولاً، ثم يلتقط الضعفاء ما بقي من الفتات.

\*\*\*\*\*

## الملك وابنه والبغاء وابنه

كان طائر البغاء وابنه ينعمان بعيشة العزّ والرخاء في قصر الملك وابنه الأمير. وكان الطائران يحظيان بالرعاية والمودة من جميع أفراد العائلة المالكة. وكان الملك والأمير الصغير معجبين كل الإعجاب

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

بمهارة الطائرين على تقليد أصوات الناس والحيوانات؛ وكان الأمير يتسلى مع الببغاء الصغير كما يلعب مع صديق له.

وكان في القصر شحرور جميل يمتع كل من حوله بألحانه العذبة. وبينما كان الأمير الصغير ذات يوم يلعب مع الببغاء الصغير، تحول اللعب إلى شجار باليد وبالمنقار. وكان الشحرور الصغير يقفز حولهما، فحدث أن هجم الببغاء الصغير عليه ضرباً بمنقاره وقتله. واشتد غضب الأمير عندما شاهد شحروره مقتولاً، فهجم على الببغاء الصغير وقتله.

شاهد الببغاء الأب صغيره مقتولاً فاشتد غضبه وهجم على الأمير الصغير وفقاً عينيه، وفرّ خوفاً من انتقام الملك، فأقام بقمة شجرة أرز شامخة وسط غابة مجاورة.

علم الملك بما حدث لابنه الأمير، فكتم غيظه، وجاء إلى الببغاء، وقال له:

«أيها الصديق، عدّ إلينا! فقد قضي الأمر، والآن لا يجدي الحزن ولا البكاء، فلنترك ذكر العداوة والانتقام جانباً، ومهما كان حزني على ابني الأمير عميقاً، فإني أعترف بأنه كان المبتدئ بالعدوان، وكل ما حدث بين الصغيرين كان قضاءً وقدرًا؛ فقد كتب على أحدهما أن يموت، وعلى الآخر أن يفقد بصره. فلنعزي أنفسنا، ولنخفف من حزننا، ولتعد إلى قفصك كأن شيئاً لم يكن» فأجابه الببغاء قائلاً:

«أيها الملك العظيم، هل تظن بعد ذلك الحدث المؤلم، أنني سأثق

بقولك؟ إنك تحاول أن تخفف من الأمر الجلل بالحديث عن القضاء والقدر، ولا أظن كلامك المعسول إلا طعمًا تخدعني به لتعيدني إلى قصرك ثم تقضي عليّ. وسواء كانت العناية الإلهية أو الحظ والنصيب هو الذي ينظم شؤون الناس، فإنني أرى أنه قد كتب عليّ أن أقضي بقية حياتي على قمم الأشجار، وفي أعماق الغابات، بعيداً عن هذا الحدث المشؤوم الذي اعتبره أمراً جديراً بأن يخلق الحقد ويدفع للانتقام».

«إنني أعلم أن الانتقام جزء من أفعال الملوك، وأنت، أيها الملك المعظم، لعلك تحاول أن تنسى هذا الحدث المؤلم، ومع ذلك من الحكمة أن ابتعد عن عينيك، وعن قبضة يديك، لذلك أرجو أن تتركني لمصيري، ولا تحدثني عن الرجوع إلى القصر، فإن الغياب عن النظر قد يكون علاجاً للكراهية، لأن مشاهدة العدو تثير الأحقاد الدفينة».

\* \* \* \* \*

## المزارع والكلب والثعلب

الذئب والثعلب من الحيوانات التي تزرع الفلاحين، ولا أحد منهم يرضى أن يكون جاراً لهما. كان ثعلب يراقب باهتمام وحذر دجاج مزرعة. وكان دوماً يشعر بالقلق، فالجوع من جهة يدفعه للمغامرة، والخوف من الرعاة والكلاب يرعبه من جهة أخرى.

كان هذا الثعلب يردد في نفسه :

«أهكذا أسمح لهذه الدواجن أن تتجول أمام نظري؟ وتستخف

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

بوجودي؛ وها أنا أطوف حولها، غدوا ورواحا، متعباً وجائعاً دون جدوى! بينما أشاهد المزارع وأعوانه يواصلون أعمالهم، ويبيعون الدواجن، ويتمتعون بأكل لحومها، وأنا الحيوان المعروف بدهائي وهجماتي المفاجئة، أكتفي بأن أخطف من حين لآخر ديكاً عجوزاً أَنهَكَتَهُ الشِيخوخة! إلهي لماذا أوكلت إلي مهنة صيد الدجاج؟ ولكن سأتدبر أمري، وهذه المرة سيكون هجومي مباغتاً ومفجعاً، هجومًا تتحدث عنه القرى المجاورة.

وذات ليلة مقمرة لاحظ الثعلب أن المزرعة هادئة، وكان جميع سكانها غارقين في نوم عميق؛ وكان ربّ المزرعة نسي أن يغلق الحواجز والأبواب حول حظيرة الدجاج؛ فاغتنم السارق الماهر الفرصة وهجم على الدواجن هجوم المنتقم، فخنق عدداً منها، وفي الصباح الباكر ظهرت المجزرة والمشهد الدموي الذي تركه الثعلب.

اشتد غضب ربّ المزرعة، وراح يلوم الخدم والكلاب، ويهدد ويتوعد بتشديد الحراسة، وتقوية سياج الحظيرة.

\* \* \* \* \*

## حلم رجل في منغوليا

هذه حكاية رجل رأى في منامه أنه في منغوليا، وأنه أمام وزير عظيم يعيش في جنة من نعيم ورغد العيش، يتمتع بجميع ملذات الحياة الطاهرة، وينعم بخيرات ومباهج لا حدود لها. وشاهد كذلك

حلمًا آخر، كأنه في بلاد أخرى، وأنه أمام رجل ناسك ورع تحيط به النيران من كل جانب في دار العذاب. كان الرجل في حيرة مما يشاهد في مناميه: وزير كبير في جنة النعيم؛ ورجل ناسك (ومعه رفاقه) في الجحيم!

ذهب الرجل إلى الحكيم وسأله أن يفسر له ما شاهد من تناقض بين المنامين فقال له الحكيم :

«لا تعجب يا بني، إن في ما شاهدتَ في مناميك معنى وموعظة من الله لعباده. فالوزير أثناء حياته الدنيا كان يبحث عن العزلة والوحدة؛ وكان الناسك المنعزل يزور الوزراء أحياناً ليتملقهم ويبيدي إعجابه بحياتهم».

وليسمح لي القارئ الكريم أن أضيف كلمة إلى ما قاله الحكيم، فإنني أستلهم من كلامه فائدة العزلة وأهمية الخلوة، إنها توفر لمحبيها مزايا نفسية وجسدية، دون التعرض لمتاعب الازدحام والارتباط؛ وتوفر لهم خيارات صافية طاهرة كأنها هدية من السماء.

إنني شخصياً أجد متعاً لذيذة في العزلة، عندما أكون بعيداً عن ضجيج المدينة وضوضائها، أتمتع بظلال الأشجار، وعطور الأزهار، ونسائم الإصباح، والأمسيات الهادئة تحت سماء مزخرفة بقمرها ونجومها، أتبادل مع الرفاق حكايات المخلوقات في العهود الغابرة.

وأودّ أن أكرر اهتمامي بمعرفة أشياء كثيرة عن حركات الأجرام السماوية، وأسرارها ... وإذا كنتُ لم أولد لأنجز مشاريع كبيرة في

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

مجالات الشعر والأدب، أرجو على الأقل أن توفر لي الجداول والجبال  
والمروج والغابات مشاهد منعشة أتغنى بها وأرسمها بأشعاري.

لعل القدر لا يقيد حياتي بشباكه الذهبية؛ ولا أنام تحت سقوف  
مزخرفة. وهل يكون النوم أقل عمقاً ولذّة في كوخ من أكواخ الريف.  
وخلاصة القول أنني أرجو أن أقضي ما بقي من حياتي بعيداً عن  
المقلقات والهموم، وأن أعيش مرتاح البال، مطمئن الضمير، عيشة  
راضية مرضية.

\* \* \* \* \*

## الأسد والقرد والحماران

كان أسد يرغب في دراسة علوم الأخلاق والسلوك لكي يستطيع  
أن يحكم البلاد بأفضل أساليب الحكم، فأحضر أمامه القرد الذي كان  
يعتبر في مملكة الحيوان الأستاذ الضالع في العلوم والفنون. كان الدرس  
الأول الذي ألقاه الأستاذ القرد على ملك الحيوانات على النحو التالي:

«أيها الملك المعظم، على كل أمير يريد أن يدير شؤون البلاد  
بحكمة وعدالة، أن يركز على مصالح الدولة، وأن يتجنب ما ندعوه  
عادة «حب الذات» و«الكبرياء» لأنه مصدر جميع الأخطاء والمشاكل  
التي تقع فيها الحيوانات. وأذكر سيادتكم، أيها الملك، بأنه ليس من  
السهل التخلص من هذا الشعور المشين، بل يكفي في البداية تلطيف  
هذا الشعور حتى يبلغ مرحلة الاعتدال.



قال الأسد الملك للقرد: إضرب لي مثلاً على ذلك!. فأجابه القرد:

«إن جميع الأجناس، بما في ذلك جنسنا، تفتخر بنفسها، وتصف الآخرين بأنهم جهال، أو سفهاء وأغبياء. ألا نلاحظ أن كثيراً من المواهب تتلخص في صفات التصنع والنفاق، والتملق، والاحتيال؛ وهي تركز على مزايا الشخص، وأنانيته، والادعاء بخصائل لا يملكون».

«أذكر أنني شاهدت قبل بضعة أيام حمارين يتبادلان عبارات الثناء والتملق، فسمعت أحدهما يقول لرفيقه: «أيها السيد الموقر، ألا تجد أن هذا الحيوان الذي يدعى «الإنسان» يهين اسمنا وجنسنا الطاهر الموقر، فيصف كل شخص جاهل أو غبي بأنه «حمار». ثم يصف حديثنا بأنه نهيق، ويهيننا بعبارات أخرى قبيحة. ألا ترى أن هذه الإهانات لجنسنا ظلم وحماسة وعدوان؟»

«واسمح لي أن أصارحك بشيء حقيقي: إن لك نهيقاً موسيقياً، سماوياً، ينعش الأذان، ويضطرب النفس؛ إن أنغام نهيقك تسخر من ألحان البلابل، بل إنها أسمى من ألحان أشهر المغنين من بني الإنسان».

فأجابه رفيقه الحمار قائلاً:

«أيها الصديق المبجل، أؤكد لك أنني معجب بمواهبك الفريدة».

وأغدق عليه ما سمح به خياله من عبارات المدح والإجلال والتقدير. وراح هذان الحماران يتجولان وكل منهما يثني على ما في الآخر من خصال وصفات حميدة.

وواصل الأستاذ القرد حديثه مع الأسد قائلاً:

«إنني أعرف اليوم، أيها الملك الموقر، أن كثيراً من هؤلاء المداحين المتملقين ليسوا من الحمير، بل من أصحاب المعالي والسمو، ومن ذوي المقامات الرفيعة ممن يكيل بعضهم للبعض الآخر عبارات التعظيم والتمجيد. وأخشى أن أنطق أمام جلالتكم بأكثر مما تسمح به الظروف، ولكنني أفترض أن جلالتكم تحفظون لي هذا السرّ. وقد رغبتم في معرفة شيء عن حبّ الذات قد يؤدي بأصحابه إلى السخرية، ولا شك أنه بمرور الزمن يلقي المسيئ جزاءه».

ولا ننسى أن القرد، صاحب الذكاء والرأي الحكيم، كان هو الآخر، يرى في الأسد ملكاً مرعباً.

\* \* \* \* \*

## الذئب والثعلب

كان الثعلب يتجول ذات ليلة فمرّ ببئر به ماء، وقف على فتحة البئر ليروي عطشه. شاهد في الماء صورة القمر، ولشدة جوعه ظهرت الصورة المستديرة كأنها خبزة جبن. وكان على فتحة البئر دلوان متوازنان ينزل أحدهما إلى قاع البئر، فيصعد الآخر.

قرّر الثعلب وقد أضناه الجوع أن ينزل إلى البئر ليحلب «خبزة الجبن»، فجلس في الدلو أمامه، ونزل بسهولة. ولكنه لم يجد الجبن الذي كان يتوق إليه؛ ولم يجد سبيلاً للخروج من البئر.

قضى الثعلب يومين وليلتين في رعب، وأوشك أن يفقد حياته.  
وفجأة أطل عليه ذئب دفعه العطش هو الآخر إلى البئر؛ فخاطبه  
الثعلب من أعماق البئر قائلاً:

أيها الرفيق، انظر إلى خبزة الجبن هذه، إنه لذيذ؛ وأرى أنك في  
حاجة إلى إشباع جوعك، فانزل في ذلك الدلو أمامك! وما أن نزل  
الذئب حتى صعد الدلو الآخر بالثعلب، فنجنا بنفسه تاركاً الذئب في  
قاع البئر.

وكذلك يصدق كثير من الناس المواقف المغرية بحماقة فيقعون  
في مغامرات خطيرة.

\* \* \* \* \*

## الرجل المسن والفتيان

كان رجل مسن يغرس شجرة، ومرّ به ثلاثة فتیان، فحيوه وقالوا له:

«أتغرس أيها الشيخ شجرة، وأنت في هذه المرحلة من العمر؟! قل  
لنا بريك، هل ترجو أن تتمتع بثمار هذه الشجرة؟ عندئذ يجب أن  
تعيش مائة عام أو يزيد، ولكن لماذا تتعب نفسك بالعمل لمستقبل لن  
تكون من أهله؟».

«أليس أولى لك أن تفكر في خطايا الماضي وتتوب إلى الله،  
وتترك مشاريع المستقبل للشباب أمثالنا؟» فردّ عليهم الشيخ قائلاً:

«لقد نسيتم أن يدَ القدر العادلة تحوم حول أعماركم كما تحوم حول عمري. فهل لديكم ما يضمن مصيركم غداً أو بعد غد؟ ومن منا سيتمتع بمشاهدة أنوار السماء وغللال الربيع والصيف المقبلين دون غيره؟ أما أنا فأني أبني الآن لأحفادي، وأتمتع بما أفعل. أبني للمستقبل كما بنى السابقون لنا؛ وربما يرزقني القدر عمراً طويلاً فأشاهد شمس صباح تطلع على قبوركم».

\* \* \* \* \*

## الفئران وطائر البوم

بنى طائر البوم عشه وسط شجرة ضخمة عتيقة. وكان يسكن داخل جذعها، في حفر عديدة، عدد من الفئران بدون أرجل، ولكن الفئران كانت سمينة.

كان طائر البوم في أول عهده يصطاد من حين لآخر بعض هذه الفئران، وعندما فطنت لخطرهِ أصبحت تختفي كلما اقترب منها. ورأى الطائر أن الوسيلة الوحيدة ليسهل اصطيادها هي أن يبتز أرجلها عندما تولد لتبقى تحت تصرفه، ويصطاد ما يشاء منها عندما تنمو. وبلغ الأمر بالطائر أنه كان يجلب لفئرانهِ ما تتغذى به من الحبوب والفاكهة وغيرها، ذلك لأنها عاجزة عن الصيد.

ويتساءل المرء : كيف تفتن طائر البوم إلى حيلة (أو فكرة) بتر أرجلها لكي لا تفر منه؟! ثم كيف «تنبه» إلى فكرة أن الفئران ستموت إذا

لم يجلب لها الغذاء؟! فهل فعل طائر البوم كل ذلك بفضل الغريزة وحدها؟ وهل نقول عن هذا الطائر، وعن كثير من حيوانات البر والبحر أنها مجرد آلات وأجهزة مبرمجة؟ وأي جهاز أو محرك آلي أعطى لطائر البوم فكرة بتر أرجل الفئران لكي لا تفر منه؟ ولعله كان «يفكر» على النحو التالي :

«عندما أصطاد كثيراً من الفئران يجب أن أكلها كلها في حين اصطيادها، وهذا غير ممكن. وإذا لم أفعل فإنها تفرّ مني. ثم أرغب في الاحتفاظ بعدد منها للغد، وما بعده؛ ولكن كيف أمنعها من الفرار؟ إذا الحل هو أن أقطع أرجلها. وفي هذه الحالة يجب أن أطعمها». أليس هذا نوعاً من التفكير؟».

هذه التساؤلات تخرجنا من موضوع الحكاية إلى تفكير فلسفي. وأنا لا أهدف هنا إلى التأكيد على موهبة التفكير، وإذا كان في حكايتي هذه شيء من المبالغة، فهي مما يسمح به لخيال الشعراء، خاصة في مجال حكايات الحيوانات.

\*\*\*\*\*

## القط العجوز والفأرة الصغيرة

اصطاد قط عجوز فأرة صغيرة فسألته أن يتركها حتى تكبر، فقالت له: إنني صغيرة الحجم، قليلة الوزن، لا أسمن ولا أغني من جوع، فاصبر عليّ بعض الوقت؛ وإذا لم تأكلني أنت، فسيصطادني جراًؤك.

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

فأجابها القط قائلاً: أمتلى، وأنا القط العجوز المجرب تقولين  
هذا الكلام؟ إن صغاري سيصطادون لأنفسهم؛ أما الآن فإني أفضل  
المثل القائل: عصفور في اليد، خير من عشرة على الشجرة.

\* \* \* \* \*

## الغزال المريض

كان غزال يسكن في منطقة تكثر فيها الغزلان، وأصيب ذات يوم  
بمرض فأسرع عدد كبير منها لزيارته. وأزعجه تكاثر الغزلان حوله  
فقال:

«أيها الرفاق، ارجعوا إلى أحيائكم، كفوا عن دموعكم! ودعوني  
وحظي! غير أن الغزلان وجدت المرعى طيباً والعشب لذيذاً، فأطالت  
الإقامة بقرب الغزال المريض.

وعندما خف مرض الغزال وخرج ليرعى كعادته، لم يجد شيئاً  
من العشب حول إقامته، فعانى من الجوع، وعاوده المرض، فمات.

وتسود مثل هذه العادات السلبية لدى بني آدم عند زيارة المريض،  
فتتوالى وفود الأقرباء، والجيران والأصدقاء، وكذلك زيارة الأطباء،  
فيأكلون، ويشربون، ويسهرون، وفي ذلك إزعاج للمريض، ومتاعب  
لأسرته.

\* \* \* \* \*

## الخفاش والأدغال والبطة

اكتشف الخفاش، وطائر البط، والأدغال، أن تجارتهم لا تلقى نجاحًا في مدينتهم، فقرروا أن ينتقلوا إلى بلد آخر؛ وهناك انتعشت شركتهم، وازدهرت تجارتهم، وتوفرت لديهم كميات كبيرة من مختلف السلع والبضائع، وأصبح لهم وكالات تجارية ووكلاء نشطون.

غير أنه حدث ذات مرة أن سفينة كبيرة، كانت تحمل كميات ضخمة من بضائعهم وسلعهم، اصطدمت بصخور في عرض البحر فهوت إلى أعماق البحر. كانت هذه الكارثة خسارة لا تعوض، إذ لم يبق لدى هؤلاء التجار الثلاثة موارد مالية، ولم يساعدهم أحد على النهوض من جديد، ففقدوا الثقة لدى التجار الذين كانوا يتعاملون معهم، وتراكمت الديون وفوائدها، ورفضت ضدهم دعاوي قضائية. اضطرت البطة إلى الاختفاء في المياه البعيدة، واختفى الخفاش في المغارات.. وراحت الشرطة تبحث عنهم في كل مكان.

هذه حكاية رمزية متواضعة عن البطة السمينة، والخفاش المزعج، والأدغال المظلمة، ولكنها ترمز إلى أفعال كثير من أرباب النفوذ والمراكز العليا في عصرنا الذين يقترضون الأموال من المصارف، أو يجمعونها من عامة الناس تحت غطاء إنجاز مشاريع اجتماعية لصالح السكان، ثم يعلنون الإفلاس، أو يحوّلون الأموال إلى بلاد أجنبية، وتختفي آثارهم.

\*\*\*\*\*

## الشجار بين الكلاب والقطط، وبين القطط والفئران

ما زال الخلاف والنزاعات والعدوانية تسيطر على عالمنا منذ القدم . وتقدم حياتنا ألف مثال ومثال على ذلك . ففي كل يوم نلاحظ تجدد الشجار والمواقف العدائية بين الناس، فرادى وجماعات، تؤدي أحياناً إلى حروب طاحنة ومآسي محزنة .

كان يوجد في مبنى واسع كثير من الكلاب والقطط والفئران، واهتم صاحب المسكن بتنظيم أشغال هذه الحيوانات، ووجبات طعامها... وهددها بأن يستعمل السياط ضد من يخالف التعليمات ويثير الشغب.

عاشت هذه الحيوانات فترة من الزمن، كما يعيش بني آدم، في أمن وسلام، حتى أصبح ذلك التفاهم يعتبر نموذجاً بناءً يليق بالناس أن يقلدوه. ولكن حدث ذات يوم أن ثارت خلافات بين هذه الحيوانات في المطبخ حول أشياء تافهة: صحن حساء ساخن، عظم كبير وآخر صغير، قطعة جبن لهذا دون ذلك.. جعلت بعض الحيوانات تفقد السيطرة على هدوئها، وثار بينها الشغب فكشّر بعضها على أنيابه، ودافع القط عن بني جنسه، ووقفت الكلاب تهدد بالهجوم، واحتارت الفئران فتجمعت في زاوية؛ وسرعان ما اشتعلت النار في المطبخ وفي غرف الطعام.



وأعود إلى مغزى الحكاية فأقول: من المؤسف أننا لا نجد على ظهر البسيطة مخلوقاً ليس له من يعارضه، أو يكرهه، أو يحسده، أو يهدد حياته. إنه قانون الطبيعة. ولا يجدي في هذا المجال البحث عن الأسباب. نقول إن الله خلق المخلوقات على أحسن وجه، ولا أعرف أكثر من هذا. بل أعرف أنه في كثير من الحالات يقفز الإنسان من «لا شيء» إلى الكلام البذئ، وتضخيم الوقائع.

أيها الناس، لعلكم في حاجة إلى العودة إلى مدارس التربية والتعليم عندما تبلغون سنّ الستين من أعماركم.

\* \* \* \* \*

## الذئب والثعلب

كثير من الناس، أو معظمهم، لا يرضون بحظهم ونصيبهم من الدنيا. هذا يودّ أن يكون جندياً، وآخر يكره أن يكون جندياً؛ زيد يحب أن يصبح نجاراً، وعمرو يفضل أن يكون جزاراً؛ وهذا شخص يمارس مهنة محامي، ولكنه يتمنى لو كان طبيباً.. إلخ .

وفي هذا السياق ، يحكى أن ثعلباً لقي ذئباً فقال له:

«لقد كرهت مهنتي، إنني في معظم الأحيان لا أصطاد إلا ديكاً عجوزاً أو دجاجة هزيلة؛ حقاً سئمت هذا النوع من اللحوم. أمّا أنت، أيها الذئب. فإنك محظوظ، تصيد الخرفان ذات اللحم الشهي، ومن دون أن تعرض حياتك لكثير من الأخطار مثلي. فبينما أضطر أنا

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

للهجوم على المزارع والقرى، تصطاد أنت في المروج والبراري الواسعة.  
أرجوك، أيها الصديق، أن تعلمني حرفتك، وسأعترف بجميلك ما  
حييت. فأجابه الذئب:

«سأفعل ما طلبت حالاً. لقد نطق ذئب من أقاربي هذا الصباح،  
وما زال جلده طرياً؛ هيأ معي لترتيديه».

ثم علمه كيف يتصرف، وماذا يفعل ليتجنب الرعاة والكلاب،  
وغير ذلك من ضروريات المهنة.

وراح الثعلب (في هيئة الذئب) يسير في الخلاء حتى لقي قطيعاً  
من الغنم، فهجم هجوم الذئاب، وبثّ الذعر في وسط القطيع،  
واستطاع أن يصطاد خروفاً صغيراً. وبينما كان يجره إلى مكان آمن،  
سمع ديكاً يصيح بأعلى صوته من بعيد، فرمى الثعلب (المتكّر في  
صورة الذئب) الجلد الذي كان يرتديه، ونسي الخروف، والدروس،  
ومعلمه.. واتجه مسرعاً نحو الديك.

وقد قيل قديماً: «الطبع يغلب التطبع»، فلا يجدي أن يغير المرء  
مظهره طمعاً في أن تتغير طبائعه.

\* \* \* \* \*

## الثعلب والذباب والقنفذ

بينما كان ثعلب يتجول في المروج، شاهده صياد، فأصابه بسهمه

وجرحه. كان هذا الثعلب قويًا، رشيقًا، ماهرًا، وماكرًا كعادته. ولكن حظه عرّضه للخطر هذه المرة، فراح يهرول بمشقة حتى خارت قواه، ووقع على الأرض. وسرعان ما التفّ حوله الذباب.

راح هذا الثعلب يشكو حظه التعس إلى السماء ويقول: «لا أصدق ما يحدث لي، أنا الثعلب البارِع، الداهية، القوي، رشيق القوام، يبتليني القدر حتى أسقط في الوحل، فريسة لهذه الحشرات الحقيرة المزعجة!»

وسمع شكواه قنفذ كان يمرّ بجواره، فاقترب منه وقال له:

«سأرمي هذا الذباب بأشواكي فأقضي عليه، أو أبعده عنك، وأخلصك منه!»

فأجابه الثعلب قائلاً:

«شكرًا لك أيها الرفيق، ولكن أنصحك ألا تفعل! دَع هذه الحشرات تواصل غذاءها، بل إنها شبعت، وستهجم عليّ حشرات أخرى أشدّ شراسة.»

ونحن بنو آدم، ومنا القضاة، ورجال البلاط، والندماء، وأصحاب النفوذ... ألا نعيش على الطمع، والنهب، والرشوة، والتنافس لجمع الثروات؟ وعندما يذهب الأبناء، يواصل الأبناء، والأقرباء عمليات نهب خيرات الشعب المسكين.

\*\*\*\*\*

## الغراب والغزالة والسلحفاة والفأر

اجتمعت الغزالة، والغراب، والسلحفاة، والفأر في بيئة طبيعية ملائمة لحياتهم، بعيداً عن اعتداءات الإنسان، وقرروا أن يعيشوا مجتمعين متعاونين في أجواء آمنة هادئة وظروف ملائمة.

غير أن طمع الإنسان واعتداءاته ليس لها حدود. فهو يسعى على الدوام ليكتشف ويستغل كل بقعة في الغابات، والصحاري، والبحار، والوديان، وينصب شباكه الشيطانية بأساليب خفية، فلا ينجو من بطشه مخلوق.

بينما كانت الغزالة ذات يوم ترعى مرحة في بيئتها، اكتشف كلب مكانها، راح يتبع خطاها. والكلب، أيها السادة، هو ذلك الحيوان الوفي لسيده الذي يربيه ويستغله لقضاء حاجاته في المزرعة، والغابات، والبراري.

وحضر موعد الغداء فقال الفأر لرفاقه:

- أرى أن فرداً من جماعتنا ما زال غائباً، فأين الغزالة؟!

وصاحت السلحفاة:

- آه! لو كان لي جناحان مثل الغراب فأطير حالاً لأبحث عنها، وأستطلع أمرها؛ أرجو ألا يكون قد أصابها سوء أو مكروه. وحلق الغراب بأقصى سرعة فشاهد من بعيد رفيقتهم الغزالة

تتخبط في شرك نصبه لها صياد من بني الإنسان؛ ورجع بسرعة ليخبر رفيقيه بالخبر المزعج.

أسرع اثنان من الجماعة لمساعدة الغزالة، وبقيت السلحفاة لحراسة المأوى، نظراً لبطء حركتها. غير أنها قررت أن تلتحق بهم لعلها تشارك في عملية إنقاذ الغزالة. وكان الفأر قد هجم على الفور على شبكة الصياد بأسنانه الحادة يمزق عقدها واحدة تلو الأخرى. وشاهد الغراب والفأر الصياد يقترب من مكان الشبكة، فقفز الغراب إلى شجرة، واختفى الفأر داخل جحر؛ واختفت الغزالة بين الأدغال.

اشتد غضب الصياد عندما وجد شبكته ممزقة، وفي تلك اللحظة شاهد السلحفاة قادمة بخطى بطيئة، فهجم عليها، فوضعها في جرابه.

شاهد الغراب ما فعل الصياد بالسلحفاة، فأسرع إلى الغزالة وأبلغها بذلك؛ فخرجت من مخبئها، ومرت بالقرب من الصياد، وراحت تتظاهر بأنها لا تراه، وتهرول في مشيتها بطريقة توهمه بأنها تتألم من رجلها. فرمى الصياد الجراب وراح يتعقبها، وساعدت هذه الخدعة الفأر فأسرع لينقذ السلحفاة من الجراب.

وهكذا استطاعت الجماعة بتضامنها أن تهزم خطة الصياد الشرير. فقد شجعت السلحفاة، في أول الأمر، الغراب على الإسراع للبحث عن الغزالة؛ كما أنه أوكل إليها حراسة المأوى؛ وقام الغراب بمهمة التجسس ونقل الأخبار بسرعة؛ ولعبت الغزالة دوراً مهماً عندما

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

تظاهرت بأنها مصابة في رجلها لتبعد الصياد عن السلحفاة؛ وقام الفأر بدور مهم إذ تمكن من إنقاذ الغزالة والسلحفاة من الموت.

فلمن يا ترى تقدم الجائزة الأولى؟ لقد اضطلع كل فرد ضمن هذه المجموعة بأداء دوره بحزم وإخلاص؛ ولعل الجائزة الأولى ينبغي أن تقدم لمبدأ «التضامن» الذي تميز به جميع أفراد المجموعة من أجل الصالح العام.

\* \* \* \* \*

## الحب والجنون

للحب أسرارُه وقواه الغامضة: كِنَانَتُهُ، سَهَامُهُ، مِشْعَلُهُ، طِفُولَتُهُ، وطيشه.. وليس ممكناً الحديث عنه في صفحة أو في ساعة. ولذلك لا أزعج بأنني أشرح كل حكاية الحب في هذه القصيدة. هدفي الآن فقط أن أقول «كيف فقد الحب بصره»، فلا ألعب دور الحكم، ولا أقرر حلولاً، ولكن أعرض عليكم ما يلي:

ذات يوم كان الحب والجنون يلعبان ويلهوان. لم يكن الحب عندئذ قد فقد بصره، ثم حصل بينهما شجار عنيف. أراد الحب أن يجتمع مجلس الآلهة لينظر في النزاع؛ أزعج هذا الرأي الجنون فثار غضبه، وضرب الحب ضربة شديدة أفقدته بصره .

غضبت فينوس «إلهة الحب والجمال»، وطالبت بالانتقام من المعتدي «الجنون». وعرضت القضية على الآلهة قائلة:

«إنه لعدوان شنيع وجريمة لا تغتفر. ها هو ذا ابني «الحب» لا يقدر على الحركة من غير أن يستعمل العصا! ولا أرى عقاباً مهماً كان يعيد لابن بصره».

درس مجلس الآلهة القضية بعناية واهتمام، وقدر مصلحة «الطفل» ومصلحة الجمهور، وجاء المجلس بقرار يحكم على الجنون بأن يعمل دليلاً مرشداً للحب مدى الحياة.

\* \* \* \* \*

## الغابة والحطاب

كسر حطاب مقبض فأسه، ولم يستطع أن يركب له مقبضاً آخر بسبب صدور قانون يمنع قطع الأشجار لمدة محددة. دخل الحطاب إلى الغابة وراح يتوسل إليها لتسمح له بقطع غصن يصنع منه مقبضاً لفأسه، وأكد لها بأنه سيذهب إلى مكان آخر ليكسب قوته.

عظفت الغابة عليه، وسمحت له بتنفيذ طلبه، ولكنها سرعان ما ندمت على تسامحها، لأن الحطاب عندما أصلح فأسه هجم على الأغصان يقطعها ويعبث بها. وكذلك سلوك معظم الناس، ينكرون المعروف، ويلاقون من يفعل الخير بالجحود والعقوق.

\* \* \* \* \*

## الثعلب والديك الرومي

دخل ثعلب قرية وراح يتجول فيها متخفياً، فشاهد منزلاً منعزلاً،

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

لا حارس له، وكان فيه ديك رومي ما زال فرخاً صغيراً، فتسلل نحوه بخطوات بطيئة. وما أن أحسَّ الديك باقتراب الثعلب منه حتى قفز إلى شجرة قريبة. فاغتاظ الثعلب وقال: «هل تُسَخرون مني أيها الدواجن؟ وهل تظن أيها الديك أنك محصّن ضد قوانين الطبيعة التي هيأتني لاصطيادك؟».

لجأ الثعلب إلى ما تجمع لديه من أساليب المكر والاحتيال، وراح يظهر مهاراته البهلوانية ليخيف الديك، فأوهمه بأنه يتسلق الشجرة، ووقف على رجليه الخلفيتين، وكشر عن أنيابه، ثم تظاهر بأنه ميت، وغير ذلك من حركاته التي تخطف الأبصار.

كان الديك الرومي الصغير مندهشاً، متوتراً، مركزاً بصره على حركات العدو. غير أن الثعلب لم ييأس، بل واصل تهديداته المرعبة. وتعب الديك الصغير المسكين من وضعه الغريب، فليس من عادته أن يسكن الأشجار. وبعد صبر طويل خارت قواه وسقط على الأرض.

وهكذا قد يتغلب أصحاب المكر والدهاء والصبر والمثابرة على من يلجأون إلى القلاع والحصون.

\* \* \* \* \*

## الفيل والقرد رسول جوبيتر<sup>(1)</sup>

اشتدّ النزاع ذات يوم بين الفيل ووحيد القرن حول ملكية البلاد.

(1) جوبيتر : إله الآلهة عند الرومان.



واستعدَّ الاثنان لفصل النزاع في المباراة، فحددا اليوم وحلبة المعركة. وبينما هما كذلك، سمعا هاتفاً يقول إن القرد قد حضر يحمل صولجان الإله جوبيتر أنزله إليه من السماء.

استبشر الفيل، وظن أن القرد إنما جاء يحمل وثيقة من جوبيتر تعتمده ملكاً على البلاد. غير أنه سلم على الفيل، ولم يقدم له أية رسالة من جوبيتر. فقال الفيل للقرد :

- سيشاهد جوبيتر، وهو على عرشه السماوي معركة حامية بيني وبين وحيد القرن. فقال له القرد:

- عن أي معركة تتحدث؟

- ماذا؟ ألا تعلمون أن وحيد القرن ينازعني على حكم البلاد!

- هذه أول مرة أسمع هذا الخبر، فنحن في السماوات العلا لا نهتم كثيراً بمثل هذه الموضوعات.

- إذا أخبرني، ماذا جئت تفعل فوق الأرض؟

- جئت لأقسم قشة بين عدد من النمل. إننا نهتم بكل شيء. أما قضية نزاعك مع وحيد القرن فإن مجلس الآلهة لم يناقش هذا الموضوع بعد، ذلك لأن المخلوقات الصغيرة والكبيرة متساوية أمام الرعاية السماوية.

\* \* \* \* \*

## المجنون والحكيم

كان رجل مجنون يتبع خطأ رجل حكيم، ويرميه أحياناً بالحجارة، فقال له الحكيم: خذ هذه القروش، يا بني، أرى أنك تتعب كثيراً لكسب قوتك اليومي. ولكن انظر إلى ذلك الرجل؟ إنه رجل غني، وسيدفع لك أكثر مما أخذته مني».

فرح المجنون بما سمع، ورغب في الحصول على المزيد، فلحق بالرجل البرجوازي، وأخذ يرميه بالحجارة. ولكن سرعان ما أحاط به خدم الرجل الغني وأوجعوه ضرباً. ومنذ ذلك الحدث تخلى المجنون عن عادة إزعاج الناس.

ويلاحظ أنه يوجد حول الملك والأمراء كثير من «المجانين» المزعجين، قد يحدثون الملك بما يسليه، ولكن على حسابك، ولعلك لا تستطيع أن تتصدى لهم، لأنك لست من الأقوياء. غير أنه يمكنك أن توجه إليهم من يقدر على أن ينتقم لكل منهم .

\*\*\*\*\*

## الثعلب والسنجاب

لا تسخر من ظروف البؤساء، فمن يضمن لك دوام نعمتك؟ لقي ثعلب ذات يوم سنجاباً يعاني من رياح شديدة، فقال له:

«أراك في حالة يرثى لها، وذيلك لا يكاد يغطي رأسك؛ ومن سوء حظك أنك تلجأ إلى قمة الشجرة فتعرض نفسك إلى مزيد من الخطر؛ ولا تنس أن الأماكن العالية تعرضك لخطر الصواعق. أما أنا فألجأ إلى المغارات، وأختفي حتى تهدأ العاصفة».

وبينما كان الثعلب يسخر من حالة السنجاب، هدأ غضب الطبيعة، واختفى البرق، وسكت الرعد، وعاد الطقس الجميل.

مرّ صياد، وشاهد آثار الثعلب حول مغارة، فقال في نفسه: سيدفع هذا الثعلب اللئيم ثمن دجاجاتي التي خطفها. وسرعان ما أخرجت كلاب الصياد الثعلب من المغارة. وشاهد السنجاب الثعلب يفرّ، والكلاب تلاحقه، فلم يسخر منه، بل تأسف على ما لحق به؛ وركز اهتمامه على تحسين ظروف حياته.

\* \* \* \* \*

## القاضي والطبيب والمنعزل

يحكى أن ثلاثة رجال كان يجمع بينهم هدف واحد هو أن يحققوا لأنفسهم السعادة وراحة البال. غير أن كل واحد منهم قرّر أن يسلك في حياته وعمله درباً خاصاً به، سعياً وراء الهدف المنشود.

قرّر الرجل الأول أن يكون قاضياً، يحلّ مشاكل الناس، ويحكم بينهم بالعدل. غير أنه في عمله الشاق، كان يواجه متاعب وعقبات كثيرة بسبب ما يعرض عليه من قضايا وادعاءات معقدة، خاصة فيما يتعلق بقضايا ميراث العائلات التي لها أبناء كثيرون.. كان هذا

القاضي يعاني من ملاحقة أصحاب النفوذ له، وضغطهم عليه لتحقيق رغباتهم وحماية مصالحهم. وبمرور الزمن لم تزد مهنته إلا عناء وقلقاً وتبرماً بالحياة.

أما الرجل الثاني في حكايتنا فقد اختار أن يكون طبيباً يعمل في أحد المستشفيات، إنني أقدر هذه المهنة الإنسانية، وأثني على كل من يسعى لتخفيف آلام الناس.

كان المرضى يتعبون هذا الطبيب بكثرة شكاوهم، وقلة صبرهم وتحملهم لآلامهم وهمومهم. وكان منهم من يتهم الطبيب بأنه يحابي أشخاصاً برعاية خاصة، ويهتم بأناس ويهمل آخرين، ويقضي وقتاً أطول مع أصحاب السلطة والنفوذ... إلخ. وفي هذا الجو من القلق والتذمر لم يجد هذا الطبيب راحة البال، وهدوء العيش الذي كان يبحث عنه.

تعب الرجلان، القاضي والطبيب، من أسلوب حياتهما ومن معاناتهما وسط البشر الذين يصعب إرضائهم، فاضطراً لترك عملهما، وقررا اللجوء إلى مكان بين أحضان الطبيعة، وهناك بين ظلال الأشجار، بالقرب من جدول هادئ، في مكان تحترمه الرياح وتحتضنه أشعة الشمس، وجد القاضي والطبيب، رفيقهما الثالث. وسألاه النصيحة فقال: «النصيحة تأخذانها من أعماق نفسيكما؛ ومن يعرف احتياجات الإنسان أحسن من نفسه؛ فرأس الحكمة هي أن يعرف المرء نفسه».

«وأنتما أيها الصديقان، هل تعرفتما على نفسيكما أثناء حياتكما وسط الجماهير؟ وهل وجدتما سعادتكما وراحة البال؟ كلا!».

«إن أفضل الأماكن التي تساعد الإنسان على معرفة نفسه، هي الأماكن الهادئة، بين أحضان الطبيعة. وهل يمكن للإنسان أن يرى نفسه في المياه العكرة؟ دعوا المياه تهدأ وتصفى، وسترون صورتكم فيها واضحة مستقرة. ألا ترون كذلك أن هدوء الواحات في الصحراء يساعد المرء على التأمل في نفسه، وفي ملكوت السماوات والأرض؟» وفي نهاية المطاف، فرح الرجلان، القاضي والطبيب، بلقاء صديقهما، وعملا بنصائحه.

وليس معنى هذا أن يهمل الإنسان القيام بواجباته، ولا يتحمل أعباء عمله ومسؤولياته. فالإنسان يمرض فيحتاج إلى الطبيب. ويواجه مشاكل عويصة فيحتاج إلى المحامي؛ كما أنه في حاجة للسعي لكسب عيشه، وتحسين ظروف حياته. غير أنه لا ينبغي للمرء أن ينسى نفسه في خضم سعيه المتواصل لتوفير احتياجاته، ولا أن يغرق في أمواج الجشع والتنافس المقلق، ويجعل هدفه الأول هو الثراء المادي، وشعاره: هل من مزيد».

وأنتم أيها الأمراء، والوزراء، والأثرياء والقضاة، وأصحاب السلطة.. من الذين إذا أصابوا خيراً منعوا؛ وإذا أصابهم شرٌّ جزعوا؛ يُكدر صفو نفوسهم الحرص والجشع؛ ويغشى أفكارهم التوتر والقلق؛ ومن الذين لا يسعون ولا ينشطون إلا في حدود مصالحهم الضيقة، كأنهم لا يسمعون شيئاً ولا يبصرون، ولا يهتمون إلا بما يُعلى مركزهم، ويوسع ثروتهم، أنصحكم بأن ترحموا أنفسكم، وأن تشعروا بظروف من حولكم، فما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور.

\*\*\*\*\*

## القسم الثالث



فيما يلي لمحة موجزة عن بعض ما  
ورد في الشعر العربي من حكايات  
وأقوال الشعراء حول الحيوانات شركائنا  
في الحياة :

- حكم ومواعظ دَوَّنَهَا أحمد شوقي ،  
أمير الشعراء ، على ألسنة الحيوانات .
- أقوال بعض الشعراء حول عدد من  
الحيوانات .

## أحمد شوقي



ولد أحمد شوقي سنة 1868 في القاهرة، وبعد أن درس الحقوق والترجمة، ألحقه الخديوي توفيق بخدمته؛ ثم أرسله في بعثته دراسية إلى فرنسا.

اهتم شوقي منذ شبابه بدراسة الشعر العربي، كما اهتم بمطالعة روائع الأدب الفرنسي. وبعد وفاة الخديوي توفيق، انضم الشاعر إلى ديوان الخديوي عباس حلمي، وأصبح يعرف بشاعر القصر.

وعندما عزل الخديوي عباس حلمي سنة 1914، نفى أحمد شوقي إلى الأندلس بسبب علاقته الوطيدة بالقصر. دامت فترة نفيه أربع سنوات، وعاد إلى مصر بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها.

تحرر الشاعر من قيود القصر، فأصبح يتمتع بحرية أكبر للتعبير عن آرائه، وتوسعت علاقته بالشعب. وفي هذه المرحلة ازداد إنتاجه، وتنوعت موضوعات شعره، فشملت المناسبات الوطنية، والاجتماعية، والثقافية، والدينية.

وفي عام 1927، عقد بالقاهرة مهرجان كبير لتكريم أحمد شوقي، اجتمع فيه شعراء الأمة العربية، واعترافاً بفضله، وتمت مبايعته بإمارة الشعر، فأصبح يلقب بأمير الشعراء. كان شوقي شاعراً

مطبوعاً، يفيض عنه الشعر كما يفيض الماء من النبع. وقد ترك لنا آثاراً أدبية خالدة منها:

- الشوقيات في أربعة أجزاء.

- دول العرب وعظماء الإسلام.

وألف عدداً من المسرحيات منها :

مجنون ليلى؛ مصرع كليوبترا؛ قمبيز؛ عنتره؛ علي بك الكبير؛ وغيرها.

\* \* \* \* \*

## العصفور والغدير المهجور

جاء عصفور إلى جدول تنساب مياهه الصافية بين أشجار الغابة، فارتوى من مائه العذب القراح، ثم قال له :

- أيها النبع الجميل هل تأذن لي أن أرشد الناس إلى مكانك ليشربوا من مائك الصافي المنعش؟ ويعترفوا بفضلك؟

- حفظك الله من بني آدم أيها الطائر الجميل، وقاك الله من أنانيتهم ونكرانهم للمعروف. ألا ترى ما فعلوا بالنيل العظيم الذي ظل طيلة آلاف السنين يسقي المزارع، ويمدّ الناس بأسباب الحياة وسط الصحراء المجذبة؟! وها هم الآن يرمون فيه جميع فضلاتهم فأصبحت مياهه ملوثة، وزال عنها صفاؤها وعذوبتها.



الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

وهكذا العهدُ بؤدَّ الناسي ❖❖ وقيمةُ المحسن عند الناسِ  
النيل فاسمع وافهم الحديثاً ❖❖ يعطي، ولكن يأخذ الخبيثاً

\* \* \* \* \*

### الأفعى النيلية والعقربة الهندية

شاهدت أفعى عقربة فاحتقرتها، والتفت حولها، مغترة بقوتها،  
وجرتها إلى جحرها لتلتهمها. غير أن العقربة لدغتها لدغة مميتة في  
رأسها، فخرجت الأفعى هاربة مترنحة من أثر اللدغة، وسرعان ما  
خارت قواها، وسكنت حركتها. ويضيف شوقي على لسان الأفعى:

«لولا الذي أبصر أهل التجربة ❖❖ مني لما سموا الخبيث عقربة»  
والمغزى هو أن المرء لا ينبغي أن يستهين بمن هو أصغر منه.

\* \* \* \* \*

### فأر الغيط وفأر البيت

أنجبت فأرة الغيطان فأرين، فكر الأكبر، واسمه نور الغيط، أن  
يعيش بين المروج والغيطان، مثل عادات آبائه الفلاحين، هنيئاً سعيداً.  
أما فأر الأصغر فطلب من أمه أن تسميه نور القصر، لأنه كان يفضل  
أن يسكن الديار، ويتنقل بين الرفوف لينعم بأحلى أكالات أهل الحضر.  
حذرته أمه مراراً من خطر البيوت والشوارع، ونصحته بأن يعيش في

البراري حياة الفلاحين، ولكنه أبى إلا أن يعيش وسط الأحياء  
المزدحمة، إنه فأر طموح. والواقع أنه كان يجلب إلى أمه أحياناً شيئاً  
من الجبن والتين وغيره.

وذات يوم ركض إلى أمه مضطرباً، فسألته ماذا حدث لذيذه،  
فقال لها: «في الشهد قد غاص، وفي الشهد ذهب». وجاءها ذات يوم،  
وقد أصيب بكسر في رجله، فسألته عن سبب ذلك فقال: قفزت إلى  
رفّ عال، فأخطأته، فكسرت رجلي». وطال غيابه مرة، فقلقت عليه  
أمه، وركضت تبحث عنه :

«فصادفته في الطريق ملقى ❖❖ قد سحقت منه العظام سحقاً،  
فناحتُ الأمُّ، وصاحتُ : واها ❖❖ إن المعالي قتلت فتاهاً»

\* \* \* \* \*

### الظبي والعقد والخنزير

«ظبي رأى صورته في الماء ❖❖ فرفع الرأس إلى السماء،  
وقال يا خالق هذا الجيد ❖❖ زنه بعقد اللؤلؤ النضيد».

وظل الظبي مفتتاً باللألئ ، وجفا عينيه النوم، فراح يهيم في  
البراري مواصلاً سعيه، باحثاً عن عقد اللؤلؤ. وذات يوم وصل إلى نبع  
ماء، وشاهد أمامه خنزيراً في عنقه عقد مرسع بالأحجار الكريمة، فانجلى  
الأمر له، وفطن إلى طموحه الزائف، واعترف بحكمة الإله، وقال:

الحكم والمواظ على السنة الحيوانات —————

«ما آفة السعي سوى الضلال ❖❖ ما آفة العُمْرِ سوى الآمال،  
لولا قضاء الملك القدير ❖❖ لما سعى العقد إلى الخنزير».

\*\*\*\*\*

## ولي عهد الأسد وخطبة الحمار

أنجب الأسد شبلاً، وليَّ عهده، فأصدر مرسومًا بالأمان لجميع الحيوانات؛ فاجتمعت أمام عرينه لتتهنّته بوليَّ العهد. ونادى المنادي بأن يلقى من يشاء كلمة للمناسبة السعيدة. فتقدم الفيل وألقى كلمة تليق بمقام ملك الغابة ووليَّ عهده؛ ونهض الثعلب وخطب، فأحسن القول دقة وفصاحة؛ وقفز القرد، فهناً الأسد وتمنى طول العمر لوليَّ العهد؛ وتقدم الحمار مصرّاً على تشریف قبيلته، فرفع عقيرته :

فقال: باسم خالق الشعير ❖❖ وباعت العصا إلى الحمير...!  
فأزعج الصوت وليَّ العهد ❖❖ فمات من رعدته في المهدي،  
فحمل القوم على الحمار ❖❖ بجملة الأنياب والأظفار.

ونطق الثعلب فقال:

لا جعل الله له قراراً ❖❖ عاش حماراً، ومضى حماراً\*).

\*\*\*\*\*

(\*) مسكين هذا الحيوان، الحمار، يحتقر، يظلم، يشتم، يضرب، وهو حيوان خدوم، صبور، وديع ومطيع.

## الأسد والثعلب والعجل

شاهد أسد كسول عجلاً سميناً يرعى بالقرب من عرينه، فنادى  
ثعلباً وقال له: يا صاحب المكر والحيلة، سأعفو عنك، إذا تحايكت على  
العجل وقربته مني. فذهب الثعلب إلى العجل وسلم عليه قائلاً: أيها  
المولى الوزير، لقد وشى جماعة بي إلى مولانا الأسد، وهأنذا خائفاً  
على حياتي؛ جئتك لتشفع لي عنده.

العجل : وكيف يكون ذلك ؟

الثعلب : لقد توفي الفيل، الوزير، وأصبح مركزه شاغراً، ويرى  
ملك الغابة الأسد بأنك صاحب الحكمة وموطن الثقة والذكاء، وخير  
من يتولى الوزارة، ويجلس إلى جانب الرئيس الأسد. فإذا توليت ذلك  
المنصب الرفيع يكون بوسعك أن تشفع عند السلطان، وتطلب لي  
الأمان. فرافق العجل الثعلب إلى عرين الأسد. وينهي أحمد شوقي  
الحكاية قائلاً:

وهُنَاكَ ابْتَلَعَ الْوَزِيرُ ❖❖ وَحِبَا الثَّعْلَبِ مِنْهُ بِالْيَسِيرِ،  
فَانْتَنَى يَضْحَكُ مِنْ طَيْشِ الْعَجُولِ ❖❖ وَجَرَى فِي حَلْبَةِ الْفَخْرِ يَقُولُ:  
سَلِمَ الثَّعْلَبُ بِالرَّأْسِ الصَّغِيرِ ❖❖ فَفَدَاهُ كُلَّ ذِي رَأْسٍ كَبِيرِ.

\* \* \* \* \*

## أمة الأرانب والفيل

يحكى أن مجموعة من الأرانب اتخذوا موطناً لهم جمعوا فيه عائلاتهم وأقاربهم، غير أن فيلاً اتخذ طريقاً له عبر موطنهم، فكان يدمر بيوتهم ويقتل أولادهم أثناء غدوه ورواحه.

عقدت مجموعة الأرانب اجتماعاً لتستمع إلى أهل الحكمة، والتوصل إلى حل لمشكلتهم مع الفيل. قال أحدهم:

- الرأي عندي أن نهجر هذا المكان، ونبحث لعائلاتنا عن موطن آخر. وقام خطيب آخر فقال:

- يا معشر الأرانب إنني أرى أن نستشير الثعلب، فهو صاحب الفن العتيق والحيلة الأصيلة، ليمدنا بحكمته وصواب رأيه. ونهض ثعلب آخر وقال:

- أيها القوم ، يا معشر الأرانب:

«اجتمعوا فالاجتماعُ قوه ❖❖ ثم احضروا على الطريق حُفره،  
يهوى إليها الفيلُ في مروره ❖❖ فيستريح الدهرُ من شُروره،  
فاستصوبوا مقالته واستحسنوا ❖❖ وعملوا من فورهم فأحسنوا؛  
وهلك الفيلُ رفيع الشان ❖❖ فأمست الأمةُ في أمان.  
فصاحبُ الصوتِ القوي الغالب ❖❖ من قد دعا: يا معشرَ الأرانب.

\* \* \* \* \*

## الثعلب والديك

ارتدى الثعلب ذات يوم لباس الوعاظ، ومشى في الأرض يدعو الناس إلى التوبة، وينادي: أيها الناس، عيشوا عيشة الزاهدين في الدنيا، اتركوا الطيور تغرد، واستمعوا للديك يؤذن للصلاة كل صباح... وأرسل الثعلب رسولا إلى الديك يدعو إلى المصالحة والتآخي. فأجابه الديك:

بَلَّغِ الثَّعْلَبَ عَنِّي ❖❖ عَنِ جُدُودِي الصَّالِحِينَ  
عَنْ ذَوِي التَّيْجَانِ مِمَّنْ ❖❖ دَخَلُوا الْبَطْنَ اللَّعِينَا  
أَنْهَمُ قَالُوا وَخَيْرًا لِي ❖❖ قَوْلِ قَوْلِ الْعَارِفِينَ  
مُخْطِئٌ مِنْ ظَنِّ يَوْمًا ❖❖ أَنْ لَلثَّعْلَبِ دِينَا

\* \* \* \* \*

## الكلب والقط والفأر

رأى فأر قطة على جدار وتحت كلب يهدده من كل جهة. ففكر الفأر في السعي لإنقاذ القط من ورطته، آملاً أن يكتب له القط ولجيرانه بالأمان بعد خلاصه. تقدم الفأر من الكلب وبسرعة خاطفة رمى حفنة من التراب في عينيه. وبينما انشغل الكلب بإزالة التراب عن عينيه، قفز القط من على الجدار ونجا بنفسه.

ذهب الفأر إلى القط يهنئه بسلامته، ويسأله أن يعده بالأمان

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

مقابل مساعدته له في وقت الشدة. غير أن القط أنكر المعروف،  
وانقض القط على الفأر وافترسه. ويختم شوقي بالقول:  
فقلتُ في المقام قولاً شاعراً ❖❖ مَن حفظ الأعداء يوماً ضاعاً.

\*\*\*\*\*

### النبى سليمان (رضي الله عنه) والهدد

جاء الهدد إلى نبى الله سليمان يوماً يشتكى قائلاً: إنى، يا  
مولاي، أعانى من ألم في صدري، بسبب حبة قمح أكلتها، أتوسل إليك  
أن تساعدني. فالتفت سليمان إلى من حوله وقال:

قَدْ جَنَى الْهَدُّدُ ذَنْبًا ❖❖ وَأَتَى فِي اللَّوْمِ فَعَلَّهُ،  
تِلْكَ نَارُ الْإِثْمِ فِي الصَّدْرِ ❖❖ وَذِي الشَّكْوَى تَعَلَّهُ،  
مَا أَرَى الْحَبَّةَ إِلَّا ❖❖ سُرِقْتَ مِنْ بَيْتِ نَمْلِهِ،  
إِنْ لِلظَّالِمِ صَدْرًا ❖❖ يَشْكِي مِنْ غَيْرِ عَلَيْهِ.

\*\*\*\*\*

### سليمان والطاوس

جاء طاووس يوماً إلى نبى الله سليمان واشتكى له قائلاً:

«أَلَسْتُ الرُّوضُ بِالْأَزْهَاءِ ❖❖ رَوِ الْأَنْوَارُ مَزْدَانًا ؟  
أَلَمْ أَسْتَوْفِ آيَ الظَّرِّ ❖❖ فَ أَشْكَالًا وَأَلْوَانًا ؟  
أَلَمْ أَصْبِحْ بِبَالِكُمْ ❖❖ لَجْمِ الطَّيْرِ سُلْطَانًا ؟»

«هذا كله جميل، بل رائع، ولكن لماذا أُحْرِمُ من صوت جميل مثل صوت الطيور الذي يُطرب الأذان، ويُتيِّم الأفتدة، وتنتعش لسماع ألحانه قلوب الملوك».

فأجابه النبيُّ سليمان قائلاً:

«تعالتُ حكمة الباري ❖❖ وجلّ صنعه شأنًا ،  
لقد صَغَّرْتَ يا مغرور ❖❖ رنعمه الله كضرائنا ،  
فلو أصبحتَ ذا صوت ❖❖ لما كلمتَ إنسانًا .

\* \* \* \* \*

### القبرة وابنها

هذه قبرة على شجرة تعلم فرخها كيف يتقن الطيران من غصن إلى غصن، دون استعجال، ويعود إلى العش حتى تقوى جناحاه تدريجيًا. غير أن الفرخ خالف نصيحة أمه، وأراد أن يظهر مهارته، فطار في السماء وارتفع؛ وخانه ضعف جناحيه فوق، وانكسرت رجلاه. ويختم شوقي قائلاً:

«لَو تَأَنَّى نالَ مَا تَمَنَّى ❖❖ وعاشَ طولَ عمره مهناً ،  
لكلِّ شيءٍ في الحياةِ وقته ❖❖ وغايةُ المستعجلينَ فوتُهُ» .

\* \* \* \* \*



## النعجتان

كان لفلاح نعجتان، إحداهما سمينة، والأخرى هزيلة. وكانت السمينة تتباها بسمنتها، وتفتخر بمظهرها وبتقدير صاحبها لها. وكانت النعجة الهزيلة تتحمل سخرية صاحبها بصبر. وذات يوم جاء الجزار، فلم يتردد في شراء النعجة السمينة، فالتفت لرفيقتها وهي:

«تقول: يا أختاه خبّريني ❖❖ هل تعرفين صاحب السكين؟  
قالت دعيني وهزالي والزمن ❖❖ وكلمى الجزار يا ذات الثمن!  
لكلّ حال حلوها ومرّها ❖❖ ما أدب النعجة إلا صبرها.

\*\*\*\*\*

## السفينة والحيوانات

جمع سيدنا نوح عليه السلام مختلف الحيوانات في سفينته، وتعالى الموج كالجبال، وساد الخوف، فتآلفت الحيوانات وتصادقت:

«... حتى مشى الليث مع الحمار ❖❖ وأخذ القطُّ بيد الفأر،  
واستمع الضيلُ إلى الخنزير ❖❖ مؤتسًا بصوته النكير،  
وجلسَ الهرُّ بجانب الكلبِ ❖❖ وقبّل الخروف ناب الذئب،  
وعطف الباري على الغزال ❖❖ واجتمع النملُ على الأكال،  
وفلّت الفرخة صوف الثعلبِ ❖❖ وتيمّ ابن عرس حبُّ الأرنب،  
فذهبت سوابق الأحقادِ ❖❖ وظهر الأحابُ في الأعادي،

حتى إذا رست السفينة على الأرض، وانتهت ظروف الخطر،  
واستقر الأمن، عادت الحيوانات إلى وحشيتها الغريزية...

فقس على ذلك أحوال البشر ❖❖ إن شمل المحذور أو عم الخطر،  
بينما ترى العالم في جهاد ❖❖ إذ كلهم على الزمان العادي.

إذا حاق بهم الخطر، تأخوا، وإذا زالت الشدة وحلّ عهد السلم  
والأمن تنازعوا وتحاربوا.

\* \* \* \* \*

### الكلب والحمامة

بينما كان كلب ذات يوم نائمًا في بستان، جاءه ثعبان من  
خلفه، وهم أن يغدر به. وشاهدته حمامة فرقت لحاله، فنزلت إليه  
مسرعة، ونقرته، فقفز وفر من خطر الثعبان. وحفظ الكلب الوفيُّ  
الجميل للحماية.

ومرَّ ما مرَّ من الزمان ❖❖ ثمَّ أتى المالكُ للبستانِ،  
فسبق الكلب لتلك الشجرة ❖❖ لينذر الطير كما قد أنذره،  
واتخذ النبح له علامه ❖❖ ففهمت حديثه الحمامة،  
وأقلعت في الحال للخلاص ❖❖ فسلمت من طائر الرصاص.  
هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ يَا أَهْلَ الْفِطَنِ ❖❖ النَّاسُ بِالنَّاسِ، وَمَنْ يَعْنُ، يُعْنُ!

\* \* \* \* \*

## الكلب والبغاء

كان لأسرة ببغاء جميلة تسليهم بحسن تقليدها لبعض الكلمات، وكان أفراد الأسرة معجبين بها. وكان لدى الأسرة كلب أزعجه ما كان يشاهد من اهتمام الأسرة بالببغاء، وإهمالهم له. أثار ذلك في نفسه غريزة الانتقام، فجاء إليها ذات يوم :

وقال : يا ملكة الطيور ❖❖ ويا حياة الأنس والسرور،  
بحسن نطقك الذي أصبى ❖❖ إلا أريتني اللسان العذبا.

انخدعت الببغاء المغرورة بثناء الكلب، وأخرجت لسانها، فقفز الكلب عليها، وعض لسانها عضة حرمتها من النطق.

ثم مضى من فوره يصيحُ ❖❖ قطعته لأنه فصيح!  
ومأ لها عندي من تأريعدُ ❖❖ إلا الذي سمى قدما بالحسد.

\* \* \* \* \*

## دودة القز والدودة الوضاعة

لقيت دودة القز ذات يوم دودة وضاعة، فسلمت عليها، وعرفتها على نفسها قائلة:

أنا المؤمنُ نفعي ❖❖ أنا الشهيرُ وفائي،  
حلا لي النفع حتى ❖❖ رضيتُ فيه فنائي،

وها أنا جئت لأعرض عليك صداقتي ومودتي. فردت عليها  
الدودة الوضاعة:

«مَنْ أَنْتِ حَتَّى تَدَانِي ❖❖ ذَاتِ السِّنَا وَالسَّنَاءِ؟  
أَنَا الْبَدِيعُ جَمَالِي ❖❖ أَنَا الرَّفِيعُ عَلَائِي،  
فَامْضِي، فَلَا وَدَّ عِنْدِي ❖❖ إِذْ لَسْتَ مِنْ أَكْفَائِي!

وأثناء ذلك، مرّت بهما امرأتان، وكل منهما تفتخر بثوبها  
الحريري الجميل، وتثني على العمل الرائع الذي تنجزه دودة القز؛  
فانبرت إلى الدودة الوضاعة وقالت:

«وَقَدْ رَأَيْتِ صَنِيعِي ❖❖ وَقَدْ سَمِعْتَ ثَنَائِي،  
إِنْ كَانَ فِيكَ ضِيَاءٌ ❖❖ إِنَّ الثَّنَاءَ ضِيَائِي،  
وَإِنَّهُ لَضِيَاءٌ ❖❖ مَوْيِدٌ بِالْبَقَاءِ!

\* \* \* \* \*

### الجمال والثعلب

التقى ثعلب بجمال كان مالكة قد حمّله حملاً ثقيلاً. وكان الجمال  
المسكين يشكو شقاءه، ويقول:

«لَمْ تَحْمَلِ الْجِبَالَ مِثْلَ حَمَلِي ❖❖ أَظَنْ مَوْلَايَ يَرِيدُ قَتْلِي!

فقال له الثعلب :

«إِنْ حَالِكِ أَحْسَنُ مِنْ حَالِي، وَحَمَلِكِ أَخَفُّ مِنْ حَمَلِي، وَبَالِكِ أَرِيحُ

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

من بالي. فأنا أمامي ألف ديك تحاسبني على دمها المسفوك؛ وخلفي  
ألف أرنب تذكرني بذنبي، وكم من أم فجعتها عندما فتكت بفراخها،  
وها أنا لا يطيب لي نوم، ولا يغمض لي جفن، ولا يرتاح لي ضمير،  
فعليك بالصبر أيها الجمل، لأنه :

ليسَ بحملٍ ما يحملُ الظهر ❖❖ ما الحملُ إلا ما يعاني الصدرُ.

\* \* \* \* \*

### الثعلب والأرنب والديك

شاهد أرنب ديكاً يقف في أمان فوق جدار مرتفع وهو يكيل  
الشتائم للثعلب، فظن الأرنب أن الثعلب أصبح ضعيفاً عاجزاً، لا يقدر  
على شيء، فاقترب منه وراح يشتمه ويسخر منه. وفي لمح البصر  
انقض الثعلب على الأرنب الغبي وافترسه. فالتفت الديك إلى الأرنب  
الضحية وقال له:

مَا كلنا ينفعه لسانه ❖❖ في الناس مَنْ ينطقه مكانه!

\* \* \* \* \*

### الديك الهندي والدجاج البلدي

بينما كانت مجموعة من دجاج الريف تعيش مطمئنة في بيتها، إذ  
طرق بابها ذات يوم ديك هندي، وعندما فتحت له الباب بادرها :

- ❖ ❖ يقول: حياً للهُ ذي الوجُوهَا  
❖ ❖ ولا أراها أبداً مكرُوها  
❖ ❖ أتيتُكم أنشرُ فيكم فضلي  
❖ ❖ يوماً، وأقضي بينكم بالعدلِ  
❖ ❖ وكلُّ ما عندكم حرامٌ  
❖ ❖ عليّ، إلا الماءُ، والمنامُ  
❖ ❖ ويات تلك الليلة السعيدة  
❖ ❖ ممتعاً بداره الجديدة

وعندما طلع النهار، صال الديك الرومي وجمال وسط مجموعة الدجاج الضعيفة، وصاح فيها أن أخرجني من منزلي! وعندما ذكرته الدجاجات أنه ضيف في أعشاشها:

- ❖ ❖ فضحك الهنديُّ حتى استلقى  
❖ ❖ وقال: ما هذا العمى يا حمقى؟!  
❖ ❖ متى ملكتم ألسن الأرباب؟  
❖ ❖ قد كان هذا قبل فتح الباب!

\* \* \* \* \*

### البلابل التي رباها البوم

وفي إحدى حكايته الطريفة عن الحيوانات يروي لنا أمير الشعراء أن نبيّ الله سليمان عليه السلام، الذي كان يحسن لغة الطير، قرّر ذات يوم أن يسلم عدداً من صغار بلابله إلى مجموعة من البوم لتتولى تربيتها.

وبعد فترة اشتاق لرؤية البلابل، فذهب لزيارتها، فوجد أنها فقدت قدرتها على الكلام والتغريد؛ وطرح عليها أسئلة فلم تقدر على الجواب:

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —

- ❖ ❖ أصابها العيُّ ، حتى لا اقتدار لها ❖ ❖ بأن تبتَّ نبيَّ الله شكواها  
❖ ❖ فنال سيدها من دائها غضبٌ ❖ ❖ وودَّ لو أنه بالذبح داواها  
❖ ❖ فجاءه الهدهد المعهودُ مُعتذراً ❖ ❖ عنها، يقولُ لمولاهُ ومولاهَا  
❖ ❖ بلابلُ الله لم تخرسُ، ولا وُلدتُ ❖ ❖ خُرْسًا، ولكنَّ بومَ الشؤمِ ربَّاهَا

\* \* \* \* \*

فيما يلي :

- حكاية «الغراب والبلبل» لإيليا أبي ماضي.

\_\_\_\_\_

- حكاية «الدودة والبلبل» لإيليا أبي ماضي.

\_\_\_\_\_

- حكاية «الثعبان المقدس» لأبي القاسم الشابي.

\_\_\_\_\_

- حكاية «الذئب والثعلب والأسد» للشاعر الطغرأي.

\_\_\_\_\_

- أقوال بعض الشعراء حول عدد من الحيوانات.

\_\_\_\_\_

## حكاية «الغراب والببل» ، لإيليا أبي ماضي

الغراب يتمنى أن يكون له صوت الببل.

قال الغرابُ وقد رأى كلفَ الورى ❖❖ وهيامهمُ بالببلِ الصداحِ  
لمَ لا تهيمُ بي المسامعُ مثلهُ ❖❖ ما الفرقُ بين جناحهِ وجناحي؟  
إني أشدُّ قوَى وأمضى مخلبًا ❖❖ فعلامُ نامَ الناسُ عن تمداحي؟

\* \* \* \* \*

أمفرقُ الأحبابِ عن أحبابهم ❖❖ ومكدرُ اللذاتِ والأفراحِ  
كم في السوائِلِ من شبيهِ بالطلا ❖❖ فعلامُ ليس لها مُقامُ الراحِ؟  
ليسَ الحظوظُ من الجسومِ وشكلها ❖❖ ألسرُّ كلُّ السرِّ في الأرواحِ  
والصوتُ من نَعَمِ السماءِ ولم تكنُ ❖❖ ترضى السما إلا عن الصداحِ  
حكَمَ القضاءُ فإنْ نَقمتَ على القضا ❖❖ فاضربُ بعُنُقك مُدِيَةَ الجراحِ

\* \* \* \* \*

## حكاية «الدودة والببل»

طمحت دودة أن تكون بلبلاً يحلق بين الأشجار، فنصحتها نملة  
بأن تلزم الأرض.

يقول أبو ماضي :

نظرتُ دودةً تدبُّ على الأرضِ ❖❖ إلى بلبِلٍ يطيرُ ويصداحُ  
فمضتُ تشتكي إلى الورقِ ❖❖ في الحقلِ أنها لم تجنحُ



الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

- فَأَتَتْ نَمْلَةً إِلَيْهَا وَقَالَتْ ❖❖ اقْنَعِي وَاسْكُتِي فَمَا لَكَ أَصْلَحُ  
مَا تَمْنَيْتُ إِذْ تَمْنَيْتُ إِلَّا ❖❖ أَنْ تُصِيرِي طَيْرًا يُصَادُ وَيُذَبْحُ  
فَالزَّمِي الْأَرْضَ فَهِيَ أَحْنَى عَلَى الْوَدِ، ❖❖ وَخَلِي الْكَلَامَ فَالصَّمْتُ أَرْيَحُ

\* \* \* \* \*

## فلسفة الثعبان المقدس

لأبي القاسم الشابي

بينما كان الشحرور ينشد ألقانه للشمس، وهو مرح سعيد،  
يرقص متنقلاً بين الأعشاب والزهور، رآه ثعبان فباغته، وانقض عليه،  
فأحمد غناءه ومرحه :

- وَتَدَفَّقَ الْمَسْكِينُ يَصْرُخُ نَائِرًا : ❖❖ «مَاذَا جَنَيْتُ أَنَا فَحَقُّ عِقَابِي!»  
«لَا شَيْءَ. إِلَّا أَنَّنِي مَتَغَزَلٌ» ❖❖ «بِالْكَائِنَاتِ، مَغْرَدٌ فِي غَابِي»  
«أَلْقَى مِنَ الدُّنْيَا حَنَانًا طَاهِرًا ❖❖ وَأَبْثُهَا نَجْوَى الْمَحَبِّ الصَّابِي»  
«أَيَعِدُّ هَذَا فِي الْوُجُودِ جَرِيمَةً؟» ❖❖ «أَيْنَ الْعَدَالَةُ يَا رِفَاقَ شَبَابِي؟»  
«لَا (أَيْنَ؟)، فَالْشَّرْعُ الْمَقْدَسُ هَاهُنَا ❖❖ رَأَى الْقَوِيَّ وَفِكْرَةَ الْغَلَابِ»  
«وَسَعَادَةُ الضَّعْفَاءِ جُرْمٌ... مَالَهُ ❖❖ عِنْدَ الْقَوِيِّ سَوَى أَشَدِّ عِقَابِ»  
«لَا عَدْلَ، إِلَّا أَنْ تَعَادَلْتَ الْقَوِيَّ ❖❖ وَتَصَادَمَ الْإِرْهَابَ بِالْإِرْهَابِ»  
«فَتَبَسَّمَ الثَّعْبَانُ بِسَمَةِ هَازِيءٍ ❖❖ وَأَجَابَ فِي سَمْتٍ، وَفَرَطَ كِذَابِ:  
«إِنِّي إِلَاهُ، طَالَمَا عَبَدَ الْوَرَى ❖❖ ظَلِي، وَخَافُوا لِعَنْتِي وَعِقَابِي»  
«وَتَقَدَّمُوا لِي بِالضَّحَايَا مِنْهُمْ ❖❖ فَرَحِينَ، شَأْنَ الْعَابِدِ الْأَوَابِ»  
«وَسَعَادَةُ النَّفْسِ التَّقِيَّةِ أَنهَا ❖❖ يَوْمًا تَكُونُ ضَحِيَّةَ الْأَرْيَابِ»

«فأجابه الشحورُ، في غصص الردى ❖❖ والموت يخنقه: «إليك جوابي»:  
«لا رأى للحق الضعيف، ولا صدَى ❖❖ والرأى رأَى القاهر الغلابِ»

\* \* \* \* \*

وكذاك تتخذُ المظالم منطقاً ❖❖ عذبا لتخفي سوءة الآرابِ.

\* \* \* \* \*

### الذئب والثعلب والأسد

فيما يلي قصيدة للشاعر الطغرائي يحكي لنا فيها حكاية ذئب  
وثعلب كانا من جلساء الأسد، ملك الغابة. وحاول الذئب أن يكيّد  
للثعلب لدى الأسد.. غير أن الثعلب شعر بذلك، وانقلب السحر على  
الساحر. وخلاصة الحكاية تنصح الإنسان قائلة:

«متى تخلو بالسلطان فاسكت لتسلم»

يقول الشاعر الطغرائي:

إذا كنتَ للسلطان خِدناً فلا تشر ❖❖ عليه بأن يؤذي مدى الدهر مسلماً  
فقد جا في أمثالهم أن ثعلباً ❖❖ وذئباً أصابا عند ليث تقدماً  
أضربه جوعٌ شديدٌ فشفه ❖❖ وأبقى له جلدًا رقيقًا وأعظمًا  
ففاز لديه الذئب يوماً بخلوة ❖❖ فقال كفاك الثعلب اليوم مطعماً  
فكله وأطعمه فما هو شكلنا ❖❖ ولست أرى في أكله لك ماثماً  
فلماً أحسّ الثعلبانُ بكيده ❖❖ تطبب عند الليثِ واحتالَ مقدماً  
وقالَ أرى بالملك داءَ مماطلا ❖❖ تهدم منه جسمه وتحطماً

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

- وفي كبد الذئب الشفاء لدائه ❖❖ فإن نال منها ينج منه مسلماً  
فصادف منه ذا قبولاً فعنده ❖❖ أحال على الذئب الخبيث فصمماً  
فأفلت مسلوخ الأهاب مرملاً ❖❖ فلما رآه الثعلبان تبسماً  
وصاح به يا لابس الثوب قانتاً ❖❖ متى تخل بالسلطان فاسكت لتسلماً

\* \* \* \* \*

## مملكة النحل

فيما يلي أبيات من قصيدة لأحمد شوقي، أمير الشعراء، يصف فيها أعمال مملكة النحل، هذه المخلوقات الرائعة التي تسهر بإخلاص وحماس على تدبير شؤون مملكتها. يقول الشاعر:

أليس في مملكة النحل لقوم تبصره؟

- مُلكٌ بناه أهلهُ ❖❖ بهمةٍ ومَجْدَرُه<sup>(1)</sup>  
مألكةٌ، عاملةٌ ❖❖ مُصلحةٌ، مُعمِّرهُ  
باكرةٌ، تَسْتَنْهَضُ الـ ❖❖ عَصَائِبُ المَبْكِرُه  
السامعين، الطائعيـ ❖❖ ن، المحسنين المَهْرَه  
من كلِّ من خطَّ البنا ❖❖ ء، أو أقسام أسطُرُه  
أو شدَّ أصلَ عقدهِ ❖❖ أو سده، أو قَوْرُه<sup>(2)</sup>  
أو طاف بالماءِ على ❖❖ جدرانهِ المَجْدَرُه<sup>(3)</sup>

(1) مَجْدَرُه: عن جداره.

(2) قَوْرُه: جعل فيه ثقباً مستديراً.

(3) المَجْدَرُه: المشيئة.

- وتذهب النحلُ خِفاً ❖❖ ❖❖ فا، وتجيءُ مُوقَرةً<sup>(1)</sup>  
جوابَ الشمع من الـ ❖❖ ❖❖ خمائل المنورهُ  
حوالب الماضي<sup>(2)</sup> من ❖❖ ❖❖ زهر الرياض الشيرهُ<sup>(3)</sup>  
حتى إذا جاءت به ❖❖ ❖❖ جاست خلالَ الأدورهُ<sup>(4)</sup>  
وغيبته كاسلاً ❖❖ ❖❖ ف في الدنان المحضرهُ<sup>(5)</sup>

\* \* \* \* \*

## الذئب

يروى أن الشاعر الفرزدق كان مسافراً، وتوقف في البادية  
ليستريح، وأوقد ناراً ليعد عشاءه؛ واقترب منه ذئب جائع، فأشركه  
الشاعر في زاده، وخاطبه قائلاً: سأخذك رفيقاً إن عاهدتني ألا  
تخونني. يقول الفرزدق :

- فبتُّ أقدُّ الزاد بيني وبينه ❖❖ ❖❖ على ضوءِ نارِ مرةٍ ودُخا  
وقلتُ له لما تكشَّر ضاحكاً ❖❖ ❖❖ وقائم سيفي في يدي بمكا  
تعشَّ فإن عاهدتني لا تخونني ❖❖ ❖❖ نكن مثل من يا ذئب يصطحبا

(1) موقرة: ممتلئة.

(2) الماضي: العسل.

(3) الشيرهُ: الجميلة.

(4) الأدورهُ: الخلايا.

(5) الدنان : جمع «دن» وعاء كبير.

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

ولشدة حذر الذئب وتخوفه من أعدائه، قيل أنه عندما ينام يغمض عيناً، ويبقى الأخرى مفتوحة. وهذا ما يظنه حميد بن ثور الهلالي عندما يقول:

يُنامُ بِأَحَدِي مُقَلَّتِيهِ وَيَتَّقِي

الْمَنَايَا بِأُخْرَى، فَهُوَ يَقْظَانُ هَاجِعُ

إِذَا مَا عَدَا يَوْمَا رَأَيْتَ ظِلَالَةً

مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرُنُ الَّذِي هُوَ صَانِعُ

ويصف الشريف الرضي ذئباً اشتد به الجوع، فراح يبحث عن عشائه، ويستعمل جميع حواسه ويخادع الراعي من أجل الحصول على قوته:

إِذَا فَاتَ شَيْءٌ سَمِعَهُ دَلَّ أَنْفُهُ

وَإِنْ فَاتَ عَيْنِيهِ رَأَى بِالْمَسَامِعِ

إِذَا حَافِظَ الرَّاعِي عَلَى الضَّأْنِ غَرَّهُ

خَفِي السُّرَى، لَا يَتَّقِي بِالطَّلَائِعِ

\*\*\*\*\*

## الكلب

يعتبر الكلب من أعزّ أصدقاء الإنسان، وأشدهم وفاء له، بل

أصبح يضرب به المثل في الوفاء. يروى أن الشاعر علي بن الجهم،  
وكان بدويًا، مدح الخليفة المتوكل قائلاً :

أنت كالكلب في حفاظك للودِّ

وكالتيس في قراع الخطوبِ

الكلب حارس البيت والمزرعة، رفيق الرعاة، يحمي القطعان حتى  
من أبناء عمه الذئب. وهو رفيق الصيادين، ومؤنس الأطفال والكبار.  
يمدح الشاعر أبو نواس كلبًا في الأبيات التالية فيقول :

أنعت كلبا أهله في كدهِ ❖❖ قد سعدت جدودهم بجدهِ  
وكل خير عندهم من عنده ❖❖ يظلُّ مولاه له كعبدهِ  
يبيت أدنى صاحب من مهده ❖❖ وإن غدا جللّه ببردهِ  
ذا غرة محجلاً بزنده ❖❖ تلذ منه العين حسن قدهِ  
تأخير شذقيه وطول خده ❖❖ تلقى الظباء عننا من طردهِ

\*\*\*\*\*

## الأسد

الأسد، ويعرف بالليث، والهزبر، والغضنفر، وملك الغابة وغيرها  
من الصفات. واشتهر الأسد بالقوة، والشجاعة، وشدة البأس. ويتساءل  
المرء: لماذا تنتقد الوحشية في الذئب، والضبع، والدبّ وغيرها، وتمدح

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

في الأسد، فيشبهه به الرجل الشجاع!؟ مع أن وحشية الأسد لا تقل عن كثير من الحيوانات التي تطلب قوتها بالصيد والقتل، ومنها الإنسان. وفي حكاياته الكثيرة مع الحيوانات يمثل الأسد دور الملك الذي تجتمع الحيوانات حول بلاطه وتتسابق لخدمته ونيل رضاه .

فيما يلي أبيات لابن المعتز يصف فيها أسداً يصول ويجول في أرض لا يجرواً أحد على الاقتراب منها .

جريءٌ أبيٌّ يحسب الألف واحداً ❖❖ بعيد إذا ماكر يوماً من الفرّ  
يزعزع أحشاء البلاد زئيرُهُ ❖❖ ويذهل أبطال الرجال من الذُعْرِ  
إذا ضم قرنًا بين كضيه خلته ❖❖ يعاني عروسا في غلائلها الحمرِ  
فحرم أرض الحائرين وماءها ❖❖ فهيهات من يعدو عليها ومن يسري

وفيما يلي أبيات من قصيدة للمتنبى يمدح فيها بدر بن عمار الذي قتل أسداً كان يروع الناس. يبدأ الشاعر بوصف الأسد وصفاً رائعاً:

وردٌ إذا ورد البُحيرة شارباً ❖❖ ورد الضرات زئيره والنيلاً  
متخضبٌ بدم الفوارس لابسٌ ❖❖ في غيلة من لبدتيه غيلاً  
ما قوبلت عيناه إلا ظنتا ❖❖ تحت الدجى نارَ الفريق حُلولاً  
في وحدة الرهبان إلا أنه ❖❖ لا يعرف التحريمَ والتحليلاً  
يطأ الثرى مترفقاً من تيهه ❖❖ فكأنه آس يجس عليلاً  
ويرد عُضرتَه إلى يافوخه ❖❖ حتى تصير لرأسه إكليلاً

\* \* \* \* \*

## الفرس

الكلام عن الخيل في الشعر العربي يطول، ومن أجمل ما قرأتُ في وصفها قول البحثري الذي وَصَفَ فرسا بأنه أَعْرَ (بياض في جبهته)، ومَحْجَلٌ (بياض في قوائمه)، وعرفه مسبل كأنه قناع، وصهيله موسيقى، مكتمل الخلق كأنه صورة في هيكل:

وأَعْرَ في الزمن البهيم مُحْجَلٌ ❖❖ قد رُحْتُ مِنْهُ عَلَى أَعْرٍ مُحْجَلٍ  
كالهيكل المبني إلا أنه ❖❖ في الحسن جاء كصورة في هيكل  
ذَنَبٌ كما سحب الرداء يذُبُّ عن ❖❖ عُرْفٍ وَعُرْفٌ كَالقِنَاعِ الْمَسْبِلِ  
وتراه يسطع في الغبار لهيبه ❖❖ لُونًا وَشَدًّا كَالْحَرِيقِ الْمَشْعَلِ  
هزج الصهيل كأن في نغماته ❖❖ نبرات معبد في الثقل الأول

ويصف ابن المعتز فرسه وصفًا دقيقًا وجميلاً، فيقول بأنه مكتمل الخلق، ينظر إليك نظرة المتأهب:

يبلغ ما تبلغه الريح ولا ❖❖ تبلغ ما يبلغه إذا طلب  
ذو غرة قد شدت جبهته ❖❖ وأذن مثل السنان المنتصب  
وناظر كأنه ذو روعة ❖❖ وكفل ململم ضافي الذنب

أما المتنبى فيرى أن المرء لا يدرك حسن الخيل وقيمتها الحقيقية إذا توقف إعجابه بها عند مظهرها وجمال أعضائها وتركيبها:



الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

وما الخيلُ إلا كالصديقِ قليلةٌ ❖❖ وإن كثرتُ في عينٍ من لا يجربُ  
إذا لم تشاهدُ غيرَ حسنِ شياتها ❖❖ وأعضائها فالحسنُ عنك مُغيبُ

\*\*\*\*\*

## الإبل

ومن أجود ما قيل في ارتفاع الإبل وارتفاع أسنمتها قول أبي دؤاد:

فإذا أقبلتُ تقولُ أكامُ ❖❖ مشرفاتُ فوقَ الأكامِ أكامُ  
وإذا أعرضتُ تقولُ قصورُ ❖❖ من سماهيج فوقها أطامُ  
وإذا ما فجيتها بطن غيبٍ ❖❖ قلت نخلٌ قد حانَ منه صرامُ

الغيب ما وارك من الشجر، وسماهيج أرضٌ بالبحرين (1).

\*\*\*\*\*

## شياه الشابي

ترافق الإنسان في مسيرته الطويلة على مسرح الحياة مخلوقات  
كثيرة صغيرة وكبيرة، من الدودة إلى الكلب والبلبل والحصان  
والسلاحف والحيتان.. ومن هذه المخلوقات «شياه» الشاعر الشابي  
التي يقدم لنا عنها صورة حية، وهي ترعى في جو مرح وبيئة سليمة،  
بين السواقي والأشجار وأسراب الطيور.

(1) المرجع: ديوان المعاني لأبي هلال العسكري - ص 583.

يقول أبو القاسم الشابي من قصيدته «أغاني الرعاة» :

وَاتَّبَعِينِي يَا شَيْهِي، بَيْنَ أَسْرَابِ الطِّيُورِ  
وَأَمْلَائِي الْوَادِي تَغَاءً، وَمِرَاحًا وَحُبُورِ  
وَأَسْمَعِي هَمْسَ السَّوَاكِي، وَأَنْشَقِي عِطْرَ الزُّهُورِ  
وَأَنْظُرِي الْوَادِي، يَغْشِيهِ الضُّبَابُ الْمُسْتَنْزِرِ

\*\*\*\*\*

وَأَمْرَحِي مَا شَتَّتِ فِي الْوُدْيَانِ أَوْ فَوْقَ التَّلَالِ  
وَأَرِيضِي فِي ظِلِّهَا الْوَارِفِ، إِنْ خِفْتَ الْكَلَالِ  
وَأَمْضِغِي الْأَعْشَابَ، وَالْأَفْكَارَ فِي صَمْتِ الظَّلَالِ  
وَأَسْمَعِي الرِّيحَ تُغْنِي، فِي شَمَارِيخِ الْجِبَالِ

\*\*\*\*\*

## الديك

يتفق الناس على أن الديك حيوان شجاع وشهم، يغار على دجاجاته ويدافع عنها. ويحدثنا أبو العلاء المعري في الأبيات التالية عن ديك وصيحته الصباحية، وأثوابه الزاهية، وغيرته على «حريمه»، وعن تاجه الذي يشبهه بتاج هرمز .

يقول المعري :

- أيا ديكٌ عُدَّتْ من أياديك صيحةٌ ❖❖ بعثت بها ميت الكرى وهو نائمٌ  
هتفت فقال الناسُ أوسُ بنِ معيرٍ ❖❖ أو ابن رباحٍ بالمحلة قائمٌ  
وفيك إذا ما ضيع النكسُ غيرَةً ❖❖ تُصان بها المستصحبات الكرائمُ  
وَجُودٌ بموجود النوالِ على التي ❖❖ حميت وإن لم تستهلَّ الغمائمُ  
يُزانُ لديك الطعن في حومة الوغي ❖❖ إذا زينتَ للعاجزين الهزائمُ  
فلو كنتَ بالدرِّ الثمينِ معوضاً ❖❖ من البر ما لامت عليه اللوائمُ  
وتؤثر بالقوت الحليلة شيمة ❖❖ كريمة ما استعملتها الألائمُ  
عليك ثيابٌ خاطها الله قادرٌ ❖❖ بها رثمتك العاطفات الروائمُ  
وتاجك معقود كأنك هُرْمُزٌ ❖❖ يُباهي به أملاكه ويرائمُ

\*\*\*\*\*

## الحمَام

سمع الشاعر أبو فراس الحمداني ، وهو أسير في بلاد الروم ،  
حمامة تتوح ، فسألها أن تقترب منه ليبثها بعض حزنه ، وتسأل كيف تبكي  
حمامة طليقة ، ويسكت وهو الغريب السجين بعيداً عن أهله وعشيرته :

أقولُ وقد ناحتُ بقربي حمامةٌ

أيا جارتنا هل تشعرين بحالي

- أيا جارتنا ما أنصف الدهرُ بيننا ❖❖ تعالي أقاسمكِ الهموم تعالي!  
تعالي تري روحاً لدي ضعيفة ❖❖ ترددٌ في جسم يُعذبُ بالِ  
أيضحكُ مأسورٌ وتبكي طليقةٌ ❖❖ ويسكتُ محزونٌ ويندبُ سالٍ؟

ويفضل أمير الشعراء، أحمد شوقي، أن يبوح بحبه للحمام لأنه لا  
يفشي أسرار المحبين، ولأنه يواسي المحبين بحنيتته وهديله:

أبتكُ وَجُدِي يَا حَمَامٌ، وَأُودِعُ ❖❖ فَإِنَّكَ دُونَ الطَّيْرِ لِلسَّرِّ مَوْضِعُ  
وَأَنْتَ مُعِينُ العَاشِقِينَ عَلَى الهَوَى ❖❖ تَتَنُّ فَنصُغِي، أَوْ تَحْنُ فَنَسْمَعُ  
أَرَاكَ يَمَانِيَا، وَمَصْرُ حَمِيلَتِي ❖❖ كَلَانَا غَرِيبٌ، نَازِحُ الدَارِ، مُوجِعُ

لا شك أن سجع حمامة تحنُّ إلى إلفها يشجي العاشقين، كما  
يقول ابن سنان الخفاجي، وهو في هذه الأبيات يعجب لأمرها، لأنها  
تشكو الصبابة وإلفها قريب منها:

وهاتفَةٌ فِي البَانِ تَمَلَى غَرَامَهَا ❖❖ عَلَيْنَا وَتَتَلَوُ مِنْ صِبَابَتِهَا صَحْفَا  
عَجِبْتُ لَهَا تَشْكُو الفِرَاقَ جِهَالَةً ❖❖ وَقَدْ جَاوَبْتُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةِ إلفَا  
وَيَشْجُو قُلُوبَ العَاشِقِينَ حَنِينَهَا ❖❖ وَمَا فَهَمُوا مِمَّا تَغَنَّتْ بِهِ حَرْفَا

\*\*\*\*\*

## قطعة

يقول أبو هلال العسكري في كتابه «ديوان المعاني»: «لم أسمع في  
وصف الهرة أظرف من قول ابن طباطبا العلوي الأصفهاني»:

أرِقْتُ مُقْلَتِي لِحَبِّ عَرُوسِ ❖❖ طِفْلَةٍ فِي المَلَاكِ غَيْرِ شَمُوسِ  
فَتَنَّنِي بِظِلْمَةِ وُضْيَاءِ ❖❖ إِذْ بَدَتْ لِي كَالعَاجِ فِي الأَبْنُوسِ  
تَتَلَقَّى الظَّلَامَ مِنْ مُقْلَتِيهَا ❖❖ بِشَعَاعِ يَحْكِي شُعَاعَ الشَّمُوسِ  
ذَاتِ دَلِّ قَصِيرَةٍ كَمَا قَا ❖❖ مَت تَهَادَى طَوِيلَةً فِي الجُلُوسِ

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

لم تزل تسبغُ الوضوءَ وتنقي ❖❖ كلَّ عضو لها مس التنجيسِ  
دأبها ساعة الطهارةِ دفنُ العنبِ ❖❖ بر الرطبِ في الحنوطِ اليبيسِ

\* \* \* \* \*

## النمل

وقال أبو هلال العسكري في النمل :

وحَيُّ أناخوا بالمنازلِ باللوى ❖❖ فصاروا بها بعدَ القطارِ قطيناً  
إذا اختلفوا في الدارِ ظلتُ كأنها ❖❖ تبددُ فيها الريحُ بزرَ قطوناً  
إذا طرقتوا قِدي مع الليلِ أصبحت ❖❖ بواطنها مثلَ الظواهرِ جونا  
لهم نظرةٌ يمى ويُسرى إذا مشوا ❖❖ كما مرَّ مرعوبٌ يخافُ كمينا  
ويمشون صفاً في الديارِ كأنما ❖❖ يجررونَ خيطاً في الترابِ مبيناً  
ففي كلِّ بيتٍ من بيوتي قريةٌ ❖❖ تضمُّ صنوفاً منهمُ وفنوناً  
فيا مَنْ رأى بيتاً يضيقُ بخمسةِ ❖❖ وفيه قرياتٌ يسعنُ مئينا

\* \* \* \* \*

وقال في البعوض :

وبدا فغناني البعوضُ مطرباً ❖❖ فهزقتُ كأسَ النومِ إذ غناني  
ثم انبرى البرغوثُ ينقطُ أضلعي ❖❖ نقطُ المعلمِ مُشكلِ القرآنِ  
حتى إذا كشفَ الصباحُ قناعه ❖❖ قرأتُ لي الذبانُ بالألحانِ

وقال ابن المعتز في البعوض :

- ❖❖ مسهدا يضرب بعضي بعضاً  
❖❖ منتهش بفرس منقضاً  
❖❖ كشرر القدح إذا ما ارفضاً  
❖❖ يدمن اسخاطك حتى ترضى

\* \* \* \* \*

وقال السري الرفاء يصف الزنبور:

- ❖❖ ومُخطف الخصر برده حبرُ  
❖❖ نحدره وهو خائفٌ حذرُ  
❖❖ مجنح طار في مجنحةٍ  
❖❖ تصعد طوراً به وتنحدرُ  
❖❖ كأنها والرياح تنشرها  
❖❖ غرائب الزهر حين ينتشرُ  
❖❖ لها حُمات كأنها شعرُ  
❖❖ تظهر مُسودةً وتستترُ  
❖❖ قد أذهبت في الجبين غرته  
❖❖ إذ فضضت في جياها الغرُ  
❖❖ سلاحه الدهر في مؤخره  
❖❖ يفتك طوراً به وينتصرُ  
❖❖ كأنما شطر ما يجرده  
❖❖ من بين فكيه حية ذكرُ

\* \* \* \* \*

وقال ابن المعتز في وصف الحية :

- ❖❖ كأنني ساورتني يومَ بينهم  
❖❖ رقشاءٌ مجدولة في لونها بلقُ  
❖❖ كأنها حين تبدو من مكامنها  
❖❖ غصنٌ تفتح فيه النورُ والورقُ  
❖❖ ينسلُّ منها لسانٌ تستغيثُ به  
❖❖ كما تعودُ بالسَّبابَةِ الغرقُ

\* \* \* \* \*

ومن أجود ما قيل في الحية قول النابغة :

صلُّ صفا لا ينطوي من القصرُ ❖❖ طويلة الأطراف من غير خفرُ  
مهرونة الشدقين<sup>(1)</sup> حولاء النظرُ ❖❖ تفتُر عن عوج حداد كالأبرُ

داهية قد صغرت من الكبرُ

\*\*\*\*\*

وقال السري الرفاء في وصف الجراد :

وجحفل من جنود الله منتشرِ ❖❖ مثل الخناصر منقوش الحيازيمِ  
يحل بسطة إقليم فإن عصفت ❖❖ به الصبا تركته جو إقليمِ  
ماشن وهو ضعيف البطش غارته ❖❖ إلا استباح حمى الشم اللهاميمِ  
يلقي على الحب في أعلى منابته ❖❖ كالا نقشت نقش الخواتيمِ  
إذا استقل أعاد الأرض معدمة ❖❖ واستودع التراب نسلًا غير معدومِ

\*\*\*\*\*

(1) أي واسعة الشدقين.

## القسم الرابع



- نخبة من حكايات كلية ودمنة  
«للمقارنة»

- تمهيد :

ابن المقفع - مقدمة الكتاب - غرض  
الكتاب - أقوال بعض الحكماء  
والملوك - الرجل والتنين في البئر -  
القبرة والفيل .



## تهدية



اخترت فيما يلي نخبة من حكايات كلية ودمنة (ترجمة عبدالله بن المقفع) ، وهي الأبواب :

الأول؛ الثالث؛ الرابع؛ الخامس؛ التاسع؛ والثالث عشر.

ليتمكن القارئ من المقارنة بين حكايات كلية ودمنة التي نبعث من الشرق، من أعماق الهند، والتي سجلها الحكيم الهندي بيديبا، وبين حكايات الحكيم اليوناني إيسوب الذي (يروى أنه) عاش بين القرنين السادس والسابع قبل الميلاد، على وجه التقريب، وحكايات الشاعر الفرنسي الشهير لافونتان الذي عاش في القرن السابع عشر.

\* \* \* \* \*

## ابن المقفع (المترجم)



ولد ابن المقفع في قرية بجنوب بلاد فارس، واسمه الأصلي «روزبه»، أي اليوم السعيد؛ وكان قبل إسلامه يكنى بأبي عمرو؛ ولما أسلم تسمى عبد الله، وكنى بأبي محمد؛ وهناك خلافٌ في تاريخ ميلاده، وقيل أنه ولد عام 72 هجرية. نشأ مع أسرته في مدينة البصرة، ودرس اللغة العربية، وحفظ القرآن، ولازم حلقات الدروس بمسجد البصرة، وأتقن اللغة الفارسية، والعربية، وتعلم اللغتين السريانية والعبرية.

نشأ ابن المقفع نشأة عربية، وتأثر بثقافة أسرته الفارسية. اشتغل بالكتابة والمحاسبة، وعمل كاتباً لآل هبيرة في أواخر العهد الأموي؛ وعند قيام الدولة العباسية، تولى الكتابة لعيسى بن علي، عم الخليفة أبي جعفر المنصور؛ ويروى أنه أسلم على يديه؛ كما يروى أن ابن المقفع ظل يحنّ إلى عقيدة آبائه وأجداده، وأن إسلامه إنما كان لإرضاء ذوي السلطان، لذلك اتهم بالزندقة.

وابن المقفع من أعلام الكتاب في القرن الثاني للهجرة؛ وقد كان واسع الاطلاع، برع في سرد القصص وضرب الأمثال؛ وله مؤلفات أشهرها: الأدب الصغير؛ والأدب الكبير؛ ورسالة الصحابة؛ واليتيمة؛ ويعدُّ كتابه «كليلة ودمنة» الذي ترجمه عن الفارسية أشهر مؤلفاته. تم اغتيال ابن المقفع سنة 142 هجرية.

\*\*\*\*\*

## مقدمة الكتاب<sup>(1)</sup>



قال عليّ بن شاه الفارسي في مقدمة كتاب «كليلة ودمنة» أن السبب الذي من أجله وضع بيّداً الفيلسوف الهندي، رأس البراهمة، كتابه كليلة ودمنة لدبشليم ملك الهند، أنه عندما سار الإسكندر المقدوني بجيشه لغزو بلاد آسيا، وصل في طريقه إلى بلاد الهند، وكان عليها ملك ذو قوة ومراس يدعى «فور». فحاربه الإسكندر وتغلب عليه، واستولى على بلاده. ثم انصرف الإسكندر عن الهند وخلف عليها حاكماً من ثقاته.

ثار أهل الهند على هذا الحاكم الأجنبي، وأجمعوا أمرهم فملكوا عليهم رجلاً من أولاد ملوكهم يدعى «دبشليم». غير أن دبشليم لما استوثق له الأمر، طغى واستبدّ، وأساء السيرة في رعيته .

وكان في زمن هذا الملك فيلسوف من البراهمة عرف بالفضل والحكمة يدعى بيّداً؛ فلما رأى ما وصل إليه الملك دبشليم من الظلم للرعية، عقد العزم على الاتصال به، واختار اليوم المناسب، فاستأذن ودخل عليه، فشكره ودعا له بدوام ملكه، وقدم له نصائح عديدة، ومن جملة ما قال:

«أيها الملك السعيد جدّه ... إنك في منازل آبائك وأجدادك الذين أسسوا الملك وشيّدوه ، وبنوا الحصون ومهدوا البلاد ... وإنك أيها الملك قد ورثت أرضهم وديارهم وأموالهم ومنازلهم التي كانت عدتهم ... ولم

(1) حسبما ورد في الأصل.

تقم في ذلك بحق ما يجب عليك، بل طغيت وبغيت، وعتوت وعليت على الرعية، وأسأت السيرة وعظمت منك البلية... وكان أولى بك أن تحسن النظر برعيتك، وتسن لهم سنن الخير الذي يبقى بعدك ذكره... ويكون ذلك أبقى على السلامة، وأدوم على الاستقامة...».

غضب الملك دبشليم عند سماع كلام الحكيم بيدبا، فاستصغر أمره، وأمر بحبسه وتقييده. وبعد فترة من الزمن، ذات ليلة أصاب الملك سهد وقلق، فمدّ بصره إلى الفلك، واستغرق في تفكير عميق، فكر في حركة الكواكب، وفي من سبقه من الملوك ومصائرهم...؛ فتذكر عندئذ ذلك الحكيم بيدبا وما قدم له من نصائح، وقال في نفسه: «لقد أسأتُ فيما صنعتُ بالرجل الحكيم، وضيعتُ واجب حقه في لحظة غضب؛ وأنفَذتُ في ساعته من يأتيه به؛ فاعتذر له، وقربته من مجلسه، وطلب منه أن يضع له كتاباً بليغاً يكون ظاهره سياسة العامّة وتأديبها وباطنه أخلاق الملوك وسياستها للرعية، وأريد أن يبقى هذا الكتاب بعدي ذكراً على غابر الدهور.

بدأ بيدبا في نظم هذا الكتاب (كليلة ودمنة) وتصنيفه، ولم يزل يملئ، وتلميذه يكتب حتى استقر الكتاب على غاية الإتقان والإحكام. وجعل كلامه على ألسن البهائم، والسباع، والطير، ليكون ظاهره لهوا للخواص والعوام، وباطنه رياضة لعقول الخاصة. وضمنه أيضاً ما يحتاج إليه الإنسان من سياسة نفسه وأهله وخاصته وجميع ما يحتاج إليه من أمر دينه ودنياه وآخرته وأولاه، يحضه على حسن طاعته للملوك، ويجنبه ما تكون مجانبته خيراً له، ثم جعله باطناً وظاهراً كرسوم سائر الكتب التي برسم الحكمة، فصار الحيوان لهواً، وما ينطق به حكماً وأدباً.

\*\*\*\*\*

## غرض الكتاب<sup>(1)</sup>



هَذَا كِتَابٌ كَلِيلَةٌ وَدَمْنَةٌ ، وَهُوَ مِمَّا وَضَعْتَهُ عُلَمَاءُ الْهِنْدِ مِنَ الْأَمْثَالِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي أُلْهِمُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيهَا أَبْلَغَ مَا وَجَدُوا مِنَ الْقَوْلِ فِي النَّحْوِ الَّذِي أَرَادُوا . وَلَمْ تَزَلْ الْعُلَمَاءُ مِنْ كُلِّ لُؤْمَةٍ يَلْتَمِسُونَ أَنْ يُعْقَلَ عَنْهُمْ ، وَيَحْتَالُونَ فِي ذَلِكَ بِصُنُوفِ الْحَيْلِ ، وَيَبْتَغُونَ إِخْرَاجَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلَلِ ، فِي إِظْهَارِ مَا لَدَيْهِمْ مِنَ الْعُلُومِ وَالْحُكْمِ حَتَّى كَانَ مِنْ تِلْكَ الْعِلَلِ وَضَعُ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى أَفْوَاهِ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ فَاجْتَمَعَ لَهُمْ بِذَلِكَ خِلَالًا ، أَمَّا هُمْ فَوَجَدُوا مُنْصَرَفًا فِي الْقَوْلِ وَشِعَابًا يَأْخُذُونَ مِنْهَا .

وَأَمَّا الْكِتَابُ فَجَمَعَ حِكْمَةً وَلَهْوًا ، فَاخْتَارَهُ الْحُكَمَاءُ لِحِكْمَتِهِ ، وَالْأَعْرَارُ لِلَهْوِ ، وَالْمُتَعَلِّمُ مِنَ الْأَحْدَاثِ نَاشِطٌ فِي حِفْظِ مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرٍ يُرْبِطُ فِي صَدْرِهِ وَلَا يَدْرِي مَا هُوَ ، بَلْ عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ ظَفِرَ مِنْ ذَلِكَ بِمَكْتُوبٍ مَرْقُومٍ . وَكَانَ كَالرَّجُلِ الَّذِي لَمَّا اسْتَكْمَلَ الرَّجُولِيَّةَ وَجَدَ أَبُوَيْهِ قَدْ كَنَزَا لَهُ كَنْزًا وَعَقَدَا لَهُ عُقُودًا اسْتَغْنَى بِهَا عَنِ الْكَدْحِ فِي مَا يَعْمَلُهُ مِنْ أَمْرِ مَعِيشَتِهِ ، فَأَغْنَاهُ مَا أَشْرَفَ عَلَيْهِ مِنْ

(1) حسبما ورد في الأصل.

الحِكْمَةَ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى غَيْرِهَا مِنْ وُجُوهِ الْأَدَبِ. فَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي  
لِمَنْ قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ أَنْ يَعْرِفَ الْوُجُوهُ الَّتِي وُضِعَتْ لَهُ وَالرُّمُوزَ الَّتِي  
رَمَزَتْ فِيهِ، وَإِلَى أَيِّ غَايَةٍ جَرَى مُؤَلِّفُهُ فِيهِ عِنْدَمَا نَسَبَهُ إِلَى  
الْبَهَائِمِ، وَأَضَافَهُ إِلَى غَيْرِ مُفْصِحٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْضَاعِ الَّتِي  
جَعَلَهَا أَمْثَالًا. فَإِنَّ قَارِئَهُ مَتَى لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لَمْ يَدْرَ مَا أُرِيدُ بِتِلْكَ  
الْمَعَانِي وَلَا أَيِّ ثَمَرَةٍ يَجْتَنِي مِنْهَا وَلَا أَيِّ نَتِيجَةٍ تَحْصُلُ لَهُ مِنْ  
مُقَدِّمَاتِ مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْكِتَابُ. وَإِنَّهُ إِنْ كَانَتْ غَايَتُهُ اسْتِثْمَامَ  
قِرَاءَتِهِ وَالْبُلُوغَ إِلَى آخِرِهِ دُونَ تَفْهَمِ مَا يَقْرَأُ مِنْهُ لَمْ يُعِدْ عَلَيْهِ شَيْءٌ  
يَرْجِعُ إِلَيْهِ نَفْعُهُ.

وَمَنْ اسْتَكْتَرَ مِنْ جَمْعِ الْعُلُومِ وَقِرَاءَةِ الْكُتُبِ مِنْ غَيْرِ إِعْمَالِ  
الرُّوِيَّةِ فِيمَا يَقْرَأُهُ كَانَ خَلِيقًا أَلَّا يُصِيبَهُ إِلَّا مَا أَصَابَ الرَّجُلَ الَّذِي  
زَعَمَتْ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُ اجْتَازَ بِبَعْضِ الْمَفَاوِزِ فَظَهَرَ لَهُ مَوْضِعُ آثَارِ كُنْزٍ،  
فَجَعَلَ يَحْفِرُ وَيَطْلُبُ فَوْقَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عَيْنٍ وَوَرَقٍ، فَقَالَ فِي  
نَفْسِهِ إِنْ أَنَا أَخَذْتُ فِي نَقْلِ هَذَا الْمَالِ قَلِيلًا طَالَ عَلَيَّ، وَقَطَعَنِي  
الِاشْتِغَالُ بِنَقْلِهِ وَإِحْرَازِهِ عَنِ اللَّذَّةِ بِمَا أَصَبَتْ مِنْهُ. وَلَكِنْ  
سَأَسْتَأْجِرُ أَقْوَامًا يَحْمِلُونَهُ إِلَى مَنْزِلِي وَأَكُونُ أَنَا آخِرَهُمْ وَلَا يَكُونُ  
قَدْ بَقِيَ وَرَائِي شَيْءٌ يَشْغَلُ فِكْرِي بِنَقْلِهِ، وَأَكُونُ قَدْ اسْتَظْهَرْتُ  
لِنَفْسِي فِي إِرَاحَةِ بَدَنِي عَنِ الْكَدِّ، بِبَسِيرِ أُجْرَةٍ أُعْطِيهَا لَهُمْ. ثُمَّ

جَاءَ بِالْحَمَّالِينَ فَجَعَلَ يَحْمِلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا يُطَبِقُ فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ هُوَ فَيَفُوزُ بِهِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنَ الْكَنْزِ شَيْءٌ انْطَلَقَ خَلْفَهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ مِنَ الْمَالِ شَيْئًا لَا كَثِيرًا وَلَا قَلِيلًا. وَإِذَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْحَمَّالِينَ قَدَ فَازَ بِمَا حَمَلَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لِلرَّجُلِ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الْعَنَاءُ وَالتَّعَبُ، لِأَنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ فِي آخِرِ أَمْرِهِ.

وَكَذَلِكَ مَنْ قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ وَلَمْ يَفْهَمْ مَا فِيهِ وَلَمْ يَعْلَمْ غَرَضَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لَمْ يَنْتَفِعْ بِمَا يَبْدُو لَهُ مِنْ خَطِّهِ وَنَقْشِهِ كَمَا لَوْ أَنَّ رَجُلًا قَدَّمَ لَهُ جَوْزٌ صَحِيحٌ وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ إِلَّا أَنْ يَكْسِرَهُ وَيَسْتَخْرِجَ مَا فِيهِ.

\*\*\*\*\*

### أقوال أربعة علماء

حكي أن أربعة علماء ضمَّهم مجلس ملك فقال لهم : ليتكلم كل منكم بكلام يكون أصلاً للأدب.

فقال أحدهم : أفضل خلة العلماء السكوت.

وقال الثاني : إن من أنفع الأشياء للإنسان أن يعرف قدر منزلته من عقله.

وقال الثالث : أنفع الأشياء للإنسان ألا يتكلم بما لا يعنيه.

وقال الرابع : أروح الأمور للإنسان التسليم للمقادير.

## أقوال أربعة ملوك

وَاجْتَمَعَ فِي بَعْضِ الزَّمَانِ مُلُوكُ الْأَقَالِيمِ: مِنَ الصِّينِ، وَالْهِنْدِ،  
وَفَارِسَ، وَالرُّومِ، وَقَالُوا: يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّمَ كُلُّ مَنَّْا بِكَلِمَةٍ تُدَوِّنُ عَنْهُ  
عَلَى غَابِرِ الدَّهْرِ.

فَقَالَ مَلِكُ الصِّينِ: أَنَا عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ.

وَقَالَ مَلِكُ الْهِنْدِ: عَجِبْتُ لِمَنْ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ لَمْ  
تَنْفَعُهُ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْهِ أَوْيَقَّتَهُ.

وَقَالَ مَلِكُ فَارِسَ: أَنَا إِذَا تَكَلَّمْتُ بِالْكَلِمَةِ مَلَكَتَنِي، وَإِذَا لَمْ  
أَتَكَلَّمْ بِهَا مَلَكَتْهَا.

وَقَالَ مَلِكُ الرُّومِ: مَا نَدِمْتُ عَلَى مَا لَمْ أَتَكَلَّمْ بِهِ قَطُّ، وَلَقَدْ  
نَدِمْتُ عَلَى مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ كَثِيرًا.

\*\*\*\*\*

## الرجل والتنين في البئر

الْتَمَسْتُ لِلْإِنْسَانِ مَثَلًا فَإِذَا مَثَلُهُ مَثَلُ رَجُلٍ نَجَا مِنْ خَوْفِ فِيلٍ  
هَائِجٍ إِلَى بئرٍ فَتَدَلَّى فِيهَا وَتَعَلَّقَ بِغُصْنَيْنِ كَانَا عَلَى سَمَائِهَا فَوَقَعَتْ



رَجَلَاهُ عَلَى شَيْءٍ فِي طِيِّ الْبَبْرِ فَإِذَا حَيَّاتٌ أَرْبَعٌ قَدْ أَخْرَجْنَ  
رُؤُوسَهُنَّ مِنْ أَجْحَارِهِنَّ. ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا فِي قَاعِ الْبَبْرِ تَيْنٌ فَاتِحٌ فَاهُ  
مُنْتَظِرٌ لَهُ لِيَقَعَ فَيَأْخُذَهُ. فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى الْغُصْنَيْنِ فَإِذَا فِي  
أَصْلِهِمَا جُرْدَانٌ أَسْوَدٌ وَأَبْيَضٌ وَهُمَا يَقْرِضَانِ الْغُصْنَيْنِ دَائِبَيْنِ لَا  
يَفْتُرَانِ. فَبَيْنَمَا هُوَ فِي النَّظَرِ لِأَمْرِهِ وَالْاهْتِمَامِ لِنَفْسِهِ إِذْ بَصَرَ قَرِيبًا  
مِنْهُ بِخَلِيَّةٍ فِيهَا عَسَلٌ فَذَاقَ الْعَسَلَ فَشَغَلَتْهُ حَلَاوَتُهُ وَأَلْهَتْهُ لَذَّتُهُ عَنِ  
الْفِكْرَةِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ وَأَنْ يَلْتَمِسَ الْخِلَاصَ لِنَفْسِهِ. وَلَمْ يَذْكُرْ  
أَنَّ رَجَلَيْهِ عَلَى حَيَّاتٍ أَرْبَعٍ لَا يَدْرِي مَتَى يَقَعُ عَلَيْهِنَّ. وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ  
الْجُرْدَيْنِ دَائِبَانِ فِي قَطْعِ الْغُصْنَيْنِ وَمَتَى انْقَطَعَا وَقَعَ عَلَى التَّنِينِ.  
فَلَمْ يَزَلْ لَاهِيًا، غَافِلًا مَشْغُولًا بِتِلْكَ الْحَلَاوَةِ، حَتَّى سَقَطَ فِي فَمِ  
التَّنِينِ فَهَلَكَ، فَشَبَّهَتْ بِالْبَبْرِ الدُّنْيَا الْمَمْلُوءَةَ آفَاتٍ وَشُرُورًا وَمَخَافَاتٍ  
وَعَاهَاتٍ. وَشَبَّهَتْ بِالْحَيَّاتِ الْأَرْبَعِ الْأَخْلَاطِ الْأَرْبَعَةَ الَّتِي فِي الْبَدَنِ،  
فَإِنَّهَا مَتَى هَاجَتْ أَوْ هَاجَ أَحَدُهَا كَانَتْ كَحُمَةِ الْأَفَاعِي وَالسُّمِّ  
الْمُمِيتِ وَشَبَّهَتْ بِالْغُصْنَيْنِ الْأَجَلَ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْ انْقِطَاعِهِ. وَشَبَّهَتْ  
بِالْجُرْدَيْنِ الْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ اللَّذَيْنِ هُمَا دَائِبَانِ فِي  
إِفْنَاءِ الْأَجَلِ. وَشَبَّهَتْ بِالتَّنِينِ الْمُصِيرِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ وَشَبَّهَتْ  
بِالْعَسَلِ هَذِهِ الْحَلَاوَةَ الْقَلِيلَةَ الَّتِي يَنَالُ مِنْهَا الْإِنْسَانُ فَيَرَى وَيَطْعَمُ  
وَيَسْمَعُ وَيَشْمُ وَيَلْمَسُ وَيَتَشَاغَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَيَلْهُو عَنْ شَأْنِهِ فَيَنْسَى  
أَمْرَ الْآخِرَةِ وَيَصُدُّ عَنْ سَبِيلِ قَصْدِهِ .

## القنبرة والفيل

يحكى أن قنبرة اتخذت أدحيّةً وباضت فيها على طريق الفيل، وكان للفيل مشربٌ يتردد إليه. فمرّت ذات يوم على عادته، ليُردّ مورده فوطيء عش القنبرة وهشم بيضها وقتل فراخها. فلما نظرت ما ساءها علمت أنّ الذي نالها من الفيل لا من غيره. فطارت فوقعت على رأسه باكبةً ثم قالت: أيها الملك، لم هشمّت بيضي وقتلت فراخي وأنا في جوارك؟ أفعلت هذا استصغاراً منك لأمرّي واحتقاراً لشأني؟ قال: هو الذي حملني على ذلك. فتركته وانصرفت إلى جماعة الطير فشكت إليها ما نالها من الفيل، فقلن لها: وما عسى أن نبُلع منه ونحن طيور؟ فقالت للقعاقع والغربان: أحبُّ منكنّ أن تصرن معي إليه فتفقأن عينيّه، فإني أحتالُ له بعد ذلك بحيلةٍ أخرى. فأجبنها إلى ذلك وذهبن إلى الفيل، فلم يزلن ينقرن عينيّه حتى ذهبن بهما، وبقي لا يهتدي إلى طريق مطعمه ومشربه إلا ما يقمهُ من موضعه.

فلما علمت ذلك منه جاءت إلى غدير فيه ضفادع كثيرة، فشكت إليها ما نالها من الفيل. قالت الضفادع: ما حيلتنا نحن في عظم الفيل، وأين نبُلع منه؟ قالت: أحبُّ منكنّ أن تصرن

مَعِيَ إِلَى وَهْدَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُ ، فَتُنْقِنَنَّ فِيهَا وَتَضْجَجَنَّ . فَإِنَّهُ إِذَا سَمِعَ أَصْوَاتَكُمْ لَمْ يَشُكَّ فِي الْمَاءِ فَيَهْوِي فِيهَا . فَأَجْبَنَهَا إِلَى ذَلِكَ وَاجْتَمَعَنَّ فِي الْهَائِيَةِ . فَسَمِعَ الْفِيلُ نَقِيْقَ الضَّفَادِعِ ، وَقَدَّ جَهْدَهُ الْعَطَشُ ، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَعَ فِي الْوَهْدَةِ فَارْتَطَمَ فِيهَا . وَجَاءَتِ الْقُنْبُرَةُ تُرْفَرِفُ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَتْ : أَيُّهَا الطَّاغِي ، الْمَغْتَرُّ بِقُوَّتِهِ ، الْمُحْتَقِرُ لِأَمْرِي ، كَيْفَ رَأَيْتَ عِظْمَ حَيْلَتِي مَعَ صَغْرِ جِثَّتِي عِنْدَ عِظْمِ جِثَّتِكَ وَصَغْرِ هِمَّتِكَ ؟

وعلى هذا النحو يجد القارئ في حكايات كليلة ودمنة أن العقل والذكاء والتعاون والاتحاد تنتصر على القوة الغاشمة. ففي حكاية القنبرة والفيل يظهر لنا ما يحصل بين القوي والضعيف من اعتداء وصراع ينتهي بانتصار الضعيف على القوي بفضل لجوء القنبرة إلى الحيلة، وسعيها للحصول على مساعدة الغراب والعقاق والضفادع على الإيقاع بالفيل والتخلص منه.

وكذلك نجد في حكاية الحمامة المطوقة أن تنسيق الجهود ومساعدة الجرد على تمزيق الشبكة وتعاون الغراب، والطبي، والسلحفاة ساعد الجميع على الخلاص من الأزمة والانتصار على العدو.

## الباب الأول



### الأسد والثور:

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ ، وَهُوَ رَأْسُ الْبَرَاهِمَةِ :  
اضْرِبْ لِي مَثَلًا لِمُتَحَابِّينَ يَقْطَعُ بَيْنَهُمَا الْكُذُوبُ الْمُحْتَالُ حَتَّى  
يَحْمِلَهُمَا عَلَى الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ .

قَالَ بَيْدَبَا : إِذَا ابْتُلِيَ الْمُتَحَابِّانِ بِأَنْ يَدْخُلَ بَيْنَهُمَا الْكُذُوبُ  
الْمُحْتَالُ لَمْ يَلْبَثَا أَنْ يَتَقَاطِعَا وَيَتَدَابَّرَا .

وَمِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ : أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ دَسْتَاوَنْدَ شَيْخٌ لَهُ ثَلَاثَةُ بَنِينَ ،  
فَلَمَّا بَلَغُوا أَشُدَّهُمْ أَسْرَفُوا فِي مَالِ آبِيهِمْ وَلَمْ يَكُونُوا احْتَرَفُوا حِرْفَةً  
يَكْسِبُونَ بِهَا لِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ، فَلَامَهُمْ أَبُوهُمْ وَوَعَظَهُمْ عَلَى سُوءِ  
فِعْلِهِمْ . وَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ لَهُمْ : يَا بَنِيَّ إِنَّ صَاحِبَ الدُّنْيَا يَطْلُبُ ثَلَاثَةَ  
أُمُورٍ لَنْ يُدْرِكَهَا إِلَّا بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ . أَمَّا الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَطْلُبُ : فَالسَّعَةُ  
فِي الرِّزْقِ ، وَالْمَنْزِلَةُ فِي النَّاسِ ، وَالزَّادُ لِلْآخِرَةِ . وَأَمَّا الْأَرْبَعَةُ الَّتِي  
يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي دَرَكِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ : فَكَتْسَابُ الْمَالِ مِنْ أَحْسَنِ وَجْهِ  
يَكُونُ ، ثُمَّ حُسْنُ الْقِيَامِ عَلَى مَا اكْتَسَبَ مِنْهُ ، ثُمَّ اسْتِثْمَارُهُ ، ثُمَّ

إِنْفَاقُهُ فِيمَا يُصَلِّحُ الْمَعِيشَةَ وَيُرْضِي الْأَهْلَ وَالْإِخْوَانَ فَيَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ فِي الْآخِرَةِ . فَمَنْ ضَيَّعَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ لَمْ يُدْرِكْ مَا أَرَادَ مِنْ حَاجَتِهِ ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَكْتَسِبْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ يَعِيشُ بِهِ . وَإِنْ هُوَ كَانَ ذَا مَالٍ وَكَتَسَبَ ثُمَّ لَمْ يُحَسِّنِ الْقِيَامَ عَلَيْهِ أَوْشَكَ الْمَالُ أَنْ يَفْنَى وَيَبْقَى مُعَدِمًا . وَإِنْ هُوَ وَضَعَهُ وَلَمْ يَسْتَتْمِرْهُ لَمْ تَمْنَعَهُ قَلَّةُ الْإِنْفَاقِ مِنْ سُرْعَةِ الذَّهَابِ كَالْكُحْلِ الَّذِي لَا يُؤْخَذُ مِنْهُ إِلَّا غُبَارُ الْمِيلِ ثُمَّ هُوَ مَعَ ذَلِكَ سَرِيعٌ فَنَاقُهُ . وَإِنْ هُوَ أَنْفَقَهُ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ وَوَضَعَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَأَخْطَأَ بِهِ مَوَاضِعَ اسْتِحْقَاقِهِ صَارَ بِمَنْزِلَةِ الْفَقِيرِ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ . ثُمَّ لَا يَمْنَعُ ذَلِكَ أَيْضًا مَا لَهُ مِنَ التَّلَفِ بِالْحَوَادِثِ وَالْعِلَلِ الَّتِي تَجْرِي عَلَيْهِ ، كَمَحَبَسِ الْمَاءِ الَّذِي لَا تَزَالُ الْمِيَاهُ تَنْصَبُ فِيهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَخْرَجٌ وَمَفَاضٌ وَمُتَنَفِّسٌ يَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ بِقَدَرِ مَا يَنْبَغِي ، خَرِبَ وَسَالَ وَنَزَّ مِنْ نَوَاحٍ كَثِيرَةٍ وَرُبَّمَا انْبَثَقَ الْبَثْقُ الْعَظِيمُ فَذَهَبَ الْمَاءُ ضَيَاعًا .

ثُمَّ إِنَّ بَنِي الشَّيْخِ اتَّعَظُوا بِقَوْلِ أَبِيهِمْ وَأَخَذُوا بِهِ .

فَانْطَلَقَ أَكْبَرُهُمْ نَحْوَ أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا مَيُّونٌ ، فَآتَى فِي طَرِيقِهِ عَلَى مَكَانٍ فِيهِ وَحْلٌ كَثِيرٌ وَكَانَ مَعَهُ عَجَلَةٌ يَجْرُهَا ثَوْرَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا شَتْرَبَةٌ ، وَلِلْآخَرِ : بَنْدَبَةٌ . فَوَحَلَ شَتْرَبَةٌ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ فَعَالَجَهُ الرَّجُلُ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُمْ الْجَهْدُ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى

إِخْرَاجِهِ ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ وَخَلَفَ عِنْدَهُ رَجُلًا يُشَارِفُهُ لَعَلَّ الْوَحَلَ  
يَنْشِفُ فَيَتَّبَعُهُ بِهِ . فَلَمَّا بَاتَ الرَّجُلُ بِذَلِكَ الْمَكَانِ تَبَرَّمَ بِهِ وَاسْتَوْحَشَ  
فَتَرَكَ الثَّوْرَ وَالتَّحَقَّ بِصَاحِبِهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الثَّوْرَ قَدْ مَاتَ . وَقَالَ لَهُ :  
إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا انْقَضَتْ مُدَّتُهُ فَهُوَ وَإِنْ اجْتَهَدَ فِي التَّوَقِّي مِنَ الْأُمُورِ  
الَّتِي يَخَافُ فِيهَا عَلَى نَفْسِهِ الْهَلَاكَ لَمْ يُغْنِ ذَلِكَ عَنْهُ شَيْئًا ، وَرَبِّمَا  
عَادَ اجْتِهَادُهُ فِي تَوَقِّيهِ وَحَذَرِهِ وَبَالًا عَلَيْهِ كَالَّذِي قِيلَ : إِنَّ رَجُلًا  
سَلَكَ مَفَازَةً فِيهَا خَوْفٌ مِنَ السَّبَاعِ وَكَانَ الرَّجُلُ خَبِيرًا بُوْعَثَ تِلْكَ  
الْأَرْضِ وَخَوْفِهَا . فَلَمَّا سَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ اعْتَرَضَ لَهُ ذَنْبٌ مِنْ أَحَدِ  
الذَّنَابِ وَأَضْرَاهَا ، فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ أَنَّ الذَّنْبَ قَاصِدٌ نَحْوَهُ خَافَ  
مِنْهُ وَنَظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا لِيَجِدَ مَوْضِعًا يَتَحَرَّزُ فِيهِ مِنَ الذَّنْبِ فَلَمْ يَرَ  
إِلَّا قَرْيَةً خَلْفَ وَادٍ فَذَهَبَ مُسْرِعًا نَحْوَهَا .

فَلَمَّا أَتَى الْوَادِي لَمْ يَرَ عَلَيْهِ قَنْطَرَةً وَرَأَى الذَّنْبَ قَدْ أَدْرَكَهُ  
فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ وَهُوَ لَا يُحْسِنُ السَّبَاحَةَ وَكَادَ يَغْرَقُ لَوْلَا أَنْ  
بَصُرَ بِهِ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ فَتَوَاقَعُوا لِإِخْرَاجِهِ فَأَخْرَجُوهُ وَقَدْ  
أَشْرَفَ عَلَى الْهَلَاكِ . فَلَمَّا حَصَلَ الرَّجُلُ عِنْدَهُمْ وَأَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ  
مِنْ غَائِلَةِ الذَّنْبِ رَأَى عَلَى عُدْوَةِ الْوَادِي بَيْتًا مُفْرَدًا فَقَالَ : أَدْخُلُ  
الْبَيْتَ فَأَسْتَرِيحُ فِيهِ . فَلَمَّا دَخَلَهُ وَجَدَ جَمَاعَةً مِنَ اللُّصُوصِ قَدْ  
قَطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ التُّجَّارِ وَهُمْ يَقْتَسِمُونَ مَالَهُ وَيُرِيدُونَ

قَتَلَهُ . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ وَمَضَى نَحْوَ الْقَرْيَةِ فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى حَائِطٍ مِنْ حَيْطَانِهَا لِيَسْتَرِيحَ مِمَّا حَلَّ بِهِ مِنَ الْهَوْلِ وَالْإِعْيَاءِ إِذْ سَقَطَ عَلَيْهِ الْحَائِطُ فَمَاتَ .

قَالَ الرَّجُلُ : صَدَقْتَ ، قَدْ بَلَّغَنِي هَذَا الْحَدِيثُ . وَأَمَّا الثَّوْرُ فَإِنَّهُ حَلَّصَ مِنْ مَكَانِهِ وَأَنْبَعَثَ فَلَمْ يَزَلْ فِي مَرْجٍ مُخْصِبٍ كَثِيرِ الْمَاءِ وَالْكَلَالِ . فَلَمَّا سَمِنَ وَأَمِنَ جَعَلَ يَخُورُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالْخُورِ . وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ أَجْمَةٌ فِيهَا أَسَدٌ عَظِيمٌ وَهُوَ مَلِكُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ وَمَعَهُ سِبَاعٌ كَثِيرَةٌ وَذَنَابٌ وَبَنَاتٌ أَوْى وَتَعَالِبٌ وَفُهُودٌ وَنُمُورٌ . وَكَانَ هَذَا الْأَسَدُ مُنْفَرِدًا بِرَأْيِهِ دُونَ أَخَذِ بَرَأْيِ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ خُورَ الثَّوْرِ وَلَمْ يَكُنْ رَأَى ثَوْرًا قَطُّ وَلَا سَمِعَ خُورَهُ ، خَامَرَهُ مِنْهُ هَيْبَةٌ وَخَشْيَةٌ وَكَرَهُ أَنْ يُشْعِرَ بِذَلِكَ جُنْدَهُ . فَكَانَ مُقِيمًا مَكَانَهُ لَا يَبْرَحُ وَلَا يَنْشَطُ بَلْ يُؤْتَى بِرِزْقِهِ كُلِّ يَوْمٍ عَلَى يَدِ جُنْدِهِ . وَكَانَ فِيْمَنْ مَعَهُ مِنَ السِّبَاعِ ابْنًا أَوْى يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا كَلِيلَةٌ وَلِلْآخَرِ دِمْنَةٌ ، وَكَانَا ذَوِي دَهَاءٍ وَعِلْمٍ وَأَدَبٍ .

فَقَالَ دِمْنَةُ يَوْمًا لِأَخِيهِ كَلِيلَةَ : يَا أَخِي ، مَا شَأْنُ الْأَسَدِ مُقِيمًا مَكَانَهُ لَا يَبْرَحُ وَلَا يَنْشَطُ خِلَافًا لِعَادَتِهِ . قَالَ لَهُ كَلِيلَةُ : مَا شَأْنُكَ أَنْتَ وَالْمَسْأَلَةَ عَنْ هَذَا ؟ نَحْنُ عَلَى بَابِ مَلِكِنَا آخِذِينَ بِمَا أَحَبَّ وَتَارِكِينَ مَا يَكْرَهُ ، وَلَسْنَا مِنْ أَهْلِ الْمُرْتَبَةِ الَّتِي يَتَنَاوَلُ أَهْلُهَا كَلَامَ

الْمُلُوكِ وَالنَّظَرَ فِي أُمُورِهِمْ . فَأَمْسَكَ عَنْ هَذَا وَعَلِمَ أَنَّهُ مَنْ تَكَلَّفَ  
مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ الْقِرْدَ مِنَ  
النَّجَارِ .

\*\*\*\*\*

### القرد والنجار:

قَالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا رَأَى  
نَجَّارًا يَشُقُّ خَشَبَةً وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَيْهَا ، وَكَلَّمَ شَقَّ مِنْهَا ذِرَاعًا أَدْخَلَ  
فِيهَا وَتَدًّا . فَوَقَّفَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَقَدْ أَعْجَبَهُ ذَلِكَ . ثُمَّ إِنَّ النَّجَّارَ  
ذَهَبَ لِبَعْضِ شَأْنِهِ فَقَامَ الْقِرْدُ وَتَكَلَّفَ مَا لَيْسَ مِنْ شُغْلِهِ فَرَكِبَ  
الْخَشَبَةَ وَجَعَلَ ظَهْرَهُ قِبَلَ الْوَتْدِ وَوَجْهَهُ قِبَلَ الْخَشَبَةِ فَتَدَلَّى ذَنْبُهُ  
فِي الشَّقِّ وَنَزَعَ الْوَتْدَ فَلَزِمَ الشَّقُّ عَلَيْهِ فَخَرَّ مَغْشِيًا عَلَيْهِ . ثُمَّ إِنَّ  
النَّجَّارَ وَافَاهُ فَأَصَابَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَضْرِبُهُ فَكَانَ  
مَا لَقِيَ مِنَ النَّجَّارِ أَشَدَّ مِمَّا أَصَابَهُ .

قَالَ دِمْنَةُ : قَدْ سَمِعْتُ مَا ذَكَرْتَ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ يَدْنُو مِنَ  
الْمُلُوكِ يَقْدِرُ عَلَى صُحْبَتِهِمْ وَيَفُوزُ بِقُرْبِهِمْ . وَلَكِنْ اَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ مَنْ  
يَدْنُو مِنْهُمْ لَيْسَ يَدْنُو مِنْهُمْ لِبَطْنِهِ ، فَإِنَّ الْبَطْنَ يُحْشَى بِكُلِّ شَيْءٍ  
وَإِنَّمَا يَدْنُو مِنْهُمْ لِيَسُرَّ الصَّدِيقَ وَيَكْتِبَ الْعَدُوَّ . وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ



لا مُرْوَعَةٌ لَهُ وَهُمْ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِالْقَلِيلِ وَيَرْضَوْنَ بِالذُّونِ ، كَالْكَلْبِ  
الَّذِي يُصِيبُ عَظْمًا يَابِسًا فَيَفْرَحُ بِهِ . وَأَمَّا أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْمُرْوَعَةِ فَلَا  
يُقْنِعُهُمُ الْقَلِيلُ وَلَا يَرْضَوْنَ بِهِ دُونَ أَنْ تَسْمُوَ بِهِمْ نَفْسُهُمْ إِلَى مَا هُمْ  
أَهْلٌ لَهُ وَهُوَ أَيْضًا لَهُمْ أَهْلٌ ، كَالْأَسَدِ الَّذِي يَفْتَرِسُ الْأَرْنبَ ، فَإِذَا  
رَأَى الْبَعِيرَ تَرَكَهَا وَطَلَبَ الْبَعِيرَ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْكَلْبَ يُصِيبُ بِذَنْبِهِ  
حَتَّى تَرْمِيَهُ لَهُ الْكِسْرَةَ مِنَ الْخُبْزِ فَيَفْرَحُ بِهَا وَتُقْنِعُهُ مِنْكَ ، وَأَنَّ  
الْفِيلَ الْمُعْتَرِفَ بِفَضْلِهِ وَقُوَّتِهِ إِذَا قُدِمَ إِلَيْهِ عَافُهُ لَا يَعْتَلِفُهُ حَتَّى  
يُمَسِّحَ وَجْهَهُ وَيَتَمَلَّقَ لَهُ . فَمَنْ عَاشَ ذَا مَالٍ وَكَانَ ذَا فَضْلٍ وَإِفْضَالٍ  
عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَإِخْوَانِهِ ، غَيْرَ خَامِلٍ الْمُنْزَلَةَ فَهُوَ وَإِنْ قَلَّ عُمُرُهُ  
طَوِيلُ الْعُمُرِ . وَمَنْ كَانَ فِي عَيْشِهِ ضَيْقٌ وَقَلَّةٌ وَإِمْسَاكٌ عَلَى نَفْسِهِ  
وَذَوِيهِ ، وَكَانَ خَامِلَ الْمُنْزَلَةِ فَالْمُقْبُورُ أَحْيَا مِنْهُ . وَمَنْ عَمِلَ لِبَطْنِهِ  
وَشَهَوَاتِهِ وَقَنَعَ وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ عُدَّ مِنَ الْبَهَائِمِ .

قَالَ كَلِيلَةُ : قَدْ فَهَمْتُ مَا قُلْتَ فَرَاغَ عَقْلِكَ وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ  
إِنْسَانٍ مَنْزَلَةً وَقَدْرًا ، فَإِنْ كَانَ فِي مَنْزِلَتِهِ الَّتِي هُوَ فِيهَا مُتَمَاسِكًا  
كَانَ حَقِيقًا أَنْ يَنْفَعَهُ . وَلَيْسَ لَنَا مِنَ الْمُنْزَلَةِ مَا يَحُطُّ حَالِنَا الَّتِي نَحْنُ  
عَلَيْهَا . قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّ الْمَنَازِلَ مُتَنَازِعَةٌ مُشْتَرَكَةٌ عَلَى قَدْرِ الْمُرْوَعَةِ .  
فَالْمَرْءُ تَرَفَعَهُ مُرْوَعَتُهُ مِنَ الْمُنْزَلَةِ الْوَضِيعَةِ إِلَى الْمُنْزَلَةِ الرَّفِيعَةِ ، وَمَنْ  
لَا مُرْوَعَةَ لَهُ يَحُطُّ نَفْسَهُ مِنَ الْمُنْزَلَةِ الرَّفِيعَةِ إِلَى الْمُنْزَلَةِ الْوَضِيعَةِ .

وَإِنَّ الْإِرْتِفَاعَ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الشَّرِيفَةِ شَدِيدٌ وَالْإِنْحِطَاطَ مِنْهَا هَيِّنٌ  
كَالْحَجَرَ الثَّقِيلَ رَفَعَهُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْعَاتِقِ عَسِيرٌ وَوَضَعَهُ إِلَى  
الْأَرْضِ هَيِّنٌ. فَحَنُّ أَحَقُّ أَنْ نَرُومَ مَا فَوْقَنَا مِنَ الْمَنَازِلِ، وَأَنْ نَلْتَمِسَ  
ذَلِكَ بِمُرُوءَتِنَا. ثُمَّ كَيْفَ نَقْنَعُ بِمَنْزِلَتِنَا وَنَحْنُ نَسْتَطِيعُ التَّحَوُّلَ عَنْهَا؟

قَالَ كَلِيلَةُ : فَمَا الَّذِي اجْتَمَعَ عَلَيْهِ رَأْيُكَ؟

قَالَ دِمْنَةُ: أُرِيدُ أَنْ أَتَعَرَّضَ لِلْأَسَدِ عِنْدَ هَذِهِ الْفُرْصَةِ لِأَنَّهُ قَدْ  
ظَهَرَ لِي أَنَّهُ ضَعِيفُ الرَّأْيِ، قَدْ التَّبَسَّ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَعَلَى جُنْدِهِ أَيْضًا.  
وَلَعَلِّي عَلَى هَذِهِ الْحَالِ أَدْنُو مِنْهُ فَأُصِيبَ عِنْدَهُ مَنَزَلَةً وَجَاهًا .

قَالَ كَلِيلَةُ : وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ الْأَسَدَ قَدْ التَّبَسَّ عَلَيْهِ أَمْرُهُ؟

قَالَ دِمْنَةُ: بِالْحَسِّ وَالرَّأْيِ أَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ ذَا  
الرَّأْيِ يَعْرِفُ حَالَ صَاحِبِهِ وَبَاطِنَ أَمْرِهِ بِمَا يَظْهَرُ لَهُ مِنْ دَلِّهِ وَشَكْلِهِ.

قَالَ كَلِيلَةُ: فَكَيْفَ تَرْجُو الْمَنْزِلَةَ عِنْدَ الْأَسَدِ وَلَسْتَ بِصَاحِبِ  
السُّلْطَانِ، وَلَا لَكَ عِلْمٌ بِخِدْمَةِ السُّلْطَانِينَ وَأَدَابِهِمْ وَأَدَابِ مَجَالِسِهِمْ؟

قَالَ دِمْنَةُ: الرَّجُلُ الشَّدِيدُ الْقَوِيُّ لَا يُعْجِزُهُ الْحَمْلُ الثَّقِيلُ وَإِنْ  
لَمْ تَكُنْ عَادَتُهُ الْحَمْلَ، وَالرَّجُلُ الضَّعِيفُ لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ  
مِنْ صِنَاعَتِهِ.

قَالَ كَلِيلَةٌ : فَإِنَّ السُّلْطَانَ لَا يَتَوَخَّى بِكَرَامَتِهِ فُضْلَاءَ مَنْ  
بِحَضْرَتِهِ، وَلَكِنَّهُ يُؤَثِّرُ مَنْ دَنَا مِنْهُ .

قَالَ دِمْنَةٌ : يُقَالُ إِنَّ مَثَلَ السُّلْطَانِ فِي إِثَارِهِ الْأَفْضَلَ دُونَ  
الْأَدْنَى مَثَلُ شَجَرِ الْكَرَمِ الَّذِي لَا يِعْلَقُ إِلَّا بِالْكَرَمِ الشَّجَرِ .

قَالَ كَلِيلَةٌ : وَكَيْفَ تَرْجُو الْمُنْزِلَةَ عِنْدَ الْأَسَدِ وَلَمْ تَكُنْ دَنَوْتَ مِنْهُ  
مِنْ قَبْلُ؟

قَالَ دِمْنَةٌ : قَدْ فَهَمْتُ كَلَامَكَ جَمِيعَهُ وَتَدَبَّرْتُ مَا قُلْتَ وَأَنْتَ  
صَادِقٌ . لَكِنْ أَعْلَمُ أَنَّ الَّذِينَ هُمْ أَقْرَبُ إِلَى السُّلْطَانِ مِمَّا قَدْ كَانُوا  
وَلَيْسَتْ تِلْكَ مَنَازِلُهُمْ، ثُمَّ دَنَوْا مِنْهُ بَعْدَ الْبُعْدِ فَبَلَّغُوا، وَأَنَا مُلْتَمِسٌ  
بُلُوغَ مَكَانَتِهِمْ بِجُهْدِي . وَقَدْ قِيلَ : لَا يُوَاطِبُ عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ إِلَّا  
مَنْ يَطْرَحُ الْأَنْفَةَ وَيَحْتَمِلُ الْأَذَى وَيَكْظِمُ الْغَيْظَ وَيَرْفُقُ بِالنَّاسِ وَيَكْتُمُ  
السِّرَّ .

قَالَ كَلِيلَةٌ : هَبْكَ وَصَلْتَ إِلَى الْأَسَدِ؛ فَمَا تَوْفِيقُكَ عِنْدَهُ الَّذِي  
تَرْجُو أَنْ تَنَالَ بِهِ الْمُنْزِلَةَ عِنْدَهُ وَالْحُظُوءَةَ لَدَيْهِ؟

قَالَ دِمْنَةٌ : لَوْ دَنَوْتُ مِنْهُ ثُمَّ عَرَفْتُ أَخْلَاقَهُ لَانْحَطَطْتُ إِلَى  
هَوَاهُ لِمُتَابَعَتِهِ وَقِلَّةِ الْخِلَافِ لَهُ . وَإِذَا أَرَادَ أَمْرًا هُوَ فِي نَفْسِي صَوَابٌ  
زَيْتُهُ لَهُ وَعَرَفْتُهُ بِمَا فِيهِ مِنَ النَّفْعِ وَالْخَيْرِ ، وَشَجَعْتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى

الْوُصُولِ إِلَيْهِ حَتَّى يَزْدَادَ بِهِ سُرُورًا . وَإِذَا أَرَادَ أَمْرًا يُخَافُ عَلَيْهِ  
ضُرَّهُ وَشَيْنُهُ بَصَّرْتُهُ بِمَا فِيهِ مِنَ الضَّرَرِ وَالشَّيْنِ، وَأَطَّلَعْتُهُ عَلَى مَا  
فِي تَرْكِهِ مِنَ النِّفَعِ وَالزَّيْنِ بِحَسَبِ مَا أَجِدُ إِلَيْهِ السَّبِيلَ . وَأَنَا أَرْجُو  
أَنْ أَزْدَادَ بِذَلِكَ عِنْدَ الْأَسَدِ مَكَانَةً وَيَرَى مِنِّي مَا لَا يَرَاهُ مِنْ غَيْرِي؛  
فَإِنَّ الرَّجُلَ الْأَدِيبَ الرَّفِيقَ لَوْ شَاءَ أَنْ يُبْطِلَ حَقًّا أَوْ يُحِقَّ بَاطِلًا  
لَفَعَلَ، كَمَا صَوَّرَ الْمَاهِرُ الَّذِي يُصَوِّرُ فِي الْحَيْطَانِ صُورًا كَأَنَّهَا خَارِجَةٌ  
وَلَيْسَتْ بِخَارِجَةٍ، وَأُخْرَى كَأَنَّهَا دَاخِلَةٌ وَلَيْسَتْ بِدَاخِلَةٍ . فَإِذَا هُوَ  
عَرَفَ مَا عِنْدِي وَبَانَ لَهُ حُسْنُ رَأْيِي وَجَوْدَةُ فِكْرِي التَّمَسَّ إِكْرَامِي  
وَقَرَّبَنِي إِلَيْهِ .

قَالَ كَلِيلَةٌ : أَمَّا إِنْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ مِنَ السُّلْطَانِ،  
فَإِنَّ صُحْبَتَهُ خَطِرَةٌ . وَأُحْذِرُكَ مِنَ الَّذِي أَرَدْتَهُ كَعِظَمِ خَطَرِهِ عِنْدَكَ  
وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : إِنْ ثَلَاثَةٌ لَا يَجْتَرِيءُ عَلَيْهِنَّ إِلَّا أَهْوَجُ وَلَا يَسْلَمُ  
مِنْهُنَّ إِلَّا قَلِيلٌ، وَهِيَ صُحْبَةُ السُّلْطَانِ وَاتِّمَانُ النِّسَاءِ عَلَى الْأَسْرَارِ،  
وَشَرْبُ السُّمِّ لِلتَّجْرِبَةِ . وَإِنَّمَا شَبَّهَ الْعُلَمَاءُ السُّلْطَانَ بِالْجَبَلِ الصَّعْبِ  
الْمُرْتَقَى الَّذِي فِيهِ الثَّمَارُ الطَّيِّبَةُ وَالْأَنْهَارُ الْجَارِيَةُ وَالْجَوَاهِرُ  
النَّفِيسَةُ وَالْأَدْوِيَةُ النَّافِعَةُ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَعْدِنُ السَّبَاعِ وَالنُّمُورِ  
وَالذَّنَابِ وَكُلِّ ضَارٍ مَخُوفٍ . فَالْإِرْتِقَاءُ إِلَيْهِ شَدِيدٌ وَالْمُقَامُ فِيهِ أَشَدُّ .

قَالَ دِمْنَةٌ : صَدَقْتَ فِيمَا ذَكَرْتَ ؛ غَيْرَ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَرْكَبْ

الأهوال لم ينل الرغائب. ومن ترك الأمر الذي لعله يبلغ فيه حاجته هيبة ومخافة لما لعله يتوقاه فليس ببالغ جسيماً. وقد قيل: إن خصالاً ثلاثاً لن يستطيعها أحد إلا بمعونة من علو همّة وعظيم خطر منها: صحبة السلطان، وتجارة البحر، ومناجزة العدو. وقد قالت العلماء في الرجل الفاضل الرشيد إنه لا ينبغي أن يرى إلا في مكانين ولا يليق به غيرهما: إما مع الملوك مكرماً أو مع النساء متعبداً، كالفيل إنما جماله وبهاؤه في مكانين: إما أن تراه في البرية وحشياً أو مركباً للملوك.

قال كليله: وفقك الله فيما عزمته عليه .

ثم إن دمنة انطلق حتى دخل على الأسد فعصر وجهه بين يديه وسلم عليه . فقال الأسد لبعض جلسائه: من هذا؟ فقال: هذا دمنة ابن سلط. قال: قد كنت أعرف أباه . ثم سأله أين تكون. قال: لم أزل مرابطاً بباب الملك داعياً له بالنصر ودوام البقاء رجاء أن يحضر أمر فاعين الملك فيه بنفسه ورأيه . فإن أبواب الملوك تكثر فيها الأمور التي ربما يحتاج فيها إلى الذين لا يؤبه لهم. وليس أحد يصغر أمره إلا وقد يكون عنده بعض الغنائم والمنافع على قدره ، حتى العود الملقى في الأرض ربما نفع فيأخذه الرجل فيحك به أذنه .

فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ قَوْلَ دِمْنَةَ أَعْجَبَهُ وَطَمَعَ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ  
نَصِيحَةً وَرَأْيً. فَأَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَ فَقَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ ذَا النَّبْلِ  
وَالْمُرُوءَةِ يَكُونُ خَامِلَ الذِّكْرِ ، مُنْخَفِضَ الْمُنْزَلَةِ ، فَتَأْتِي مَنْزِلَتَهُ إِلَّا أَنْ  
تَشُبَّ وَتَرْتَفِعَ ، كَالشُّعْلَةِ مِنَ النَّارِ يُضْرِمُهَا وَتَأْتِي إِلَّا ارْتِفَاعًا .

فَلَمَّا عَرَفَ دِمْنَةَ أَنَّ الْأَسَدَ قَدْ عَجِبَ مِنْهُ وَحَسُنَ عِنْدَهُ  
كَلَامُهُ ، قَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ رَعِيَّةَ الْمَلِكِ تَحْضُرُ بَابَهُ رَجَاءً أَنْ يَعْرِفَ  
مَا عِنْدَهَا مِنْ عِلْمٍ وَافِرٍ ، كَالزَّرْعِ الْمُدْفُونِ الَّذِي لَا يُعْرِفُ فَضْلَهُ  
حَتَّى يَخْرُجَ وَيُظْهَرَ عَلَى قَدْرِ رَأْيِهِ وَعَلَى قَدْرِ مَا يَجِدُ عِنْدَهُ مِنَ  
الْمَنْفَعَةِ .

وَقَدْ يُقَالُ : إِنَّ الْفُضْلَ فِي أَمْرَيْنِ ، فَضْلُ الْمُقَاتِلِ عَلَى الْمُقَاتِلِ  
وَالْعَالِمِ عَلَى الْعَالِمِ . وَإِنَّ كَثْرَةَ الْأَعْوَانِ إِذَا لَمْ يَكُونُوا مُخْتَبِرِينَ رَبِّمَا  
تَكُونُ مَضَرَّةً عَلَى الْعَمَلِ . فَإِنَّ الْعَمَلَ لَيْسَ رَجَاؤُهُ بِكَثْرَةِ الْأَعْوَانِ  
وَلَكِنْ بِصَالِحِي الْأَعْوَانِ . وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَحْمِلُ الْحَجَرَ  
الثَّقِيلَ فَيُثْقَلُ بِهِ نَفْسُهُ وَلَا يَجِدُ لَهُ ثَمَنًا . وَحَامِلُ الْيَاقُوتِ ، وَإِنْ قَلَّ  
يَقْدِرُ عَلَى بَيْعِهِ بِالْكَثِيرِ مِنَ الْمَالِ . وَالْعَمَلُ الَّذِي يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى  
الْحَيْلِ وَالخِدَاعِ لَا يَقْتَحِمُهُ إِلَّا أَفْهَمُ الرِّجَالِ وَأَذْكَاهُمْ . وَالرَّجُلُ الَّذِي  
يَحْتَاجُ إِلَى الْجُدُوعِ لَا يُجْزئُهُ الْقَصَبُ ، وَإِنْ كَثُرَ فَأَنْتَ الْآنَ أَيُّهَا  
الْمَلِكُ ، حَقِيقٌ أَنْ لَا تَحْقِرَ مُرُوءَةً أَنْتَ تَجِدُهَا عِنْدَ رَجُلٍ صَغِيرِ الْمُنْزَلَةِ

، فَإِنَّ الصَّغِيرَ رَبَّمَا عَظُمَ كَالْعَصَبِ الَّذِي يُؤْخَذُ مِنَ المَيْتَةِ، فَإِذَا عَمَلَتْ مِنْهُ القَوْسُ أَكْرَمَ فَتَقْبِضُ عَلَيْهِ المُلُوكُ وَتَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي البَأْسِ وَاللَّهُو .

وَأَحَبَّ دِمْنَةً أَنْ يُرَى القَوْمَ أَنَّ مَا نَالَهُ مِنْ كَرَامَةِ المَلِكِ إِنَّمَا هُوَ لِرَأْيِهِ وَمُرُوءَتِهِ وَعَقْلِهِ لِأَنَّهمْ عَرَفُوا قَبْلَ ذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَعْرِفَتِهِ أَبَاهُ . فَقالَ : إِنَّ السُّلْطَانَ لَا يُقَرِّبُ الرَّجَالَ لِقُرْبِ آبَائِهِمْ وَلَا يُبْعِدُهُمْ لِبُعْدِهِمْ، وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَنْظُرَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ بِمَا عِنْدَهُ لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَقْرَبُ إِلَى الرَّجُلِ مِنْ جَسَدِهِ . وَمِنْ جَسَدِهِ مَا يَدْوَى حَتَّى يُؤْذِيَهُ وَلَا يُدْفَعُ ذَلِكَ عَنْهُ إِلَّا بِالدَّوَاءِ الَّذِي يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِ .

فَلَمَّا فَرَّغَ دِمْنَةً مِنْ مَقَالَاتِهِ هَذِهِ أُعْجِبَ الأَسَدُ بِهِ إِعْجَابًا شَدِيدًا وَأَحْسَنَ الرَّدَّ عَلَيْهِ وَزَادَ فِي كَرَامَتِهِ . ثُمَّ قالَ المَلِكُ لِجَلَسَائِهِ : يَنْبَغِي لِلسُّلْطَانَ أَلَّا يُلِحَّ فِي تَضْيِيعِ حَقِّ ذَوِي الحُقُوقِ، فَإِنَّ عاقِبَةَ ذَلِكَ رَدِيئَةٌ حَتَّى مِمَّنْ لَا يُتَوَقَّعُ أَذَاهُ . وَالنَّاسُ فِي ذَلِكَ رَجُلَانِ : رَجُلٌ طَبَعُهُ الشَّرَاسَةُ فَهُوَ كَالْحَيَّةِ إِنْ وَطَّئَهَا الوَاطِيءُ فَلَمْ تَلْدَغْهُ لَمْ يَكُنْ جَدِيرًا أَنْ يَغْرَهُ ذَلِكَ مِنْهَا فَيَعُودَ إِلَى وَطَّئِهَا ثَانِيَةً فَتَلْدَغْهُ، وَرَجُلٌ أَصْلُ طَبَاعِهِ السُّهُولَةُ، فَهُوَ كَالصَّنَدَلِ البَارِدِ الَّذِي إِذَا أُفْرِطَ فِي حَكِّهِ صَارَ حَارًا مُؤْذِيًا .

ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ اسْتَأْنَسَ بِالأَسَدِ وَخَلَا بِهِ، فَقالَ لَهُ يَوْمًا : رَأَيْتُ

الْمَلِكُ قَدْ أَقَامَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ لَا يَبْرَحُ مِنْهُ ، خِلَافًا لِمَا لُوفِهِ ، وَهُوَ ،  
أَعْظَمُهُ اللَّهُ ، مَنِيعُ الْجَانِبِ نَافِذُ الْأَمْرِ ، آمِنُ السَّاحَةِ . فَرَأَيْتُ أَنْ  
أَتَطَاوَلَ عَلَيْهِ بِالِاسْتَفْهَامِ عَلَى وَجْهِ النَّصِيحَةِ فَإِنَّ الْأُمُورَ الْخَفِيَّةَ لَا  
يُظْهِرُهَا إِلَّا الْبَحْثُ عَنْهَا ، فَإِذَا أُظْهِرَتْ أُجِيلَتْ الْفِكْرَةُ فِيهَا . فَبَيْنَمَا  
هُمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِذْ خَارَ شَتْرِبَةُ خُورًا شَدِيدًا ، فَهَيَّجَ الْأَسَدَ  
وَكْرَهُ أَنْ يُخْبَرَ دِمْنَةً بِمَا نَالَهُ . وَعَلِمَ دِمْنَةٌ أَنَّ ذَلِكَ الصَّوْتَ قَدْ أَدْخَلَ  
عَلَى الْأَسَدِ رِيبةً وَهَيْبَةً . فَسَأَلَهُ : هَلْ رَأَى الْمَلِكُ سَمَاعُ هَذَا الصَّوْتِ ؟

قَالَ : لَمْ يَرَبْنِي شَيْءٌ سِوَى ذَلِكَ ، وَهُوَ الَّذِي حَبَسَنِي هَذِهِ  
الْمُدَّةَ فِي مَكَانِي ، وَقَدْ صَحَّ عِنْدِي مِنْ طَرِيقِ الْقِيَّاسِ أَنَّ جُثَّةَ  
صَاحِبِ هَذَا الصَّوْتِ الْمُنْكَرِ الَّذِي لَمْ أَسْمَعُهُ قَطُّ عَظِيمَةٌ لِأَنَّ صَوْتَهُ  
تَابِعٌ لِبَدَنِهِ . فَإِنْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَيْسَ لَنَا مَعَهُ قَرَارٌ وَلَا مُقَامٌ .

قَالَ دِمْنَةٌ : لَيْسَ الْمَلِكُ بِحَقِيقٍ أَنْ يَدَعَ مَكَانَهُ لِأَجْلِ صَوْتٍ فَقَدْ  
قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : لَيْسَ مِنْ كُلِّ الْأَصْوَاتِ تَجِبُ الْهَيْبَةُ ، قَالَ الْأَسَدُ :  
وَمَا مَثَلُ ذَلِكَ ؟

\*\*\*\*\*

### الثعلب والطبل:

قَالَ دِمْنَةٌ : زَعَمُوا أَنَّ ثَعْلَبًا أَتَى أَجْمَةً فِيهَا طَبْلٌ مُعَلَّقٌ عَلَى



شَجْرَةٍ، وَكَلِمًا هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى قُضْبَانِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ حَرَكَتَهَا فَضَرَبَتْ الطَّبْلَ فَسَمِعَ لَهُ صَوْتٌ عَظِيمٌ بَاهِرٌ . فَتَوَجَّهَ الثَّعْلَبُ نَحْوَهُ لِأَجْلِ مَا سَمِعَ مِنْ عَظِيمِ صَوْتِهِ . فَلَمَّا أَتَاهُ وَجَدَهُ ضَخْمًا ، فَأَيَّقَنَ فِي نَفْسِهِ بِكَثْرَةِ الشَّحْمِ وَاللَّحْمِ ، فَعَالَجَهُ حَتَّى شَقَّهُ . فَلَمَّا رَأَهُ أَجْوَفَ لَا شَيْءَ فِيهِ قَالَ : لَا أَدْرِي لَعَلَّ أَفْشَلَ الْأَشْيَاءِ أَجْهَرُهَا صَوْتًا وَأَعْظَمُهَا جُنَّةً .

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الصَّوْتِ الَّذِي رَاعَنَا لَوْ وَصَلْنَا إِلَيْهِ ، لَوَجَدْنَاهُ أَيْسَرَ مِمَّا فِي أَنْفُسِنَا . فَإِنْ شَاءَ الْمَلِكُ بَعَثَنِي، وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ حَتَّى آتِيَهُ بَبَيَانِ هَذَا الصَّوْتِ . فَوَافَقَ الْأَسَدُ قَوْلَهُ، فَأَذِنَ لَهُ فِي الذَّهَابِ نَحْوَ الصَّوْتِ .

فَانْطَلَقَ دِمْنَةً إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ شَتْرَبَةٌ . فَلَمَّا وَصَلَ دِمْنَةً مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ فَكَّرَ الْأَسَدُ فِي أَمْرِهِ وَنَدِمَ عَلَى إِرْسَالِ دِمْنَةٍ حَيْثُ أَرْسَلَهُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا أَصَبْتُ فِي اتِّمَانِ دِمْنَةٍ وَإِطْلَاعِهِ عَلَى سِرِّي وَقَدْ كَانَ بَبَابِي مَطْرُوحًا . فَإِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يَحْضُرُ بَابَ الْمَلِكِ، إِذَا كَانَ قَدْ أُطِيلَتْ جَفْوَتُهُ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ كَانَ مِنْهُ، أَوْ كَانَ مَبْغِيًا عَلَيْهِ عِنْدَ سُلْطَانِهِ ، أَوْ كَانَ عِنْدَهُ مَعْرُوفًا بِالشَّرِّ وَالْحَرِصِ، أَوْ كَانَ قَدْ أَصَابَهُ ضُرٌّ وَضِيقٌ فَلَمْ يُنْعِشْهُ، أَوْ كَانَ قَدْ اجْتَرَمَ جُرْمًا فَهُوَ يَخَافُ الْعُقُوبَةَ مِنْهُ ، أَوْ كَانَ يَرْجُو شَيْئًا يَضُرُّ الْمَلِكَ وَلَهُ مِنْهُ نَفْعٌ، أَوْ

يَخَافُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَنْفَعُهُ ضَرًّا أَوْ كَانَ لِعَدُوِّ الْمَلِكِ سَلْمًا وَلِسَلْمِهِ  
حَرْبًا أَوْ كَانَ قَدْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا فِي يَدَيْهِ مِنَ السُّلْطَانِ أَوْ بَاعَدَهُ  
أَوْ طَرَدَهُ ، فَلَيْسَ السُّلْطَانُ بِحَقِيقٍ أَنْ يَجْعَلَ فِي الْإِسْتِرْسَالِ إِلَى  
هَؤُلَاءِ وَالثَّقَةِ بِهِمْ وَالِاتِّمَانِ لَهُمْ وَإِنَّ دِمْنَةَ دَاهِيَةَ أَرِيْبٍ وَقَدْ كَانَ  
بِبَابِي مَطْرُوحًا مَجْفُوفًا وَلَعَلَّهُ قَدْ احْتَمَلَ عَلَيَّ بِذَلِكَ ضِعْنًا وَلَعَلَّ ذَلِكَ  
يَحْمِلُهُ عَلَى خِيَانَتِي وَإِعَانَةِ عَدُوِّي وَنَقِيصَتِي عِنْدَهُ . وَلَعَلَّهُ يُصَادِفُ  
صَاحِبَ الصَّوْتِ أَقْوَى سُلْطَانًا مِنِّي فَيَرْغَبُ بِهِ عَنِّي وَيَمِيلَ مَعَهُ  
عَلَيَّ . وَلَقَدْ كَانَ الْوَاجِبُ أَنْ أَهْجُمَ عَلَى صَاحِبِ هَذَا الصَّوْتِ بِنَفْسِي .

وَلَمْ يَزَلِ الْأَسَدُ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِأَمْثَالِ ذَلِكَ حَتَّى جَعَلَ يَمْشِي  
وَيَنْظُرُ إِلَى الطَّرِيقِ الَّتِي سَارَ فِيهَا دِمْنَةً . فَلَمْ يَمْشِ غَيْرَ قَلِيلٍ حَتَّى  
بَصُرَ بِدِمْنَةٍ مُقْبِلًا نَحْوَهُ فَطَابَتْ نَفْسُهُ بِذَلِكَ وَرَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ .

وَدَخَلَ دِمْنَةً عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : مَاذَا صَنَعْتَ ، وَمَاذَا

رَأَيْتَ ؟

قَالَ : رَأَيْتُ ثَوْرًا ، وَهُوَ صَاحِبُ الْخُورِ وَالصَّوْتِ الَّذِي سَمِعْتَهُ .

قَالَ : فَمَا قُوَّتُهُ ؟

قَالَ : لَا شَوْكَةَ لَهُ ، وَقَدْ دَنَوْتُ مِنْهُ وَحَاوَرْتُهُ مَحَاوَرَةَ الْأَكْفَاءِ

فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِي شَيْئًا .

قَالَ الْأَسَدُ : لَا يَغُرَّتْكَ ذَلِكَ مِنْهُ وَلَا يَصْغُرَنَّ عِنْدَكَ أَمْرُهُ فَإِنَّ  
الرَّيْحَ الشَّدِيدَةَ لَا تَعْبَأُ بِضَعِيفِ الْحَشِيشِ لَكِنَّهَا تَحْطُمُ طِوَالَ النَّخْلِ  
وَعَظِيمِ الشَّجَرِ .

قَالَ دِمْنَةُ : لَا تَهَابَنَّ أَبْهَآ الْمَلِكُ مِنْهُ شَيْئًا وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ  
أَمْرُهُ ، فَإِنَّا عَلَى ضِعْفِي آتِيكَ بِهِ ، فَيَكُونُ لَكَ عَبْدًا سَامِعًا مُطِيعًا .

قَالَ الْأَسَدُ : دُونَكَ مَا بَدَأَ لَكَ ، وَقَدْ تَعَلَّقَ أَمَلُهُ بِهِ .

فَانْطَلَقَ دِمْنَةُ إِلَى الثَّوْرِ فَقَالَ لَهُ غَيْرَ هَائِبٍ وَلَا مُكْتَرِثٍ : إِنَّ  
الْأَسَدَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِآتِيَهُ بِكَ ، وَأَمَرَنِي إِنْ أَنْتَ عَجَلْتَ إِلَيْهِ أَنْ  
أَوْمِنَكَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِكَ فِي التَّأَخُّرِ عَنْهُ وَتَرْكِكَ لِقَاءَهُ ، وَإِنْ  
أَنْتَ تَأَخَّرْتَ وَأَحْجَمْتَ أَنْ أُعْجَلَ الرَّجْعَةَ إِلَيْهِ فَأَخْبِرُهُ .

قَالَ لَهُ شَتْرَبَةُ : وَمَنْ هَذَا الْأَسَدُ الَّذِي أَرْسَلَكَ إِلَيَّ ؟ وَآيْنَ  
هُوَ؟ وَمَا حَالُهُ ؟

قَالَ دِمْنَةُ : هُوَ مَلِكُ السَّبَّاعِ ، وَهَذِهِ الْأَرْضُ الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا  
لَهُ ، وَهُوَ بِمَكَانٍ كَذَا وَمَعَهُ جُنْدٌ كَثِيرٌ مِنْ جِنْسِهِ . فَرُعِبَ شَتْرَبَةُ مِنْ  
ذِكْرِ الْأَسَدِ وَالسَّبَّاعِ وَقَالَ : إِنْ أَنْتَ جَعَلْتَ لِي الْأَمَانَ عَلَى نَفْسِي  
أَقْبَلْتُ مَعَكَ إِلَيْهِ . فَأَعْطَاهُ دِمْنَةُ مِنَ الْأَمَانِ مَا وَثِقَ بِهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ  
وَالثَّوْرُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ . فَأَحْسَنَ الْأَسَدُ إِلَى الثَّوْرِ

وَقَرَّبَهُ ، وَقَالَ لَهُ : مَتَى قَدِمْتَ هَذِهِ الْبِلَادَ وَمَا أَقْدَمَكَهَا ؟ فَقَصَّ  
شَتْرَبَةً عَلَيْهِ فَصَتَّهُ . فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : اصْحَبْنِي وَالزَّمَنِي فَإِنِّي  
مُكْرِمُكَ وَمُحْسِنٌ إِلَيْكَ . فَدَعَا لَهُ الثَّوْرُ وَأَثَى عَلَيْهِ وَأَنْصَرَفَ وَقَدْ  
أَعْجَبَ بِهِ الْأَسَدُ إِعْجَابًا شَدِيدًا لِمَا ظَهَرَ لَهُ مِنْ عَقْلِهِ وَأَدَبِهِ . ثُمَّ إِنَّهُ  
قَرَّبَهُ وَأَكْرَمَهُ وَأَنْسَبَ بِهِ وَاتَّمَنَّهُ عَلَى اسْرَارِهِ وَشَاوَرَهُ فِي أَمْرِهِ وَلَمْ  
تَزِدْهُ الْأَيَّامُ إِلَّا عُجْبًا بِهِ وَرَغْبَةً فِيهِ وَتَقَرُّبًا لَهُ حَتَّى صَارَ أَحْصَى  
أَصْحَابَهُ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً .

فَلَمَّا رَأَى دِمْنَةً أَنَّ الثَّوْرَ قَدْ اخْتَصَّ بِالْأَسَدِ دُونَهُ وَدُونَ  
أَصْحَابِهِ ، وَأَنَّهُ قَدْ صَارَ صَاحِبَ رَأْيِهِ وَخَلَوَاتِهِ وَلَهْوِهِ ، حَسَدَهُ حَسَدًا  
عَظِيمًا وَبَلَغَ مِنْهُ غَيْظُهُ كُلَّ مَبْلَغٍ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى أَخِيهِ كَلِيلَةَ وَقَالَ لَهُ  
: أَلَا تَعْجَبُ يَا أَخِي ، مِنْ عَجْزِ رَأْيِي وَصُنْعِي بِنَفْسِي وَنَظْرِي فِيمَا  
يَنْفَعُ الْأَسَدَ ، وَأَغْفَلْتُ نَفْعَ نَفْسِي حَتَّى جَلَبْتُ إِلَى الْأَسَدِ ثَوْرًا  
غَلَبَنِي عَلَى مَنْزِلَتِي ؟ قَالَ كَلِيلَةُ : قَدْ أَصَابَكَ مَا أَصَابَ النَّاسِكَ .  
قَالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

\*\*\*\*\*

### الناسك واللص:

قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا أَصَابَ مِنْ بَعْضِ الْمُلُوكِ كُسْوَةً  
فَآخِرَةً . فَبَصُرَ بِهِ سَارِقٌ فَطَمَعَ فِي الثِّيَابِ وَعَمَلَ عَلَى سَرِقَتِهَا .

فَأَتَى النَّاسِكَ وَقَالَ لَهُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَصْحَبَكَ فَاتَّعَلَّمْ مِنْكَ وَآخُذْ  
عَنكَ . فَأَذِنَ لَهُ النَّاسِكُ فِي صُحْبَتِهِ فَصَحِبَهُ مُتَشَبِّهًا بِهِ وَرَفَقَ لَهُ  
فِي خِدْمَتِهِ حَتَّى أَمِنَهُ النَّاسِكُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ . فَرَصَدَهُ حَتَّى إِذَا  
ظَفِرَ بِهِ وَأَمَكَّتَهُ الْفُرْصَةُ أَخَذَ تِلْكَ الثِّيَابَ فَذَهَبَ بِهَا .

فَلَمَّا فَقَدَ النَّاسِكُ ثِيَابَهُ عَلِمَ أَنَّ صَاحِبَهُ قَدْ أَخَذَهَا فَتَوَجَّهَ فِي  
طَلَبِهِ . فَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِوَعْلَيْنِ يَتَنَاطَحَانِ حَتَّى سَأَلَتْ دِمَاؤُهُمَا .  
فَجَاءَ ثَعْلَبٌ يَلُغُ فِي تِلْكَ الدِّمَاءِ وَيَتَحَكَّكُ بِهِمَا وَيُرَاحِمُهُمَا فَغَضِبَا  
مِنْهُ وَأَقْبَلَا عَلَيْهِ بِنِطَاحِهِمَا فَقَتَلَاهُ . فَعَجِبَ النَّاسِكُ مِنْ ذَلِكَ  
وَمَضَى حَتَّى دَخَلَ إِحْدَى الْمُدُنِ فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا قَرِيًّا إِلَّا بَيْتَ امْرَأَةٍ  
فَنَزَلَ بِهَا وَاسْتَضَافَهَا .

وَكَانَتْ لِلْمَرْأَةِ جَارِيَةٌ تُؤَاجِرُهَا . وَكَانَتِ الْجَارِيَةُ قَدْ عَلِقَتْ  
رَجُلًا تُرِيدُ أَنْ تَتَّخِذَهُ بَعْلًا لَهَا ، وَقَدْ أَضَرَّ ذَلِكَ بِمَوْلَاتِهَا وَلَمْ يَكُنْ  
لَهَا سَبِيلٌ إِلَى مُدَافَعَتِهِ ، فَاحْتَالَتْ لِقَتْلِهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي  
اسْتَضَافَهَا فِيهَا النَّاسِكُ . ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ وَافَى فَسَقَّتَهُ مِنَ الْخَمْرَةِ  
حَتَّى سَكَرَ وَنَامَ . فَلَمَّا اسْتَغْرَقَ فِي النَّوْمِ ، وَنَامَ مَنْ فِي الْبَيْتِ  
عَمَدَتْ لِسُمِّ كَانَتْ قَدْ أَعَدَّتْهُ فِي قَصَبَةٍ لَتَنْفُخَهُ فِي أَنْفِ الرَّجُلِ .  
فَلَمَّا أَرَادَتْ ذَلِكَ بَدَرَتْ مِنْ أَنْفِهِ عَطْسَةٌ فَعَكَسَتْ السُّمَّ إِلَى حَلْقِ  
الْمَرْأَةِ فَوَقَعَتْ مَيِّتَةً وَكُلُّ ذَلِكَ بَعَيْنِ النَّاسِكِ وَسَمْعِهِ .

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ لَمْ يُصَدِّقْ أَنْ طَلَعَ الصَّبَاحُ حَتَّى خَرَجَ يَبْتَغِي  
مَنْزَلاً غَيْرَهُ . فَاسْتَضَافَ رَجُلًا إِسْكَافًا فَأَتَى بِهِ امْرَأَتَهُ وَقَالَ لَهَا :  
أُنْظِرِي إِلَيَّ هَذَا النَّاسِكِ وَأَكْرِمِي مَثْوَاهُ وَقُومِي بِخِدْمَتِهِ ، فَقَدْ  
دَعَانِي بَعْضُ أَصْدِقَائِي لِلشُّرْبِ عِنْدَهُ . ثُمَّ انْطَلَقَ ذَاهِبًا ، وَكَانَ  
لِلْمَرْأَةِ ابْنَةٌ تُرِيدُ أَنْ تُزَوِّجَهَا لِرَجُلٍ لَمْ يَكُنْ زَوْجَهَا يُرِيدُهُ . فَكَانَ  
الرَّجُلُ يَخْتَلِفُ إِلَى الْبَيْتِ فِي غِيَابِ زَوْجِهَا ، وَالْوَسِيطُ بَيْنَهُمَا امْرَأَةٌ  
حَجَّامٌ . فَأَرْسَلَتْ امْرَأَةَ الْإِسْكَافِ إِلَى امْرَأَةِ الْحَجَّامِ تَأْمُرُهَا  
بِالْمَسِيرِ إِلَيْهَا وَتُعَرِّفُ الرَّجُلَ غِيَابَ زَوْجِهَا ، وَقَالَتْ : إِنَّ زَوْجِي قَدْ  
ذَهَبَ لِيَشْرَبَ عِنْدَ بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ وَإِنْ عَادَ لَا يَعُودُ إِلَّا سَكْرَانًا ،  
فَقُولِي لَهُ يُسْرِعِ الْكُرَّةَ .

ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ جَاءَ فَقَعَدَ عَلَى الْبَابِ يَنْتَظِرُ الْإِذْنَ ، وَوَافَقَ ذَلِكَ  
مَجِيءَ الْإِسْكَافِ سَكْرَانًا ، فَرَأَى الرَّجُلَ فِي الظُّلْمَةِ وَارْتَابَ بِهِ فَلَمْ  
يُكَلِّمَهُ ، وَدَخَلَ مُغْضِبًا إِلَى امْرَأَتِهِ فَأَوْجَعَهَا ضَرْبًا ، ثُمَّ أَوْثَقَهَا فِي  
أَسْطُوَانَةٍ فِي الْمَنْزِلِ وَذَهَبَ فَنَامَ لَا يَعْقِلُ . وَجَاءَتْ امْرَأَةُ الْحَجَّامِ  
تَعْلَمُهَا أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ أَطَالَ الْجُلُوسَ ، فَقَالَتْ لَهَا : انْظُرِي إِلَيَّ مَا  
أَنَا فِيهِ بِسَبَبِهِ ، فَإِنْ شِئْتَ وَأَحْسَنْتِ إِلَيَّ وَحَلَلْتِي وَرَبَطْتِكِ مَكَانِي  
حَتَّى أَنْطَلِقَ فَأَعْتَذِرَ إِلَيْهِ وَأَعْجَلَ الْعُودَةَ . فَأَجَابَتْهَا امْرَأَةُ الْحَجَّامِ  
إِلَى ذَلِكَ وَحَلَّتْهَا وَأَنْطَلَقَتْ إِلَى الرَّجُلِ وَأَوْثَقَتْ هِيَ نَفْسَهَا مَكَانَهَا .

فَاسْتَيْقَظَ الْإِسْكَافُ قَبْلَ أَنْ تَعُودَ زَوْجَتُهُ فَنَادَاهَا بِاسْمِهَا فَلَمْ تُجِبْهُ  
امْرَأَةُ الْحَجَّامِ، وَخَافَتْ مِنَ الْفَضِيحَةِ أَنْ يُكْرِ صَوْتَهَا . ثُمَّ دَعَاها  
ثَانِيَةً فَلَمْ تُجِبْهُ، فَاِمْتَلَأَ غَيْظًا وَحَنَقًا وَقَامَ نَحْوَهَا بِالشَّفْرَةِ فَجَدَعَ  
أَنْفَهَا وَقَالَ : خُذِي هَذَا فَاتَحْفِي بِهِ صَدِيقِكَ ، وَهُوَ لَا يَشْكُ فِي  
أَنَّهَا امْرَأَتُهُ .

ثُمَّ جَاءَتْ امْرَأَةُ الْإِسْكَافِ فَرَأَتْ صُنْعَ زَوْجِهَا بِامْرَأَةِ الْحَجَّامِ  
فَسَاءَهَا ذَلِكَ وَأَكْبَرَتْهُ وَحَلَّتْ وَثَاقَهَا . فَاِنطَلَقَتْ إِلَى مَنْزِلِهَا  
مَجْدُوعَةَ الْأَنْفِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ بَعَيْنِ النَّاسِكِ وَسَمِعِهِ . ثُمَّ إِنَّ امْرَأَةَ  
الْإِسْكَافِ جَعَلَتْ تَبْتَهَلُ وَتَدْعُو عَلَى زَوْجِهَا الَّذِي ظَلَمَهَا وَتَقُولُ :  
اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ زَوْجِي قَدْ ظَلَمَنِي فَأَعِدْ عَلَيَّ أَنْفِي صَاحِحًا . ثُمَّ  
رَفَعَتْ صَوْتَهَا وَنَادَتْ زَوْجَهَا : أَيُّهَا الْفَاجِرُ الظَّالِمُ قُمْ فَاِنظُرْ كَيْفَ  
صُنَعْتُ بِي وَصُنِعَ اللَّهُ بِي، كَيْفَ رَحِمَنِي وَرَدَّ أَنْفِي صَاحِحًا كَمَا كَانَ  
. فَقَامَ وَأَوْقَدَ الْمَصْبَاحَ وَنَظَرَ فَإِذَا أَنْفُ زَوْجَتِهِ صَاحِحٌ فَاسْتَغْفَرَ  
وَتَابَ عَن ذَنْبِهِ وَاسْتَغْفَرَ إِلَى رَبِّهِ .

وَأَمَّا امْرَأَةُ الْحَجَّامِ فَإِنَّهَا لَمَّا وَصَلَتْ إِلَى مَنْزِلِهَا تَفَكَّرَتْ فِي  
طَلَبِ الْعُذْرِ عِنْدَ زَوْجِهَا وَأَهْلِهَا فِي جَدْعِ أَنْفِهَا وَرَفَعِ الْإِلْتِبَاسِ .

فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ السَّحْرِ اسْتَيْقَظَ الْحَجَّامُ فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ : هَاتِي  
أَدَوَاتِي كُلَّهَا فَإِنِّي أُرِيدُ الْمُضِيَّ إِلَى بَعْضِ الْأَشْرَافِ ، فَأَتَتْهُ بِالْمُوسَى .

فَقَالَ لَهَا : هَاتِي الْأَدْوَاتِ جَمِيعَهَا ، فَلَمْ تَأْتِهِ إِلَّا بِالْمُوسَى . فَغَضِبَ  
حِينَ أَطَالَتْ التَّكْرَارَ وَرَمَاهَا بِهِ ، فَوَلَّوَتْ وَصَاحَتْ : أَنْفِي أَنْفِي ،  
وَجَلَبَتْ حَتَّى جَاءَ أَهْلُهَا وَأَقْرِبَاؤُهَا عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فَأَخَذُوا  
الْحُجَّامَ فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى الْقَاضِي . فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : مَا حَمَلَكَ  
عَلَى جَدْعِ أَنْفِ امْرَأَتِكَ ؟ فَلَمْ تَكُنْ لَهُ حُجَّةٌ يَحْتَجُّ بِهَا . فَأَمَرَ بِهِ  
الْقَاضِي أَنْ يُقْتَصَّ مِنْهُ ؛ فَلَمَّا قُدِّمَ لِلْقِصَاصِ وَافَى النَّاسِكَ فَتَقَدَّمَ  
إِلَى الْقَاضِي وَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْحَاكِمُ ، لَا يَشْتَبِهَنَّ عَلَيْكَ هَذَا الْأَمْرُ ،  
فَإِنَّ اللَّصَّ لَيْسَ هُوَ الَّذِي سَرَقَنِي ، وَإِنَّ الثَّعْلَبَ لَيْسَ الْوَعِلَانَ قَتَلَهُ ،  
وَإِنَّ الْمَرْأَةَ لَيْسَ السُّمُّ قَتَلَهَا ، وَإِنَّ امْرَأَةَ الْحُجَّامِ لَيْسَ زَوْجُهَا جَدَعَ  
أَنْفَهَا ، وَإِنَّمَا نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ بَأَنْفُسِنَا . فَسَأَلَهُ الْقَاضِي عَنِ  
التَّفْسِيرِ ، فَأَخْبَرَهُ بِالْقِصَّةِ ، فَأَمَرَ الْقَاضِي بِإِطْلَاقِ الْحُجَّامِ .

قَالَ دِمْنَةُ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْمَثْلَ وَهُوَ شَبِيهُ بِأَمْرِي ، وَلَعَلِّي مَا  
ضَرَبَنِي أَحَدٌ سِوَى نَفْسِي . وَلَكِنْ مَا الْحِيلَةُ ؟ قَالَ كَلِيلَةُ : أَخْبِرْنِي  
عَنْ رَأْيِكَ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَعَزِّمَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ . قَالَ دِمْنَةُ : أَمَا أَنَا  
فَلَسْتُ الْيَوْمَ أَرْجُو أَنْ تَزْدَادَ مَنْزِلَتِي عِنْدَ الْأَسَدِ فَوْقَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ  
؛ وَلَكِنْ أَلْتَمِسُ أَنْ أَعُودَ إِلَى مَا كَانَتْ حَالِي عَلَيْهِ ، فَإِنَّ أُمُورًا ثَلَاثَةً  
الْعَاقِلُ جَدِيرٌ بِالنَّظَرِ فِيهَا وَالْأَحْتِيَالِ لَهَا بِجُهْدِهِ .

مِنْهَا النَّظَرُ فِيمَا مَضَى مِنَ الضَّرَرِ وَالنَّفْعِ أَنْ يَحْتَرِسَ مِنْ



الضَّرُّ الَّذِي أَصَابَهُ فِيمَا سَلَفَ لَيْلًا يَعُودُ إِلَى ذَلِكَ الضَّرِّ، وَيَلْتَمِسُ  
النَّفْعَ الَّذِي مَضَى وَيَحْتَالَ لِمُعَاوَدَتِهِ .

وَمِنْهَا النَّظَرُ فِيمَا هُوَ مُقِيمٌ فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ  
وَالْإِسْتِثْقَابُ بِمَا يَنْفَعُ وَالْهَرَبُ بِمَا يَضُرُّ .

وَمِنْهَا النَّظَرُ فِي مُسْتَقْبَلِ مَا يَرْجُو مِنْ قِبَلِ النَّفْعِ وَمَا يَخَافُ  
مِنْ قِبَلِ الضَّرِّ لَيْسَتْتَمَّ مَا يَرْجُو وَيَتَوَقَّى مَا يَخَافُ بِجُهْدِهِ .

وَإِنِّي لَمَّا نَظَرْتُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي بِهِ أَرْجُو أَنْ تَعُودَ مَنَزَلَتِي وَمَا  
غَلَبَتْ عَلَيْهِ مِمَّا كُنْتُ فِيهِ لَمْ أَجِدْ حِيلَةً وَلَا وَجْهًا إِلَّا الْإِحْتِيَالَ لِأَكْلِ  
العُشْبِ هَذَا حَتَّى أُفَرِّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَيَاةِ، فَإِنَّهُ إِنْ فَارَقَ الْأَسَدَ  
عَادَتْ لِي مَنَزَلَتِي، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَكُونُ خَيْرًا لِلْأَسَدِ . فَإِنَّ إِفْرَاطَهُ فِي  
تَقْرِيْبِ الثَّوْرِ خَلِيقٌ أَنْ يَشِينَهُ وَيَضُرَّهُ فِي أَمْرِهِ .

قَالَ كَلِيلَةُ : مَا أَرَى الْأَسَدَ فِي رَأْيِهِ فِي الثَّوْرِ وَمَكَانِهِ مِنْهُ  
وَمَنَزَلَتِهِ عِنْدَهُ شَيْنًا وَلَا شَرًّا .

قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّمَا يُؤْتَى السُّلْطَانُ وَيُفْسَدُ أَمْرُهُ مِنْ قِبَلِ سِتَّةِ  
أَشْيَاءَ : الْحَرَمَانَ وَالْفِتْنَةَ وَالْهَوَى وَالْفِظَاطَةَ وَالزَّمَانَ وَالْخُرْقَ .

فَأَمَّا الْحَرَمَانُ فَإِنَّ يُحْرَمَ مِنْ صَالِحِي الْأَعْوَانِ وَالنُّصَحَاءِ

وَالسَّاسَةَ مِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالنَّجْدَةَ وَالْأَمَانَةَ ، وَأَنْ يَكُونَ مَنْ حَوْلَهُ  
فَاسِدًا مَانِعًا مِنْ وُصُولِ أُمُورِ الْمَلِكِ إِلَيْهِ ، وَأَنْ يَحْرِمَ هُوَ أَهْلَ  
النَّصِيحَةِ وَالصَّلَاحِ مِنْ عِنَايَتِهِ وَالتَّفَاتِهِ إِلَيْهِمْ .

وَأَمَّا الْفِتْنَةُ فَهِيَ تَحَارُبُ رَعِيَّتِهِ وَوُقُوعُ الْخِلَافِ وَالنِّزَاعِ بَيْنَهُمْ .

وَأَمَّا الْهَوَى فَاإِغْرَامُ بِالنِّسَاءِ وَالْحَدِيثِ وَاللَّهْوِ وَالشَّرَابِ  
وَالصَّيْدِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

وَأَمَّا الْفِظَاطَةُ فَهِيَ إِفْرَاطُ الشُّدَّةِ حَتَّى يَجْمَعَ اللِّسَانُ بِالشَّتْمِ  
وَالْيَدُ بِالْبَطْشِ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهِمَا .

وَأَمَّا الزَّمَانُ فَهُوَ مَا يُصِيبُ النَّاسَ مِنَ السِّنِينَ وَالْمَوْتِ وَنَقْصِ  
الثَّمَرَاتِ وَالْغَزَوَاتِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ .

وَأَمَّا الْخُرْقُ فَإِعْمَالُ الشُّدَّةِ فِي مَوْضِعِ اللَّيْنِ ، وَاللَّيْنُ فِي  
مَوْضِعِ الشُّدَّةِ . وَإِنَّ الْأَسَدَ قَدْ أُغْرِمَ بِالثَّوْرِ إِغْرَامًا شَدِيدًا هُوَ  
الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ أَنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَشِينَهُ وَيَضُرَّهُ فِي أَمْرِهِ .

قَالَ كَلِيلَةُ : وَكَيْفَ تُطِيقُ الثَّوْرَ وَهُوَ أَشَدُّ مِنْكَ وَأَكْرَمُ عَلَى  
الْأَسَدِ مِنْكَ وَأَكْثَرُ أَعْوَانًا .،

قَالَ دِمْنَةُ : لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِي وَضُعْفِي ، فَإِنَّ الْأُمُورَ لَيْسَتْ

بِالضُّعْفِ وَلَا الْقُوَّةِ وَلَا الصُّغْرِ وَلَا الْكِبَرِ فِي الْجُثَّةِ ، فَرُبَّ صَغِيرٍ  
ضَعِيفٍ قَدْ بَلَغَ بِحِيلَتِهِ وَدَهَائِهِ وَرَأْيِهِ مَا يَعْجُزُ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ  
الْأَقْوِيَاءِ . أَوْ لَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّ غُرَابًا ضَعِيفًا احْتَالَ لِأَسْوَدَ حَتَّى قَتَلَهُ؟

\* \* \* \* \*

### الغراب والأسود:

قَالَ كَلِيلَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ غُرَابًا كَانَ لَهُ وَكْرٌ فِي شَجَرَةٍ عَلَى جَبَلٍ  
وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ جُحْرٌ ثَعْبَانِ أَسْوَدَ . فَكَانَ الْغُرَابُ إِذَا أَفْرَخَ عَمَدَ  
الْأَسْوَدَ إِلَى فِرَاحِهِ فَأَكَلَهَا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مِنَ الْغُرَابِ فَأَحْزَنَهُ . فَشَكَا  
ذَلِكَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ مِنْ بَنَاتِ آوَى وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ مُشَاوَرَتَكَ فِي أَمْرٍ  
قَدْ عَزَمْتُ عَلَيْهِ . قَالَ : وَمَا هُوَ؟

قَالَ الْغُرَابُ : قَدْ عَزَمْتُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى الْأَسْوَدِ إِذَا نَامَ فَأَيْقِرَ  
عَيْنَيْهِ فَأَفْقَأَ هُمَا لِعَلِّي أَسْتَرِيحُ مِنْهُ . قَالَ ابْنُ آوَى : بَسَّسَ الْحَيْلَةَ  
الَّتِي احْتَلَّتْ ، فَالْتَمَسَ أَمْرًا تُصِيبُ فِيهِ بُغْيَتَكَ مِنَ الْأَسْوَدِ مِنْ غَيْرِ  
أَنْ تُغَرَّرَ بِنَفْسِكَ وَتُخَاطِرَ بِهَا ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ مِثْلَكَ مِثْلَ الْعُلْجُومِ  
الَّذِي أَرَادَ قَتْلَ سَرَطَانَ فَقَتَلَ نَفْسَهُ .

قَالَ الْغُرَابُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

## العلاجوم والسرطان :

قَالَ ابْنُ آوَى : زَعَمُوا أَنَّ عُلْجُومًا عَشَّشَ فِي أَجْمَةِ كَثِيرَةً  
السَّمَكِ فَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ السَّمَكِ فَيَأْكُلُ مِنْهُ . فَعَاشَ  
بِهَا مَا عَاشَ ثُمَّ هَرِمَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ صَيِّدًا ، فَأَصَابَهُ جُوعٌ وَجَهْدٌ  
شَدِيدٌ ، فَجَلَسَ حَزِينًا يَلْتَمِسُ الْحَيْلَةَ فِي أَمْرِهِ . فَمَرَّ بِهِ سَرَطَانٌ  
فَرَأَى حَالَتَهُ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْكَآبَةِ وَالْحُزْنِ . فَدَنَا مِنْهُ وَقَالَ لَهُ :  
مَا لِي أَرَاكَ أَيُّهَا الطَّائِرُ هَكَذَا حَزِينًا كَثِيرًا؟ قَالَ الْعُلْجُومُ : وَكَيْفَ لَا  
أَحْزَنُ وَقَدْ كُنْتُ أَعِيشُ مِنْ صَيِّدٍ مَا هَهُنَا مِنَ السَّمَكِ ، وَإِنِّي رَأَيْتُ  
الْيَوْمَ صَيَّادَيْنِ قَدْ مَرَّ بِهَذَا الْمَكَانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : إِنَّ هَهُنَا  
سَمَكًا كَثِيرًا ، أَفَلَا نَصِيدُهُ أَوَّلًا؟ فَقَالَ الْآخَرُ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي  
مَكَانٍ كَذَا سَمَكًا أَكْثَرَ مِنْ هَذَا السَّمَكِ فَلَنْبَدَأُ بِذَلِكَ ، فَإِذَا فَرَعْنَا  
مِنْهُ جِئْنَا إِلَى هَذَا فَأَفْنِينَاهُ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُمَا إِذَا فَرَعَا مِمَّا هُنَاكَ  
انْتَهَيَا إِلَى هَذِهِ الْأَجْمَةِ فَاصْطَادَا مَا فِيهَا ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَهُوَ  
هَلَاقِي وَنَفَادُ مُدَّتِي . فَاَنْطَلَقَ السَّرَطَانُ إِلَى جَمَاعَةِ السَّمَكِ  
فَأَخْبَرَهُنَّ بِذَلِكَ ، فَأَقْبَلْنَ عَلَى الْعُلْجُومِ فَاسْتَشْرَبْنَهُ وَقُلْنَ لَهُ : إِنَّ  
أَتَيْنَاكَ لِتُشِيرَ عَلَيْنَا ، فَإِنَّ ذَا الْعَقْلِ لَا يَدْعُ مُشَاوَرَةَ عَدُوِّهِ وَبِقَاوُكَ  
بِبِقَائِنَا . قَالَ الْعُلْجُومُ : أَمَّا مُكَابَرَةُ الصَّيَّادَيْنِ فَلَا طَاقَةَ لِي بِهَا ، وَلَا  
أَعْلَمُ حَيْلَةً إِلَّا الْمَصِيرَ إِلَى غَدِيرٍ قَرِيبٍ مِنْ هُنَا فِيهِ سَمَكٌ وَمِيَاهٌ

كَثِيرَةٌ وَقَصَبٌ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُنَّ الْإِنْتِقَالَ إِلَيْهِ كَانَ فِيهِ صَلَاحُكُنَّ  
وَخَصْبُكُنَّ . فَقُلْنَ لَهُ: مَا يَمُنُّ عَلَيْنَا بِذَلِكَ غَيْرُكَ . فَجَعَلَ الْعُلْجُومُ  
يَحْمِلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَمَكَتَيْنِ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِمَا إِلَى بَعْضِ التَّلَالِ  
فَيَأْكُلُهُمَا . حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ جَاءَ لِأَخَذِ السَّمَكَتَيْنِ فَجَاءَهُ  
السَّرَطَانُ فَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَيْضًا قَدْ أَشْفَقْتُ مِنْ مَكَانِي هَذَا  
وَاسْتَوْحَشْتُ مِنْهُ فَاذْهَبْ بِي إِلَى ذَلِكَ الْغَدِيرِ . فَقَالَ لَهُ: حُبًّا  
وَكَرَامَةً . وَاحْتَمَلَهُ وَطَارَ بِهِ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ التَّلِّ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ  
السَّمَكَ فِيهِ نَظَرَ السَّرَطَانُ فَرَأَى عِظَامَ السَّمَكِ مَجْمُوعَةً هُنَاكَ  
فَعَلِمَ أَنَّ الْعُلْجُومَ هُوَ صَاحِبُهَا وَأَنَّهُ يُرِيدُ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ . فَقَالَ فِي  
نَفْسِهِ: إِذَا لَقِيَ الرَّجُلُ عَدُوَّهُ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي يَعْلَمُ أَنَّهُ فِيهَا هَالِكٌ  
سَوَاءً قَاتِلٌ أَمْ لَمْ يُقَاتِلْ، كَانَ حَقِيقًا أَنْ يُقَاتِلَ عَن نَفْسِهِ كَرَمًا  
وَحِفَاطًا، وَلَا يُمَكِّنُهُ مِنْ نَفْسِهِ حَتَّى يَسْتَفْرِغَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْحِيلَةِ فِي  
قِتَالِهِ ، لِأَنَّهُ قَدْ بَنَى أَمْرَهُ عَلَى التَّلْفِ، فَلَعَلَّ خَلَاصَهُ فِي ذَلِكَ  
الْقِتَالِ، وَالْهَلَاكُ وَقَعَ بِهِ كَيْفَ كَانَ . فَلَمْ يَزَلْ يَحْتَالُ عَلَى الْعُلْجُومِ  
حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْ عُنُقِهِ فَأَهْوَى بِكَلْبَتَيْهِ عَلَيْهِ فَعَصَرَهُ فَمَاتَ . وَتَخَلَّصَ  
السَّرَطَانُ إِلَى جَمَاعَةِ السَّمَكِ فَأَخْبَرَهُنَّ بِذَلِكَ .

وَإِنَّمَا ضَرَبْتَ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ بَعْضَ الْحِيلَةِ مُهْلِكَةٌ  
لِلْمُحْتَالِ . وَلَكِنِّي أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ إِنْ أَنْتَ قَدَرْتَ عَلَيْهِ كَانَ فِيهِ هَلَاكُ  
الْأَسْوَدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَهْلِكَ بِهِ نَفْسُكَ وَتَكُونَ فِيهِ سَلَامَتُكَ .

قَالَ الْغُرَابُ : وَمَا ذَاكَ ؟

قَالَ ابْنُ أَوْى : تَنْطَلِقُ فَتَتَبَصَّرُ فِي طَيْرَانِكَ لَعَلَّكَ تَظْفِرُ بِشَيْءٍ  
مِنْ حَلِيِّ النِّسَاءِ فَتَخْطِفُهُ وَلَا تَزَالُ طَائِرًا وَاقِعًا بِحَيْثُ لَا تَقُوتُ  
الْعُيُونُ ، فَإِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ تَبَعُوكَ تَأْتِي جُحْرَ الْأَسْوَدِ فَتَرْمِي  
بِالْحَلِيِّ عِنْدَهُ ، فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَخَذُوا حَلِيَهُمْ وَأَرَا حَوْكَ مِنْ  
الْأَسْوَدِ . فَاَنْطَلَقَ الْغُرَابُ مُحَلِّقًا فِي السَّمَاءِ ، فَوَجَدَ امْرَأَةً مِنْ  
بَنَاتِ الْعُظَمَاءِ عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ تَغْتَسِلُ وَقَدْ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا وَحَلِيَهَا  
نَاحِيَةً . فَاَنْفَضَّ وَاخْتَطَفَ مِنْ حَلِيهَا عَقْدًا وَطَارَ بِهِ ، فَتَبِعَهُ النَّاسُ .  
وَلَمْ يَزَلْ طَائِرًا وَاقِعًا بِحَيْثُ يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ حَتَّى انْتَهَى إِلَى جُحْرِ  
الْأَسْوَدِ ، فَأَلْقَى الْعِقْدَ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ . فَلَمَّا اتَّوَا أَخَذُوا  
الْعِقْدَ وَقَتَلُوا الْأَسْوَدَ .

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْحِيلَةَ تُجْزِيءُ مَا لَا  
تُجْزِيءُ الْقُوَّةُ .

قَالَ كَلِيلَةُ : إِنَّ الثَّوْرَ لَوْ لَمْ يَجْتَمِعْ مَعَ شِدَّتِهِ رَأْيُهُ لَكَانَ كَمَا  
تَقُولُ ، وَلَكِنَّ لَهُ مَعَ شِدَّتِهِ وَقُوَّتِهِ حُسْنَ الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ ؛ فَمَاذَا  
تَسْتَطِيعُ لَهُ ؟

قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّ الثَّوْرَ لَكَمَا ذَكَرْتَ فِي قُوَّتِهِ وَرَأْيِهِ ؛ وَلَكِنَّهُ مُقَرَّبٌ  
لِي بِالْفَضْلِ ، وَأَنَا خَلِيقٌ أَنْ أَصْرَعَهُ كَمَا صَرَعَتِ الْأَرْنبُ الْأَسَدَ .

قَالَ كَلِيلَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

\*\*\*\*\*

### الأرنب والأسد :

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَرْضٍ كَثِيرَةِ الْمِيَاهِ وَالْعُشْبِ ، وَكَانَ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ مِنَ الْوُحُوشِ فِي سَعَةِ الْمِيَاهِ وَالْمَرْعَى شَيْءٌ كَثِيرٌ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهَا ذَلِكَ لَخَوْفِهَا مِنَ الْأَسَدِ . فَاجْتَمَعَتْ وَأَتَتْ إِلَى الْأَسَدِ فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّكَ لَتُصِيبُ مِنَّا الدَّابَّةَ بَعْدَ الْجَهْدِ وَالتَّعَبِ ، وَقَدْ رَأَيْنَا لَكَ رَأْيًا فِيهِ صَلَاحٌ لَكَ وَأَمْنٌ لَنَا ، فَإِنَّ أُنْتَ أَمْتَتْنَا وَلَمْ تُخَفْنَا فَلَكَ عَلَيْنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ دَابَّةٌ نُرْسِلُ بِهَا إِلَيْكَ فِي وَقْتِ غَدَائِكَ . فَرَضِيَ الْأَسَدُ بِذَلِكَ وَصَالِحِ الْوُحُوشِ عَلَيْهِ وَوَفَّيْنَاهُ لَهُ بِهِ .

ثُمَّ إِنَّ أَرْنَبًا أَصَابَتْهَا الْقُرْعَةُ وَصَارَتْ غِذَاءَ الْأَسَدِ . فَقَالَتْ لِلْوُحُوشِ : إِنَّ أُنْتُنَّ رَفَقْتُنَّ بِي فِيمَا لَا يُضِرُّكُمْ رَجَوْتُ أَنْ أُرِيحَكُنَّ مِنَ الْأَسَدِ . فَقَالَتِ الْوُحُوشُ : وَمَا الَّذِي تُكَلِّفِينَا مِنَ الْأُمُورِ ؟ قَالَتْ : تَأْمُرُنَّ الَّذِي يَنْطَلِقُ بِي إِلَى الْأَسَدِ أَنْ يُمَهِّلَنِي رِيثَمَا أُبْطِيءُ عَلَيْهِ بَعْضَ الْإِبْطَاءِ . فَقُلْنَ لَهَا : ذَلِكَ لَكَ . فَاَنْطَلَقَتِ الْأَرْنَبُ مُتَبَاطِئَةً حَتَّى جَاوَزَتِ الْوَقْتَ الَّذِي كَانَ يَتَغَذَّى فِيهِ الْأَسَدُ ، ثُمَّ

تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ وَحَدَّهَا رُوَيْدًا ، وَقَدَّ جَاعَ فَغَضِبَ وَقَامَ مِنْ مَكَانِهِ نَحْوَهَا ، فَقَالَ لَهَا : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتِ ؟ قَالَتْ : أَنَا رَسُولُ الْوُحُوشِ إِلَيْكَ ، وَقَدَّ بَعَثْتَنِي وَمَعِيَ أَرْنَبٌ لَكَ فَتَبِعْنِي أَسَدٌ فِي بَعْضِ تِلْكَ الطَّرِيقِ فَأَخَذَهَا مِنِّي وَقَالَ : أَنَا أَوْلَى بِهَذِهِ الْأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْوَحْشِ . فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ هَذَا غَدَاءُ الْمَلِكِ أَرْسَلَتْ بِهِ الْوُحُوشُ إِلَيْهِ ، فَلَا تَغْضِبْنَهُ ، فَسَبِّكَ وَشَتَمَكَ ، فَأَقْبَلْتُ مُسْرِعَةً لِأُخْبِرَكَ . فَقَالَ الْأَسَدُ : انْطَلِقِي مَعِي فَأَرِينِي مَوْضِعَ هَذَا الْأَسَدِ . فَاَنْطَلَقْتُ الْأَرْنَبُ إِلَى جُبٍّ فِيهِ مَاءٌ غَامِرٌ صَافٍ ، فَاطَّلَعْتُ فِيهِ وَقَالَتْ : هَذَا الْمَكَانُ . فَاطَّلَعَ الْأَسَدُ فَرَأَى ظِلَّهُ وَظِلَّ الْأَرْنَبِ فِي الْمَاءِ ، فَلَمْ يَشْكُ فِي قَوْلِهَا وَوَتَبَ عَلَى الْأَسَدِ لِيُقَاتِلَهُ فَغَرِقَ فِي الْجُبِّ . فَاَنْقَلَبَتِ الْأَرْنَبُ إِلَى الْوُحُوشِ ، فَأَعْلَمَتْهُنَّ صَنِيعَهَا بِالْأَسَدِ .

قَالَ كَلِيلَةُ : إِنَّ قَدَرْتَ عَلَى هَلَاكِ الثَّوْرِ بِشَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ مَضَرَّةٌ لِلْأَسَدِ فَشَأْنُكَ ، فَإِنَّ الثَّوْرَ قَدْ أَضْرَبِي وَبِكَ وَبَغَيْرِنَا مِنَ الْجُنْدِ ، وَإِنَّ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرِي عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِهَلَاكِ الْأَسَدِ فَلَا تَقْدِمِي عَلَيْهِ فَإِنَّهُ غَدْرٌ مِنِّي وَمِنْكَ .

ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ تَرَكَ الدُّخُولَ عَلَى الْأَسَدِ أَيَّامًا كَثِيرَةً . ثُمَّ آتَاهُ عَلَى خَلْوَةٍ مِنْهُ فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : مَا حَبَسَكَ عَنِّي ؟ مُنْذُ زَمَانٍ لَمْ أَرَكَ . أَلَا لَخَيْرٍ كَانَ انْقِطَاعُكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : لِيَكُنْ خَيْرًا أَيُّهَا الْمَلِكُ .



قَالَ الْأَسَدُ : وَهَلْ حَدَّثَ أَمْرٌ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : حَدَّثَ مَا لَمْ يَكُنْ الْمَلِكُ يُرِيدُهُ وَلَا أَحَدٌ مِنْ جُنْدِهِ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : كَلَامٌ فَطِيعٌ . قَالَ : أَخْبِرْنِي بِهِ . قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّ كُلَّ كَلَامٍ يَكْرَهُهُ سَامِعُهُ لَا يَجْسُرُ عَلَيْهِ قَائِلُهُ . وَإِنَّكَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لَدُو فَضِيلَةٍ وَرَأْيِكَ يَدُلُّكَ عَلَى أَنْ يُوجِعَنِي أَنْ أَقُولَ مَا تَكْرَهُ . وَإِنِّي وَاثِقٌ بِكَ أَنَّكَ تَعْرِفُ نَصِحِي وَإِيثَارِي إِيَّاكَ عَلَى نَفْسِي . وَإِنِّي لِيَعْرُضُ لِي أَنَّكَ غَيْرُ مُصَدِّقِي فِيمَا أَخْبَرْتُكَ بِهِ ، وَلَكِنِّي إِذَا تَذَكَّرْتُ وَتَفَكَّرْتُ أَنَّ نَفْسَنَا مَعَاشِرَ الْوُحُوشِ مُتَعَلِّقَةٌ بِكَ لَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ آدَاءِ النَّصِاحِ الَّذِي يَلْزَمُنِي ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَسْأَلْنِي أَوْ خِفْتُ أَلَّا تَقْبَلَهُ مِنِّي . فَإِنَّهُ يُقَالُ : مَنْ كَتَمَ السُّلْطَانَ نَصِيحَتَهُ ، وَالْأَطِبَّاءَ مَرَضَهُ ، وَالْإِخْوَانَ رَأْيَهُ ، فَقَدْ خَانَ نَفْسَهُ .

قَالَ الْأَسَدُ : فَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : حَدَّثَنِي الْأَمِينُ الصَّدُوقُ عِنْدِي أَنَّ شَتْرِبَةَ خَلَا بِرُؤُوسِ جُنْدِكَ وَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ خَبَرْتُ الْأَسَدَ . وَبَلَوْتُ رَأْيَهُ وَمَكِيدَتَهُ وَقُوَّتَهُ فَاسْتَبَانَ لِي أَنَّ ذَلِكَ يُوُولُ مِنْهُ إِلَى ضَعْفٍ وَعَجْزٍ ، وَسَيَكُونُ لِي وَلَهُ شَأْنٌ مِنَ الشُّؤُونِ .

فَلَمَّا بَلَغَنِي ذَلِكَ عَلِمْتُ أَنَّ شَتْرِبَةَ خَوَانٌ غَدَّارٌ ، وَأَنَّكَ أَكْرَمَتَهُ الْكِرَامَةَ كُلَّهَا وَجَعَلْتَهُ نَظِيرَ نَفْسِكَ ، فَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ مِثْلَكَ وَأَنَّكَ مَتَى زَلْتَ عَنْ مَكَانِكَ كَانَ لَهُ مُلْكُكَ ، وَلَا يَدْعُ جُهْدًا إِلَّا بَلَغَهُ فِيكَ ، وَقَدْ

كَانَ يُقَالُ : إِذَا عَرَفَ الْمَلِكُ مِنْ أَحَدٍ رَعِيَّتَهُ أَنَّهُ قَدْ سَاوَاهُ فِي الْمَنْزِلَةِ وَالْحَالِ فَلْيَصْرَعَهُ ، فَإِنَّهُ هُوَ لَمْ يَفْعَلْ بِهِ ذَلِكَ كَانَ هُوَ الْمَصْرُوعَ . وَشْتَرِيَةً أَعْلَمُ بِالْأُمُورِ وَأَبْلَغُ فِيهَا . وَالْعَاقِلُ هُوَ الَّذِي يَحْتَالُ لِلْأَمْرِ قَبْلَ تَمَامِهِ وَوُقُوعِهِ ، فَإِنَّكَ لَا تَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ وَأَنْ لَا تَسْتَدْرِكَهُ . فَإِنَّهُ يُقَالُ : الرَّجَالُ ثَلَاثَةٌ : حَازِمٌ وَأَحْزَمٌ مِنْهُ وَعَاجِزٌ . فَالْحَازِمُ مَنْ إِذَا نَزَلَ بِهِ الْأَمْرُ لَمْ يَدْهَشْ لَهُ ، وَلَمْ يَذْهَبْ قَلْبُهُ شُعَاعًا ، وَلَمْ تَعِيَ بِهِ حِيلَتُهُ وَمَكِيدَتُهُ الَّتِي يَرْجُو بِهَا الْمَخْرَجَ مِنْهُ . وَأَحْزَمٌ مَنْ هَذَا الْمَقْدَامُ ذُو الْعُدَّةِ الَّذِي يَعْرِفُ الْإِبْتِلَاءَ قَبْلَ وَقُوعِهِ فَيُعْظِمُهُ إِعْظَامًا وَيَحْتَالُ لَهُ حِيلَةً حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ لَزِمَهُ ، فَيَحْسِمُ الدَّاءَ قَبْلَ أَنْ يُبْتَلَى بِهِ ، وَيُدْفَعُ الْأَمْرَ قَبْلَ وَقُوعِهِ . وَأَمَّا الْعَاجِزُ فَهُوَ فِي تَرَدُّدٍ وَتَمَنٍّ وَتَوَانٍ حَتَّى يَهْلِكَ . وَمِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ مَثَلُ السَّمَكَاتِ الثَّلَاثِ . قَالَ الْأَسَدُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

\*\*\*\*\*

### السَّمَكَاتِ الثَّلَاثِ :

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ غَدِيرًا كَانَ فِيهِ ثَلَاثُ سَمَكَاتٍ ، كَيْسَةُ وَأَكَيْسُ مِنْهَا وَعَاجِزَةٌ . وَكَانَ ذَلِكَ الْغَدِيرُ بِنَجْوَةٍ مِنَ الْأَرْضِ لَا يَكَادُ يَقْرِبُهُ أَحَدٌ وَيَقْرِبُهُ نَهْرٌ جَارٌ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ اجْتَازَ بِذَلِكَ النَّهْرِ صَيَّادَانِ فَأَبْصَرَ الْغَدِيرَ فَتَوَاعَدَا أَنْ يَرْجِعَا إِلَيْهِ بِشِبَاكِهِمَا فَيَصِيدَا مَا فِيهِ

مِنَ السَّمَكِ . فَسَمِعَ السَّمَكَاتُ قَوْلَهُمَا . فَأَمَّا أَكْيَسُهُنَّ فَلَمَّا سَمِعَتْ قَوْلَهُمَا ارْتَابَتْ بِهِمَا وَتَخَوَّفَتْ مِنْهُمَا ، فَلَمْ تَعْرُجْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى خَرَجَتْ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ الْمَاءُ مِنَ النَّهْرِ إِلَى الْغَدِيرِ ، فَجَعَتْ بِنَفْسِهَا . وَأَمَّا الْكَيْسَةُ الْأُخْرَى فَإِنَّهَا مَكَثَتْ مَكَانَهَا وَتَهَاوَنْتْ فِي الْأَمْرِ حَتَّى جَاءَ الصِّيَادَانِ . فَلَمَّا رَأَتْهُمَا وَعَرَفَتْ مَا يُرِيدَانِ ذَهَبَتْ لِتَخْرُجَ مِنْ حَيْثُ يَدْخُلُ الْمَاءُ فَإِذَا بِهِمَا قَدْ سَدَّا ذَلِكَ الْمَكَانَ ، فَحِينَئِذٍ قَالَتْ : فَرَطْتُ وَهَذِهِ عَاقِبَةُ التَّفْرِيطِ ، فَكَيْفَ الْحَيْلَةُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ؟ وَقَلَّمَا تَتَّجِحُ حَيْلَةُ الْعَجَلَةِ وَالْإِرْهَاقِ ، غَيْرَ أَنَّ الْعَاقِلَ لَا يَقْنَطُ مِنْ مَنَافِعِ الرَّأْيِ وَلَا يِيَّأَسُ عَلَى حَالٍ وَلَا يَدْعُ الرَّأْيَ وَالْجُهْدَ . ثُمَّ إِنَّهَا تَمَاوَتَتْ فَطَفَّتْ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ مُنْقَلِبَةً عَلَى ظَهْرِهَا تَارَةً وَتَارَةً عَلَى بَطْنِهَا ، فَأَخَذَهَا الصِّيَادَانِ وَظَنَّاهَا مَيِّتَةً فَوَضَعَاهَا عَلَى الْأَرْضِ بَيْنَ النَّهْرِ وَالْغَدِيرِ ، فَوَثَبَتْ إِلَى النَّهْرِ فَجَعَتْ . وَأَمَّا الْعَاجِزَةُ فَلَمْ تَنْزَلْ فِي إِقْبَالِ وَإِدْبَارِ حَتَّى صِيدَتْ .

قَالَ الْأَسَدُ : قَدْ فَهَمْتُ ذَلِكَ وَلَا أُظُنُّ الثَّوْرَ يَغُشُّنِي وَلَا يَرَجُو لِي الْغَوَائِلَ ، وَكَيْفَ يَفْعَلُ ذَلِكَ وَلَمْ يَرِ مَنِّي سُوءًا قَطُّ وَلَمْ أَدْعُ خَيْرًا إِلَّا فَعَلْتَهُ مَعَهُ وَلَا أُمْنِيَةَ إِلَّا بَلَّغْتُهُ إِيَّاهَا ؟ قَالَ دِمْنَةُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّهُ لَمْ يَحْمَلْهُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا مَا ذَكَرْتَهُ مِنْ إِكْرَامِكَ لَهُ وَتَبْلِيغِكَ إِيَّاهُ كُلَّ مَنزِلَةٍ خِلا مَنزِلَتِكَ ، وَإِنَّهُ مُتَطَلِّعٌ إِلَيْهَا . فَإِنَّ اللَّئِيمَ لَا يَزَالُ

نَافِعًا نَاصِحًا حَتَّى يُرْفَعَ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٌ ، فَإِذَا  
بَلَغَهَا اشْرَأَبَتْ نَفْسُهُ إِلَى مَا فَوْقَهَا ، وَلَا سِيَّمَا أَهْلُ الْخِيَانَةِ وَالْفُجُورِ  
، فَإِنَّ اللَّئِيمَ الْفَاجِرَ لَا يَخْدُمُ السُّلْطَانَ وَلَا يَنْصَحُ لَهُ إِلَّا مِنْ فَرْقٍ أَوْ  
حَاجَةٍ ، فَإِذَا اسْتَفْنَى وَذَهَبَتِ الْهَيْبَةُ وَالْحَاجَةُ عَادَ إِلَى جَوْهَرِهِ ،  
كَذَنَّبَ الْكَلْبُ الَّذِي يُرْبِطُ لِيَسْتَقِيمَ ، فَلَا يَزَالُ مُسْتَوِيًّا مَا دَامَ  
مَرْبُوطًا فَإِذَا حُلَّ انْحَنَى وَتَعَوَّجَ كَمَا كَانَ .

وَأَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْ نَصَحَائِهِ مَا يَثْقُلُ عَلَيْهِ  
مِمَّا يَنْصَحُونَ لَهُ لَمْ يَحْمَدْ غِبَّ رَأْيِهِ ، كَالْمَرِيضِ الَّذِي يَدْعُ مَا يَصِفُ  
لَهُ الطَّبِيبُ وَيَعْمَدُ لِمَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُ . وَحَقُّ عَلَى مُوَازِرِ السُّلْطَانَ أَنْ  
يُبَالِغَ فِي التَّحْضِيضِ لَهُ عَلَى مَا يَزِيدُ بِهِ سُلْطَانَهُ قُوَّةً وَيَزِينُهُ وَالْكَفَّ  
عَمَّا يَضُرُّهُ وَيَشِينُهُ . وَخَيْرُ الْإِخْوَانِ وَالْأَعْوَانِ أَقْلُهُمْ مُدَاهَنَةً فِي  
النَّصِيحَةِ ، وَخَيْرُ الْأَعْمَالِ أَحْمَدُهَا عَاقِبَةً ، وَخَيْرُ النِّسَاءِ الْمُوَافِقَةُ  
لِبِعْلِهَا ، وَخَيْرُ الشَّأِ مَا كَانَ عَلَى أَفْوَاهِ الْأَخْيَارِ ، وَأَفْضَلُ الْمُلُوكِ مَنْ  
لَا يُخَالِطُهُ بَطْرٌ وَلَا يَسْتَكْبِرُ عَنْ قَبُولِ النَّصِيحَةِ ، وَخَيْرُ الْأَخْلَاقِ  
أَعْوَنُهَا عَلَى الْوَرَعِ .

وَقَدْ قِيلَ : لَوْ أَنَّ امْرَأًا تَوَسَّدَ النَّارَ وَافْتَرَشَ الْحَيَّاتِ كَانَ أَحَقَّ  
أَنْ يَهْنَأَ النَّوْمُ مِمَّنْ يُحِسُّ مِنْ صَاحِبِهِ بَعْدَاوَةَ يُرِيدُهُ بِهَا وَيَطْمَئِنُّ  
إِلَيْهِ . وَأَعْجَزُ الْمُلُوكِ آخِذُهُمْ بِالْهُوَيْنَا وَأَقْلُهُمْ نَظْرًا فِي مُسْتَقْبَلِ

الأُمُور ، وَأَشَبَّهُهُمْ بِالْفِيلِ الْهَائِجِ الَّذِي لَا يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ ، فَإِنْ أَحْزَنَهُ أَمْرٌ تَهَاوَنَ بِهِ ، وَإِنْ أَضَاعَ الْأُمُورَ حَمَلَ ذَلِكَ عَلَى قُرْنَائِهِ .

قَالَ الْأَسَدُ : لَقَدْ أَغْلَظْتَ فِي الْقَوْلِ ، وَقَوْلُ النَّاصِحِ مَقْبُولٌ مَحْمُولٌ . وَإِنْ كَانَ شَتْرَبَةً مُعَادِيًا لِي كَمَا تَقُولُ ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَضُرَّنِي وَلَا أَنْ يَفُتَّ فِي سَاعِدِي ؛ وَكَيْفَ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ آكِلُ عُشْبٍ وَأَنَا آكِلُ لَحْمٍ ؟ وَإِنَّمَا هُوَ لِي طَعَامٌ وَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةٌ . ثُمَّ لَيْسَ إِلَى الْغَدْرِ بِهِ سَبِيلٌ بَعْدَ الْأَمَانِ الَّذِي جَعَلْتَهُ لَهُ وَبَعْدَ إِكْرَامِي لَهُ وَتَنَائِي عَلَيْهِ . وَإِنْ غَيَّرْتَ مَا كَانَ مِنِّي وَبَدَلْتَهُ سَفَهْتُ رَأْيِي وَجَهَلْتُ نَفْسِي وَغَدَرْتُ بِذِمَّتِي وَنَقَضْتُ عَهْدِي .

قَالَ دِمْنَةُ : لَا يَغُرُّكَ قَوْلُكَ هُوَ لِي طَعَامٌ وَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةٌ ، فَإِنَّ شَتْرَبَةً إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْكَ بِنَفْسِهِ احْتَالَ لَكَ مِنْ قَبْلِ غَيْرِهِ . وَيُقَالُ : إِنْ اسْتَضَافَكَ ضَيْفٌ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَأَنْتَ تَعْرِفُ أَخْلَاقَهُ ، فَلَا تَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِكَ ، وَلَا تَأْمَنُ أَنْ يَصِلَكَ مِنْهُ أَوْ بِسَبَبِهِ مَا أَصَابَ الْقَمَلَةَ مِنَ الْبُرْغُوثِ . قَالَ الْأَسَدُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

\*\*\*\*\*

### القملة والبرغوث :

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ قَمَلَةً لَزِمَتْ فِرَاشَ رَجُلٍ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ

دَهْرًا فَكَانَتْ تُصِيبُ مِنْ دَمِهِ وَهُوَ نَائِمٌ لَا يَشْعُرُ وَتَدْبُ دَبِيبًا رَفِيقًا .  
فَمَكَثَتْ كَذَلِكَ حِينًا حَتَّى اسْتَضَافَهَا لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي بُرْغُوثُ ،  
فَقَالَتْ لَهُ : بَتِ اللَّيْلَةَ عِنْدَنَا فِي دَمٍ طَيِّبٍ وَفِرَاشٍ لَيِّنٍ . فَأَقَامَ  
الْبُرْغُوثُ عِنْدَهَا حَتَّى إِذَا آوَى الرَّجُلُ إِلَى فِرَاشِهِ وَثَبَّ الْبُرْغُوثُ  
فَلَدَغَهُ لَدَغَةً أَيَقِظْتَهُ وَأَطَارَتْ النَّوْمَ عَنْهُ ، فَقَامَ الرَّجُلُ وَأَمَرَ أَنْ  
يُفْتَشَ فِرَاشَهُ فَنُظِرَ فَلَمْ يُرَ إِلَّا الْقَمْلَةَ فَأُخِذَتْ فَقُصِبَتْ وَفَرَّ  
الْبُرْغُوثُ .

وَأِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ صَاحِبَ الشَّرِّ لَا يَسْلَمُ  
مِنْ شَرِّهِ أَحَدٌ ، وَإِنْ هُوَ ضَعْفٌ عَنْ ذَلِكَ جَاءَ الشَّرُّ بِسَبَبِهِ . وَإِنْ  
كُنْتَ لَا تَخَافُ مِنْ شَتْرَبَةِ فَخَفَّ غَيْرُهُ مِنْ جُنْدِكَ الَّذِينَ قَدْ حَرَّشَهُمْ  
عَلَيْكَ وَحَمَلَهُمْ عَلَى عِدَاوَتِكَ .

فَوَقَعَ فِي نَفْسِ الْأَسَدِ كَلَامٌ دِمْنَةٌ فَقَالَ : فَمَا الَّذِي تَرَى إِذَنْ  
وَبِمَاذَا تُشِيرُ؟

قَالَ دِمْنَةٌ : إِنَّ الضَّرْسَ الْمَأْكُولَ لَا يَزَالُ صَاحِبُهُ مِنْهُ فِي أَلَمٍ  
وَأَذَى حَتَّى يَقْلَعَهُ . وَالطَّعَامُ الَّذِي قَدْ عَفِنَ فِي الْبَطْنِ الرَّاحَةَ فِي  
قَذْفِهِ ، وَالْعَدُوُّ الْمُخِيفَ دَوَاءَهُ قَتْلُهُ .

قَالَ الْأَسَدُ : لَقَدْ تَرَكْتَنِي أَكْرَهُ مُجَاوِرَةَ شَتْرَبَةِ إِيَّايَ ، وَأَنَا

مُرْسِلٌ إِلَيْهِ وَذَاكِرٌ لَهُ مَا وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْهُ وَأَمْرُهُ بِاللَّحَاقِ حَيْثُ أَحَبَّ .

فَكَرِهَ دِمْنَةَ ذَلِكَ وَعَلِمَ أَنَّ الْأَسَدَ مَتَى كَلَّمَ شَتْرَبَةَ فِي ذَلِكَ وَسَمِعَ مِنْهُ جَوَابًا عَرَفَ بَاطِلَ مَا أَتَى هُوَ بِهِ وَاطَّلَعَ عَلَى غَدْرِهِ وَكَذِبِهِ وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ . فَقَالَ لِلْأَسَدِ : أَمَّا إِرْسَالُكَ إِلَى شَتْرَبَةَ فَلَا أَرَاهُ لَكَ رَأْيًا وَلَا حَزْمًا ، فَلْيَنْظُرِ الْمَلِكُ فِي ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ لَكَ فِي نَفْسِكَ الْخِيَارُ مَا دَامَ لَا يَعْلَمُ أَنَّ أَمْرَهُ قَدْ وَصَلَ إِلَيْكَ . فَإِنَّهُ مَتَى عَلِمَ ذَلِكَ خِيفَتْ أَنْ يُعَاجِلَ الْمَلِكُ بِالْمُكَابَرَةِ ، وَهُوَ ، إِنْ قَاتَلَكَ ، قَاتَلَكَ مُسْتَعِدًّا ، وَإِنْ فَارَقَكَ فَارَقَكَ فِرَاقًا يَلِيكَ مِنْهُ النَّقْصُ وَيَلْزِمُكَ مِنْهُ الْعَارُ . مَعَ أَنَّ ذَوِي الرَّأْيِ مِنَ الْمُلُوكِ لَا يُعْلِنُونَ عَقُوبَةَ مَنْ لَمْ يُعْلِنِ ذَنْبَهُ ، وَلَكِنْ لِكُلِّ ذَنْبٍ عِنْدَهُمْ عَقُوبَةٌ ، فَلِذَنْبِ الْعَلَانِيَةِ عَقُوبَةُ الْعَلَانِيَةِ وَلِذَنْبِ السِّرِّ عَقُوبَةُ السِّرِّ .

قَالَ الْأَسَدُ : إِنْ الْمَلِكُ إِذَا عَاقَبَ أَحَدًا عَنْ ظَنِّهِ ظَنَّهَا مِنْ غَيْرِ نَيْقُنٍ لِحَرَمِهِ فَنَفْسُهُ عَاقِبَ ، وَإِيَّاهَا ظَلَمَ .

قَالَ دِمْنَةُ : أَمَّا إِذَا كَانَ هَذَا رَأْيَ الْمَلِكِ فَلَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكَ شَتْرَبَةُ إِلَّا وَأَنْتَ مُسْتَعِدٌّ لَهُ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُصِيبَكَ مِنْهُ غِرَّةٌ أَوْ غَفْلَةٌ ، فَإِنِّي لَا أَحْسَبُ الْمَلِكُ حِينَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ إِلَّا سَيَعْرِفُ أَنَّهُ قَدْ هَمَّ بِعَظِيمَةٍ . وَمِنْ عِلَامَاتِ ذَلِكَ أَنَّكَ تَرَى هَيْئَتَهُ مُتَغَيِّرَةً ، وَتَرَى

أَوْصَالَهُ تَرَعَدُ ، وَتَرَاهُ مُلْتَفِتًا يَمِينًا وَشِمَالًا ، وَتَرَاهُ يُصَوِّبُ قَرْنَيْهِ  
فِعْلَ الَّذِي هَمَّ بِالنُّطَاحِ وَالْقِتَالِ .

قَالَ الْأَسَدُ : سَأَكُونُ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ ؛ وَإِنْ رَأَيْتُ مِنْهُ مَا يَدُلُّ  
عَلَى مَا ذَكَرْتَ عَلِمْتُ أَنَّ مَا فِي أَمْرِهِ شَكٌّ .

فَلَمَّا فَرَغَ دِمْنَةً مِنْ تَحْرِيشِ الْأَسَدِ عَلَى الثَّوْرِ ، وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ  
وَقَعَ فِي نَفْسِهِ مَا كَانَ يَلْتَمِسُ ، وَأَنَّ الْأَسَدَ سَيَتَحَذَّرُ مِنَ الثَّوْرِ  
وَيَتَهَيَّأُ لَهُ ، أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ الثَّوْرَ لِيُغْرِيهَ بِالْأَسَدِ ، وَأَحَبُّ أَنْ يَكُونَ  
إِتْيَانُهُ مِنْ قِبَلِ الْأَسَدِ مَخَافَةَ أَنْ يَبْلُغَهُ ذَلِكَ فَيَتَأَذَى بِهِ . فَقَالَ : أَيُّهَا  
الْمَلِكُ ، أَلَا آتَيْتُ شَتْرَبَةَ فَأَنْظُرَ إِلَى حَالِهِ وَأَمْرِهِ ، وَأَسْمَعَ كَلَامَهُ لِعَلِّي  
أَطَّلِعَ عَلَى سِرِّهِ فَأُطَّلِعَ الْمَلِكُ عَلَى ذَلِكَ وَعَلَى مَا يَظْهَرُ لِي مِنْهُ .  
فَأَذِنَ لَهُ الْأَسَدُ فِي ذَلِكَ ، فَاَنْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى شَتْرَبَةَ كَالْكَيْبِ  
الْحَزِينِ . فَلَمَّا رَأَاهُ الثَّوْرُ رَحَّبَ بِهِ وَقَالَ : مَا كَانَ سَبَبُ انْقِطَاعِكَ  
عَنِّي ؟ فَإِنِّي لَمْ أَرَكَ مِنْذُ أَيَّامٍ . أَسَلَامَةٌ هُوَ ؟

قَالَ دِمْنَةٌ : وَمَتَى كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّلَامَةِ مَنْ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ ،  
وَأَمْرَهُ بِيَدِ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَا يُوثِقُ بِهِ ، وَلَا يَنْفَكُ عَلَى خَطَرٍ وَخَوْفٍ حَتَّى  
مَا مِنْ سَاعَةٍ تَمُرُّ وَيَأْمَنُ فِيهَا عَلَى نَفْسِهِ .

قَالَ شَتْرَبَةُ : وَمَا الَّذِي حَدَّثَ ؟



قَالَ دِمْنَةُ : حَدَّثَ مَا قُدِّرَ وَهُوَ كَائِنٌ ، وَمَنْ ذَا الَّذِي غَالَبَ الْقَدَرَ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي بَلَغَ مِنَ الدُّنْيَا جَسِيمًا مِنَ الْأُمُورِ فَلَمْ يَبْطُرْ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي بَلَغَ مِنْهُ فَلَمْ يَغْتَرَّ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي تَبِعَ هَوَاهُ فَلَمْ يَخْسَرْ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي حَدَّثَ النَّسَاءَ فَلَمْ يُصَبَّ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي طَلَبَ مِنَ اللَّئَامِ فَلَمْ يُحْرَمْ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي خَالَطَ الْأَشْرَارَ فَسَلِمَ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي صَحِبَ السُّلْطَانَ فَدَامَ لَهُ مِنْهُ الْأَمْنُ وَالْإِحْسَانُ؟ وَلَقَدْ صَدَقَ الَّذِي قَالَ : مَثَلُ السَّلَاطِينِ فِي قَلَّةِ وَفَائِهِمْ لِمَنْ صَحِبَهُمْ ، وَسَخَاءِ أَنْفُسِهِمْ بِمَنْ فَقَدُوا مِنْ قُرْنَائِهِمْ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْخَانِ كُلَّمَا فَقَدَ وَاحِدًا جَاءَ آخَرُ .

قَالَ شَتْرِبَةَ : إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ كَلَامًا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ رَابَكَ مِنْ الْأَسَدِ رَائِبٌ وَهَالِكٌ مِنْهُ أَمْرٌ .

قَالَ دِمْنَةُ : أَجَلٌ لَقَدْ رَابَنِي مِنْهُ ذَلِكَ وَلَيْسَ هُوَ فِي أَمْرِ نَفْسِي .

قَالَ شَتْرِبَةَ : فَفِي نَفْسٍ مَنْ رَابَكَ؟

قَالَ دِمْنَةُ : قَدْ تَعَلَّمُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَتَعَلَّمُ حَقَّكَ عَلَيَّ ، وَمَا كُنْتُ جَعَلْتُ لَكَ مِنَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ أَيَّامَ أَرْسَلَنِي الْأَسَدُ إِلَيْكَ ، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ حِفْظِكَ وَإِطْلَاعِكَ عَلَيَّ مَا أَطَّلَعْتُ عَلَيْهِ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْهُ .

قَالَ شَتْرَبَةُ : وَمَا الَّذِي بَلَغَكَ ؟

قَالَ دِمْنَةُ : حَدَّثَنِي الْخَبِيرُ الصَّدُوقُ الَّذِي لَا مَرِيَّةَ فِي قَوْلِهِ ،  
أَنَّ الْأَسَدَ قَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ وَجُلَسَائِهِ : قَدْ أَعْجَبَنِي سِمَنُ الثَّوْرِ  
وَلَيْسَ لِي إِلَى حَيَاتِهِ حَاجَةٌ ، فَأَنَا أَكَلُهُ وَمُطْعِمُ أَصْحَابِي مِنْ لَحْمِهِ .  
فَلَمَّا بَلَغَنِي هَذَا الْقَوْلُ وَعَرَفْتُ غَدْرَهُ وَسُوءَ عَهْدِهِ أَقْبَلْتُ إِلَيْكَ  
لَأَقْضِيَ حَقَّكَ وَتَحْتَالَ أَنْتَ لِأَمْرِكَ .

فَلَمَّا سَمِعَ شَتْرَبَةُ كَلَامَ دِمْنَةَ ، وَتَذَكَرَ مَا كَانَ دِمْنَةُ جَعَلَ لَهُ مِنَ  
الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ ، وَفَكَرَّ فِي أَمْرِ الْأَسَدِ ، ظَنَّ أَنَّ دِمْنَةَ قَدْ صَدَقَهُ  
وَنَصَحَ لَهُ ، وَرَأَى أَنَّ الْأَمْرَ شَبِيهُهُ بِمَا قَالَ دِمْنَةُ : فَأَهْمَهُ ذَلِكَ وَقَالَ :  
مَا كَانَ لِلْأَسَدِ أَنْ يَغْدِرَ بِي وَلَمْ آتِ إِلَيْهِ ذَنْبًا وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ جُنْدِهِ  
مُنْذُ صَحَبْتُهُ ، وَلَا أَظُنُّ الْأَسَدَ إِلَّا قَدْ حَمَلَ عَلَيَّ بِالْكَذِبِ وَشَبَّهَ عَلَيْهِ  
أَمْرِي . فَإِنَّ الْأَسَدَ قَدْ صَحَبَهُ قَوْمٌ سُوءٍ وَجَرَّبَ مِنْهُمْ الْكَذِبَ وَأُمُورًا  
تُصَدَّقُ إِذَا بَلَغَتْهُ عَنْ غَيْرِهِمْ . فَإِنَّ صُحْبَةَ الْأَشْرَارِ رَبَّمَا أَوْرَثَتْ  
صَاحِبَهَا سُوءَ ظَنٍّ بِالْأَخْيَارِ ، وَحَمَلَهُ مَا يَخْتَبِرُهُ مِنْهُمْ عَلَى الْخَطَا  
فِي حَقِّ غَيْرِهِمْ . كَخَطَا الْبَطَّةِ الَّتِي زَعَمُوا أَنَّهَا رَأَتْ فِي الْمَاءِ ضَوْءَ  
كَوْكَبٍ فَظَنَّتْهُ سَمَكَةً فَحَاوَلَتْ أَنْ تَصِيدَهَا . فَلَمَّا جَرَّبَتْ ذَلِكَ مِرَارًا  
عَلِمَتْ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ يُصَادُ فَتَرَكَتْهُ . ثُمَّ رَأَتْ مِنْ غَدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ

سَمَكَةٌ فَظَنَّتْ أَنَّهَا مِثْلُ الَّذِي رَأَتْهُ بِالْأَمْسِ فَتَرَكَتَهَا وَلَمْ تَطْلُبْ صَيْدَهَا .

فَإِنَّ كَانَ الْأَسَدُ قَدْ بَلَغَهُ عَنِّي كَذِبٌ فَصَدَّقَهُ عَلَيَّ وَسَمِعَهُ فِيَّ ،  
فَمَا جَرَى عَلَى غَيْرِي يَجْرِي عَلَيَّ ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يَبْلُغَهُ شَيْءٌ وَأَرَادَ  
السُّوءَ بِي مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَمَنْ أَعْجَبِ الْأُمُورِ . وَقَدْ كَانَ  
يُقَالُ : إِنَّ مِنَ الْعَجَبِ أَنْ يَطْلُبَ الرَّجُلُ رِضَى صَاحِبِهِ وَلَا يَرْضَى ،  
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَلْتَمِسَ رِضَاهُ فَيَسْخَطُ . فَإِذَا كَانَتِ الْمَوْجِدَةُ  
عَنْ عِلَّةٍ كَانَ الرِّضَى مَوْجُودًا وَالْعَفْوُ مَأْمُولًا ، وَإِذَا كَانَتْ عَنْ غَيْرِ  
عِلَّةٍ انْقَطَعَ الرَّجَاءُ ، لِأَنَّ الْعِلَّةَ إِذَا كَانَتِ الْمَوْجِدَةُ فِي وُرُودِهَا كَانَ  
الرِّضَى مَأْمُولًا فِي صُدُورِهَا .

وَقَدْ نَظَرْتُ فَلَا أَعْلَمُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَسَدِ جُرْمًا وَلَا كَبِيرَ ذَنْبٍ  
وَلَا صَغِيرَهُ . وَلِعَمْرِي ، لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَطَالَ صُحْبَةَ صَاحِبٍ أَنْ  
يَحْتَرِسَ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ ، وَلَا أَنْ يَتَحَفَّظَ مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ  
كَبِيرَةٌ أَوْ صَغِيرَةٌ يَكْرَهُهَا صَاحِبُهُ . وَلَكِنَّ الرَّجُلَ ذَا الْعَقْلِ وَالْوَفَاءِ  
إِذَا سَقَطَ عِنْدَهُ صَاحِبُهُ سَقَطَتْ نَظَرُ فِيهَا وَعَرَفَ قَدْرَ مَبْلَغِ خَطْبِهِ  
عَمْدًا كَانَ أَوْ خَطَأً ، ثُمَّ يَنْظُرُ هَلْ فِي الصَّفْحِ عَنْهُ أَمْرٌ يَخَافُ  
ضَرَرَهُ وَشَيْنَهُ فَلَا يُؤَاخِذُ صَاحِبَهُ بِشَيْءٍ يَجِدُ فِيهِ إِلَى الصَّفْحِ عَنْهُ  
سَبِيلًا .

فَإِنْ كَانَ الْأَسَدُ قَدْ اعْتَقَدَ عَلَيَّ ذَنْبًا فَلَسْتُ أَعْلَمُهُ ، إِلَّا أَنِّي خَالَفْتُهُ فِي بَعْضِ رَأْيِهِ بَطْرًا مِنِّي وَنَصِيحَةً لَهُ ، فَلَعَلَّهُ يَكُونُ قَدْ أَنْزَلَ أَمْرِي عَلَى الْجُرْأَةِ عَلَيْهِ وَالْمُخَالَفَةِ لَهُ . وَلَا أَجِدُ لِي فِي هَذَا الْمُحْضَرِ إِثْمًا مَا ، لِأَنِّي لَمْ أَخَالَفْهُ فِي شَيْءٍ إِلَّا مَا قَدْ نَدَرَ عِنْدَ مُخَالَفَتِهِ الرُّشْدَ وَالْمَنْفَعَةَ وَالِدِينَ ، وَلَمْ أَجَاهِرْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ عَلَى رُؤُوسِ جُنْدِهِ وَعِنْدَ أَصْحَابِهِ ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَخْلُو بِهِ وَأُكَلِّمُهُ سِرًّا كَلَامَ الْهَائِبِ الْمُوقِرِ ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ مَنْ التَّمَسَ الرَّخْصَ مِنَ الْإِخْوَانِ عِنْدَ الْمَشَاوِرَةِ وَمِنَ الْأَطِبَّاءِ عِنْدَ الْمَرَضِ ، وَمِنَ الْفُقَهَاءِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ فَقَدْ أَخْطَأَ مَنَافِعَ الرَّأْيِ وَازْدَادَ فِيهَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ تَوَرُّطًا وَحَمَلَ الْوِزْرَ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا فَلَعَلَّهُ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ سَكَرَاتِ السُّلْطَانِ ، فَإِنَّ صُحْبَةَ السُّلْطَانِ خَطِرَةٌ ، وَإِنْ صُوِّحَبَ بِالسَّلَامَةِ وَالثَّقَةِ وَالْمُودَةِ وَحُسْنِ الصُّحْبَةِ فَرُبَّمَا عَثَرَ مُصَاحِبُهُ الْعَثْرَةَ فَلَا يَنْتَعِشُ وَلَا تُقَالُ عَثْرَتُهُ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا فَبِعِضِّ مَا أُوتِيَتْ مِنْ الْفَضْلِ قَدْ جُعِلَ لِي فِيهِ الْهَلَاكُ ، وَبِعِضِّ الْمُحَاسِنِ آفَةٌ لِصَاحِبِهَا . فَإِنَّ الشَّجَرَةَ اللَّذِيذَةَ الثَّمَرِ رُبَّمَا كَانَ أَذَاهَا فِي حَمَلِهَا فَلُوِيَتْ أَغْصَانُهَا وَهُصِرَتْ أَطْرَافُهَا حَتَّى تَتَكَسَّرَ ، وَالطَّائِفُ الَّذِي ذَنْبُهُ أَفْضَلُهُ يُنْسَلُ فَيُؤَلِّهُ ، وَالْفَرَسَ الْمُهْطَمَ الْجَرِيَّ رُبَّمَا رُكِبَ حَتَّى يَنْقَطِعَ ، وَالْبَلْبَلُ الْحَسَنَ الصَّوْتِ يُحْبَسُ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الطَّيْرِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا وَلَا هَذَا فَهُوَ إِذَنْ مِنْ مَوَاقِعِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ الَّذِي لَا

يُدْفَعُ ، وَالْقَدْرُ هُوَ الَّذِي يَسْلُبُ الْأَسَدَ قُوَّتَهُ وَشِدَّتَهُ وَيُدْخِلُهُ الْقَبْرَ ،  
وَهُوَ الَّذِي يَحْمِلُ الرَّجُلَ الضَّعِيفَ عَلَى ظَهْرِ الْفِيلِ الْهَائِجِ ، وَهُوَ  
الَّذِي يُسَلِّطُ عَلَى الْحَيَّةِ ذَاتِ الْحَمَةِ مَنْ يَنْزِعُ حُمَتَهَا وَيَلْعَبُ بِهَا ،  
وَهُوَ الَّذِي يُصَيِّرُ الْعَاجِزَ حَازِمًا وَيُبْطِئُ الشَّهْمَ الْمُنْطَلِقَ ، وَيُوسِعُ عَلَى  
الْمُقْتَرِ وَيُشَجِّعُ الْجَبَانَ ، وَيُجَبِّنُ الشُّجَاعَ عِنْدَمَا تَعْتَرِيهِ الْمُقَادِيرُ  
بِالْعِلَلِ الَّتِي اتَّفَقَتْ لَهَا .

قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّ إِرَادَةَ الْأَسَدِ بِكَ لَيْسَتْ مِنْ تَحْرِيشِ الْأَشْرَارِ  
وَلَا سَكْرَةِ السُّلْطَانِ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّهَا الْغَدْرُ وَالْفُجُورُ مِنْهُ ،  
فَإِنَّهُ فَاجِرٌ خَوَّانٌ غَدَّارٌ ، لَطْعَامِهِ حَلَاوَةٌ وَآخِرُهُ سَمٌّ مُمِيتٌ .

قَالَ شَتْرِبَةُ : فَأَرَانِي قَدْ اسْتَلَذَّتْ الْحَلَاوَةَ إِذْ ذُقْتُهَا ، وَقَدْ  
انْتَهَيْتُ إِلَى آخِرِهَا الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ . وَلَوْلَا الْحَيْنُ مَا كَانَ مُقَامِي  
عِنْدَ الْأَسَدِ وَهُوَ آكِلٌ لَحْمٍ وَأَنَا آكِلٌ عُشْبٍ ، فَأَنَا فِي هَذِهِ الْوَرِطَةِ  
كَالْنَحْلَةِ الَّتِي تَجْلِسُ عَلَى نَوْرِ النَّيْلُوفَرِ إِذْ تَسْتَلِذُّ رِيحَهُ وَطَعْمَهُ  
فَتَحْبِسُهَا تِلْكَ اللَّذَّةُ عَنِ الْحَيْنِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَطِيرَ فِيهِ ، فَإِذَا  
جَاءَ اللَّيْلُ يَنْضُمُ عَلَيْهَا فَتَرْتَبِكُ فِيهِ وَتَمُوتُ . وَمَنْ لَمْ يَرْضَ مِنَ  
الدُّنْيَا بِالْكَفَافِ الَّذِي يُغْنِيهِ وَطَمَحَتْ عَيْنُهُ إِلَى مَا سِوَى ذَلِكَ وَلَمْ  
يَتَخَوَّفْ عَاقِبَتَهُ كَانَ كَالذُّبَابِ الَّذِي لَا يَرْضَى بِالشَّجَرِ وَالرِّيَاحِينَ ،  
وَلَا يُقْنِعُهُ ذَلِكَ حَتَّى يَطْلُبَ الْمَاءَ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ أُذُنِ الْفِيلِ فَيَضْرِبُهُ

الْفَيْلُ بِأَذَانِهِ فَيَهْلِكُهُ . وَمَنْ يَبْذُلْ وَدَّهَ وَنَصِيحَتَهُ لِمَنْ لَا يَشْكُرُهُ فَهُوَ  
كَمَنْ يَبْذُرُ فِي السَّبَّاحِ ، وَمَنْ يُشِيرَ عَلَى الْمُعْجَبِ فَهُوَ كَمَنْ يُشَاوِرُ  
الْمَيِّتَ أَوْ يُسَارُّ الْأَصَمَّ .

قَالَ دِمْنَةُ : دَعَّ عَنْكَ هَذَا الْكَلَامَ وَاحْتَلَّ لِنَفْسِكَ .

قَالَ شَتْرِبَةُ : بَأَيِّ شَيْءٍ أَحْتَالُ لِنَفْسِي إِذَا أَرَادَ الْأَسَدُ أَكْلِي مَعَ  
مَا عَرَفْتَنِي مِنْ رَأْيِ الْأَسَدِ وَسُوءِ أَخْلَاقِهِ ؟ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُرِدْ بِي  
إِلَّا خَيْرًا ، ثُمَّ أَرَادَ أَصْحَابُهُ بِمَكْرِهِمْ وَفُجُورِهِمْ هَلَاكِي لَقَدَرُوا عَلَى  
ذَلِكَ . فَإِنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَ الْمَكْرَةُ الظَّلْمَةُ عَلَى الْبَرِيِّ الصَّالِحِ كَانُوا  
خُلُقَاءَ أَنْ يَهْلِكُوهُ وَإِنْ كَانُوا ضِعْفَاءَ وَهُوَ قَوِيٌّ ، كَمَا أَهْلَكَ الذَّبُّ  
وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى الْجَمَلَ حِينَ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ بِالْمَكْرِ وَالْخُدَيْعَةِ  
وَالْخِيَانَةِ .

قَالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

مَثَلُ الذَّبِّ وَالْغُرَابِ وَابْنِ آوَى مَعَ الْجَمَلِ وَالْأَسَدِ .

قَالَ الثَّوْرُ شَتْرِبَةُ : زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجْمَةٍ مُجَاوِرَةٍ  
لِطَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ النَّاسِ وَكَانَ لَهُ أَصْحَابٌ ثَلَاثَةٌ : ذَبُّ وَغُرَابٌ وَابْنُ  
آوَى . وَإِنَّ رِعَاةَ مَرُوءًا بِذَلِكَ الطَّرِيقِ وَمَعَهُمْ جِمَالٌ فَتَخَلَّفَ مِنْهَا  
جَمَلٌ فَدَخَلَ تِلْكَ الْأَجْمَةَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْأَسَدِ . فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ :

مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ : مِنْ مَوْضِعٍ كَذَا . قَالَ : فَمَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ :  
مَا يَأْمُرُنِي بِهِ الْمَلِكُ . قَالَ : تَقِيمُ عِنْدَنَا فِي السَّعَةِ وَالْأَمْنِ  
وَالْخَصْبِ . فَأَقَامَ الْأَسَدُ وَالْجَمَلُ مَعَهُ زَمَانًا طَوِيلًا . ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ  
مَضَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لِيَطْلُبَ مُثْقَلًا مُتَخَنًا بِالْجِرَاحِ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ ،  
وَقَدْ خَدَشَهُ الْفِيلُ بِأَنْيَابِهِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَكَانِهِ وَقَعَ لَا يَسْتَطِيعُ  
حَرَكًَا وَلَا يَقْدِرُ عَلَى طَلَبِ الصَّيْدِ . فَلَبِثَ الذُّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى  
أَيَّامًا لَا يَجِدُونَ طَعَامًا لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ فَضَلَاتِ الْأَسَدِ  
وَطَعَامِهِ ، فَأَصَابَهُمْ وَأَصَابَهُ جُوعٌ شَدِيدٌ وَهُزَالٌ ، وَعَرَفَ الْأَسَدُ  
مِنْهُمْ ذَلِكَ فَقَالَ : لَقَدْ جَهَدْتُمْ وَاحْتَجْتُمْ إِلَى مَا تَأْكُلُونَ . فَقَالُوا : لَا  
تَهْمُنَا أَنْفُسُنَا ، لَكِنَّا نَرَى الْمَلِكَ عَلَى مَا نَرَاهُ فَلَيْتَنَا نَجِدُ مَا يَأْكُلُهُ  
وَيُصَلِّحُهُ . قَالَ الْأَسَدُ : مَا أَشْكُ فِي نَصِيحَتِكُمْ ، وَلَكِنْ انْتَشِرُوا  
لِعَلَّكُمْ تُصِيبُونَ صَيْدًا تَأْتُونَنِي بِهِ فَيُصِيبُنِي وَيُصِيبُكُمْ مِنْهُ رِزْقٌ .

فَخَرَجَ الذُّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ فَتَنَحَّوْا  
وَأَتَمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا : مَا لَنَا وَلِهَذَا الْأَكْلِ الْعُشْبَ الَّذِي لَيْسَ  
شَأْنُهُ مِنْ شَأْنِنَا وَلَا رَأْيُهُ مِنْ رَأِينَا ! أَلَا نُزِينُ لِلْأَسَدِ فَيَأْكُلُهُ  
وَيُطْعِمُنَا مِنْ لَحْمِهِ .

قَالَ ابْنُ آوَى : هَذَا مِمَّا لَا نَسْتَطِيعُ ذِكْرَهُ لِلْأَسَدِ لِأَنَّهُ قَدْ أَمَّنَ  
الْجَمَلَ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ .

قَالَ الْغُرَابُ : أَنَا أَكْفِيكُمْ أَمْرَ الْأَسَدِ . ثُمَّ انْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ ،  
فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : هَلْ أَصَبْتَ شَيْئًا ؟

قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّمَا يُصِيبُ مِنْ يَسَعَى وَيُبْصِرُ ، وَأَمَّا نَحْنُ فَلَا  
سَعَى لَنَا وَلَا بَصَرَ لِمَا بِنَا مِنَ الْجُوعِ . وَلَكِنْ قَدْ وَفَّقْنَا إِلَى أَمْرٍ  
وَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ ، إِنَّ وَافَقْنَا الْمَلِكُ فَنَحْنُ لَهُ مُجِيبُونَ .

قَالَ الْأَسَدُ : وَمَا ذَاكَ ؟

قَالَ الْغُرَابُ : هَذَا الْجَمَلُ أَكَلَ الْعُشْبَ الْمُتَمَرِّغُ بَيْنَنَا مِنْ غَيْرِ  
مَنْفَعَةٍ لَنَا مِنْهُ وَلَا رَدًّا عَائِدَةً وَلَا عَمَلٍ يُعْقِبُ مَصْلَحَةً . فَلَمَّا سَمِعَ  
الْأَسَدُ ذَلِكَ غَضِبَ وَقَالَ : مَا أَخْطَأُ رَأْيِكَ وَمَا أَعْجَزَ مَقَالِكَ  
وَأَبْعَدَكَ عَنِ الْوَفَاءِ وَالرَّحْمَةِ ، وَمَا كُنْتَ حَقِيقًا أَنْ تَجْتَرِيءَ عَلَيَّ  
بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ وَتَسْتَقْبِلَنِي بِهَذَا الْخَطَابِ مَعَ مَا عَلِمْتَ مِنْ أَنِّي قَدْ  
أَمَنْتُ الْجَمَلَ وَجَعَلْتُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِي ، أَوْ لَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ  
بِصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ أَجْرًا مِمَّنْ أَمَّنَ نَفْسًا خَائِفَةً وَحَقَنَ دَمًا مَهْدُورًا  
؟ وَقَدْ أَمَنْتُهُ وَلَسْتُ بِغَادِرٍ بِهِ وَلَا خَافِرٍ لَهُ ذِمَّةً .

قَالَ الْغُرَابُ : إِنِّي لِأَعْرِفُ مَا يَقُولُ الْمَلِكُ وَلَكِنَّ النَّفْسَ  
الْوَّاحِدَةَ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْبَيْتِ ، وَأَهْلُ الْبَيْتِ تُفْتَدَى بِهِمُ الْقَبِيلَةُ ،  
وَالْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْمَصْرِ ، وَأَهْلُ الْمَصْرِ فِدَى الْمَلِكِ . وَقَدْ



نَزَلَتْ بِالْمَلِكِ الْحَاجَّةُ وَأَنَا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجًا عَلَى أَلَّا يَتَكَلَّفَ الْمَلِكُ ذَلِكَ وَلَا يَلِيهِ بِنَفْسِهِ وَلَا يَأْمُرُ بِهِ أَحَدًا وَلَكِنَّا نَحْتَالُ بِحِيلَةٍ لَنَا وَلَهُ فِيهَا صِلَاحٌ وَظَفَرٌ . فَسَكَتَ الْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ الْغُرَابِ عَنْ هَذَا الْخَطَابِ .

فَلَمَّا عَرَفَ الْغُرَابُ إِقْرَارَ الْأَسَدِ أَتَى صَاحِبِيهِ فَقَالَ لَهُمَا : قَدْ كَلَّمْتُ الْأَسَدَ فِي أَكْلِهِ الْجَمَلِ عَلَى أَنْ نَجْتَمِعُ نَحْنُ وَالْجَمَلُ عِنْدَ الْأَسَدِ فَتَذَكَّرَ مَا أَصَابَهُ وَتَوَجَّعَ لَهُ اهْتِمَامًا مِنَّا بِأَمْرِهِ وَحَرِصًا عَلَى صِلَاحِهِ ، وَيَعْرِضُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا نَفْسَهُ عَلَيْهِ تَجَمُّلاً لِيَأْكُلَهُ ، فَيَرُدُّ الْآخِرَانَ عَلَيْهِ وَيُسْفَهَانِ رَأْيَهُ وَيُبَيِّنَانِ الضَّرَرَ فِي أَكْلِهِ . فَإِذَا جَاءَتْ نَوْبَةُ الْجَمَلِ صَوَّبْنَا رَأْيَهُ فَهَلَكَ وَسَلِمْنَا كُلُّنَا وَرَضِيَ الْأَسَدُ عَنَّا . فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْأَسَدِ .

قَالَ الْغُرَابُ : قَدْ احْتَجَجْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِلَى مَا يَقُوتُكَ ، وَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهَبَ أَنْفُسَنَا لَكَ فَإِنَّا بِكَ نَعِيشُ ، فَإِذَا هَلَكْتَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا بَقَاءٌ بَعْدَكَ ، وَلَا لَنَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ خَيْرَةٍ فَلْيَأْكُلْنِي الْمَلِكُ فَقَدْ طَبِئْتُ بِذَلِكَ نَفْسًا . فَأَجَابَهُ الذَّبُّ وَابْنُ آوَى : أَنْ اسْكُتْ ، فَلَا خَيْرَ لِلْمَلِكِ فِي أَكْلِكَ وَلَيْسَ فِيكَ شِبَعٌ .

قَالَ ابْنُ آوَى : لَكِنَ أَنَا أَشْبَعُ الْمَلِكِ فَلْيَأْكُلْنِي فَقَدْ رَضِيْتُ بِذَلِكَ وَطَبِئْتُ نَفْسًا . فَرَدَّ عَلَيْهِ الذَّبُّ وَالْغُرَابُ بِقَوْلِهِمَا : إِنَّكَ لَمُنْتَنٌ

قَدِرٌ . قَالَ الذَّبُّ : إِنِّي لَسْتُ كَذَلِكَ فَلْيَأْكُلْنِي الْمَلِكُ ، فَقَدْ سَمَحْتُ  
بِذَلِكَ وَطَابَتْ بِهِ نَفْسِي . فاعْتَرَضَهُ الْغُرَابُ وَابْنُ أَوَى وَقَالَا : قَدْ  
قَالَتِ الْأَطِبَّاءُ : مَنْ أَرَادَ قَتْلَ نَفْسِهِ فَلْيَأْكُلْ لَحْمَ ذَبِّ .

فَظَنَّ الْجَمَلُ أَنَّهُ إِذَا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَكْلِ التَّمَسُّوا لَهُ عُذْرًا  
كَمَا التَّمَسَّ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ الْأَعْدَارِ فَيَسْلَمُ وَيَرْضَى الْأَسَدُ عَنْهُ  
بِذَلِكَ وَيَنْجُو مِنَ الْمَهَالِكِ ، فَقَالَ : لَكِنَ أَنَا فِيَّ لِلْمَلِكِ شَبَعٌ وَرِيٌّ ،  
وَلَحْمِي طَيِّبٌ هَنِيءٌ وَبَطْنِي نَظِيفٌ فَلْيَأْكُلْنِي الْمَلِكُ وَيُطْعَمَ أَصْحَابُهُ  
وَخَدَمُهُ ، فَقَدْ رَضِيْتُ بِذَلِكَ وَطَابَتْ نَفْسِي بِهِ . فَقَالَ الذَّبُّ وَابْنُ  
أَوَى وَالْغُرَابُ : لَقَدْ صَدَقَ الْجَمَلُ وَكَرَّمَ وَقَالَ مَا عَرَفَ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ  
وَتَّبُوا عَلَيْهِ فَمَزَّقُوهُ .

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَسَدِ  
قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى هَلَاكِي فَإِنِّي لَسْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَمْتَعَ مِنْهُمْ وَلَا  
أَحْتَرِسَ ، وَإِنْ كَانَ رَأْيُ الْأَسَدِ فِيَّ عَلَى غَيْرِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الرَّأْيِ ،  
فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُنِي وَلَا يُغْنِي عَنِّي شَيْئًا . وَقَدْ يُقَالُ : خَيْرُ  
السَّلَاطِينِ مَنْ أَشَبَّهُ النَّسْرَ وَحَوْلَهُ الْجَيْفُ لَا مَنْ أَشَبَّهُ الْجَيْفَةَ  
وَحَوْلَهَا النَّسُورُ . وَلَوْ أَنَّ الْأَسَدَ لَمْ يَكُنْ فِي نَفْسِهِ لِي إِلَّا الْخَيْرُ  
وَالرَّحْمَةُ لَغَيَّرْتَهُ كَثْرَةُ الْأَقَاوِيلِ ، فَإِنَّهَا إِذَا كَثُرَتْ لَمْ تَكُفَّ دُونَ أَنْ  
تُذْهَبَ الرَّقَّةُ وَالرَّافَةُ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَاءَ لَيْسَ كَالْقَوْلِ ، وَأَنَّ الْحَجَرَ

أَشَدُّ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَالْمَاءُ إِذَا دَامَ أَنْحِدَارُهُ عَلَى الْحَجَرِ لَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى يَتَّقِبَهُ وَيُؤَثِّرَ فِيهِ ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْإِنْسَانِ .

قَالَ دِمْنَةُ : فَمَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ الْآنَ ؟

قَالَ شَتْرِبَةُ : مَا أَرَى إِلَّا الْاجْتِهَادَ وَالْمُجَاهَدَةَ بِالْقِتَالِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْمُصَلِّي فِي صَلَاتِهِ وَلَا لِلْمُتَصَدِّقِ فِي صَدَقَتِهِ ، وَلَا لِلْوَرَعِ فِي وَرَعِهِ مِنَ الْأَجْرِ مَا لِلْمُجَاهِدِ عَنِ نَفْسِهِ إِذَا كَانَتْ مُجَاهَدَتُهُ عَلَى الْحَقِّ .

قَالَ دِمْنَةُ : لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُخَاطِرَ بِنَفْسِهِ وَهُوَ يَسْتَطِيعُ غَيْرَ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّ ذَا الرَّأْيِ جَاعِلُ الْقِتَالِ آخِرَ الْحَيْلِ ، وَبَادِيءُ قَبْلِ ذَلِكَ بِمَا اسْتَطَاعَ مِنْ رَفَقٍ وَتَحَمُّلٍ . وَقَدْ قِيلَ : لَا تَحْقِرَنَّ الْعَدُوَّ وَالضَّعِيفَ الْمُهِينِ ، وَلَا سَيِّمًا إِذَا كَانَ ذَا حِيلَةٍ وَيَقْدِرُ عَلَى الْأَعْوَانِ ، فَكَيْفَ بِالْأَسَدِ عَلَى جُرَّاتِهِ وَشِدَّتِهِ ؟ فَإِنَّ مِنْ حَقَرِ عَدُوِّهِ لَضَعْفِهِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ وَكَيْلَ الْبَحْرِ مِنَ الطَّيْطُوي . قَالَ شَتْرِبَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

\*\*\*\*\*

### وكيل البحر والطيטوي :

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ طَائِرًا مِنْ طُيُورِ الْبَحْرِ يُقَالُ لَهُ

الطَّيِّطَوِي، كَانَ وَطْنُهُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ وَمَعَهُ زَوْجَةٌ لَهُ . فَلَمَّا جَاءَ  
أَوَانُ إِفْرَاحِهِمَا قَالَتِ الْأُنْثَى لِلذَّكَرِ : لَوْ التَّمَسْنَا مَكَانًا حَرِيضًا غَيْرَ  
هَذَا نَفْرَحُ فِيهِ ، فَإِنِّي أَخَافُ مِنَ الْبَحْرِ إِذَا مَدَّ الْمَاءُ أَنْ يَذْهَبَ  
بِفِرَاحِنَا . فَقَالَ لَهَا : مَا أَرَاهُ يَحْمِلُ عَلَيْنَا فَإِنَّ وَكَيْلَ الْبَحْرِ يَخَافُنِي  
أَنْ أَنْتَقِمَ مِنْهُ ، فَأَفْرَحِي فِي مَكَانِكَ فَإِنَّهُ مُوَافِقٌ لَنَا ، وَالْمَاءُ وَالزَّهْرُ  
مِنَّا قَرِيبٌ . قَالَتْ لَهُ : يَا غَافِلُ مَا أَشَدَّ عِنَادَكَ وَتَصَلُّبَكَ ، أَمَا  
تَذْكُرُ وَعَيْدَهُ وَتَهْدُدُهُ إِيَّاكَ ؟ أَلَا تَعْرِفُ نَفْسَكَ وَقَدْرَكَ فِي وَعِيدِ مَنْ  
لَا طَاقَةَ لَكَ بِهِ ؟ فَأَبَى أَنْ يُطِيعَهَا . فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَسْمَعْ  
قَوْلَهَا قَالَتْ لَهُ : إِنْ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ النَّاصِحِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ  
السُّلْحَفَاةَ حِينَ لَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ الْبَطَّتَيْنِ . قَالَ الذَّكَرُ وَكَيْفَ كَانَ  
ذَلِكَ؟

\* \* \* \* \*

### السُّلْحَفَاةُ وَالْبَطَّتَانِ :

قَالَتِ الْأُنْثَى : زَعَمُوا أَنَّ غَدِيرًا كَانَ عِنْدَهُ عُشْبٌ وَكَانَ فِيهِ  
بَطَّتَانِ ، وَكَانَ فِي الْغَدِيرِ سُلْحَفَاةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَطَّتَيْنِ مَوَدَّةٌ  
وَصَدَاقَةٌ . فَاتَّفَقَ أَنْ غِيضَ ذَلِكَ الْمَاءُ ، فَجَاءَتِ الْبَطَّتَانِ لِدَوَاعِ  
السُّلْحَفَاةِ وَقَالَتَا : السَّلَامُ عَلَيْكَ فَإِنَّا ذَاهِبَتَانِ عَنْ هَذَا الْمَكَانِ  
لَأَجْلِ نَقْصَانِ الْمَاءِ عَنْهُ . فَقَالَتْ : إِنَّمَا يَبِينُ نَقْصَانُ الْمَاءِ عَلَى مِثْلِي

الَّتِي كَأَنِّي السَّفِينَةُ لَا أَقْدِرُ عَلَى الْعَيْشِ إِلَّا بِالْمَاءِ ، فَأَمَّا أَنْتُمَا فَتَقْدِرَانِ عَلَى الْعَيْشِ حَيْثُ كُنْتُمَا ، فَادْهَبَا بِي مَعَكُمْ . قَالَتَا : نَعَمْ . قَالَتْ : كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى حَمَلِي ؟ قَالَتَا : نَأْخُذُ بِطَرْفِي عُودٍ وَتَقْبِضِينَ بِفِيكَ عَلَى وَسْطِهِ وَنَطِيرُ بِكَ فِي الْجَوِّ . وَإِيَّاكَ إِذَا سَمِعْتَ النَّاسَ يَتَكَلَّمُونَ أَنْ تَنْطِقِي . ثُمَّ أَخَذَتَاهَا فَطَارَتَا بِهَا فِي الْجَوِّ . فَقَالَ النَّاسُ : عَجَبٌ سُلْحَفَاةٌ بَيْنَ بَطَّتَيْنِ قَدْ حَمَلَتَاهَا . فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ قَالَتْ : فَقَا اللَّهُ أَعْيَنَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ . فَلَمَّا فَتَحَتْ فَاهَا بِاللُّغْطِ وَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ فَمَاتَتْ .

قَالَ الذَّكَرُ : قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكَ فَلَا تَخَافِي وَكَيْلَ الْبَحْرِ .  
فَلَمَّا مَدَّ الْمَاءَ دَنَا وَكَيْلَ الْبَحْرِ فَذَهَبَ بِفِرَاحِهِمَا .

فَقَالَتِ الْأُنْثَى : قَدْ عَرَفْتُ فِي بَدءِ الْأَمْرِ أَنَّ هَذَا كَائِنٌ وَمَا أَصَابَنَا إِنَّمَا هُوَ بِتَفْرِيطِكَ .

قَالَ الذَّكَرُ : قَدْ قُلْتُ مَا قُلْتُ ، وَأَنَا عَلَى قَوْلِي ، وَسَوْفَ تَرِينَ صُنْعِي بِهِ وَأَنْتِقَامِي مِنْهُ . ثُمَّ مَضَى إِلَى جَمَاعَةِ الطَّيْرِ فَقَالَ لَهُنَّ : إِنَّكُمْ أَخَوَاتِي وَتَقَاتِي فَأَعِنِّي . قُلْنَ : مَاذَا تُرِيدُ أَنْ نَفْعَلَ ؟ قَالَ : تَجْتَمِعْنَ وَتَذْهَبْنَ مَعِي إِلَى سَائِرِ الطَّيْرِ فَنَشْكُو إِلَيْهِنَّ مَا لَقِيتُ مِنْ وَكَيْلِ الْبَحْرِ وَنَقُولَ لَهُنَّ : إِنَّكُمْ طَيْرٌ مِثْلَنَا فَأَعِنَّا . فَقَالَتْ لَهُ جَمَاعَةُ الطَّيْرِ : إِنَّ الْعَنْقَاءَ بِنْتُ الرِّيحِ هِيَ سَيِّدَتُنَا وَمَلِكَتُنَا ، فَادْهَبْ

بِنَا إِلَيْهَا حَتَّى نَصِيحَ بِهَا فَتَظَهَرَ لَنَا ، فَشَكُوْا إِلَيْهَا مَا نَالَكَ مِنْ  
وَكَيْلِ الْبَحْرِ وَنَسَأَلَهَا أَنْ تَنْتَقِمَ لَنَا مِنْهُ بِقُوَّةِ مُلْكِهَا . ثُمَّ إِنَّهُنَّ ذَهَبْنَ  
إِلَيْهَا مَعَ الطَّيْطَوِيِّ فَاسْتَغْثَتْهَا وَصَحْنَ بِهَا فَتَرَاءَتْ لَهُنَّ ، فَأَخْبَرْنَهَا  
بِقِصَّتِهِنَّ وَسَأَلْنَهَا أَنْ تَطِيْرَ مَعَهُنَّ إِلَى مَحَارِبَةِ وَكَيْلِ الْبَحْرِ ،  
فَأَجَابَتْهُنَّ إِلَى ذَلِكَ . فَلَمَّا عَلِمَ وَكَيْلُ الْبَحْرِ أَنَّ الْعَنْقَاءَ قَدْ قَصَدَتْهُ  
فِي جَمَاعَةِ الطَّيْرِ ، خَافَ مِنْ مَحَارِبَةِ مَلِكٍ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ فَرَدَّ فِرَاحَ  
الطَّيْطَوِيِّ وَصَالِحَهُ فَرَجَعَتِ الْعَنْقَاءُ عَنْهُ .

وَإِنَّمَا حَدَّثْتُكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْقِتَالَ مَعَ الْأَسَدِ لَا أَرَاهُ  
لَكَ رَأْيًا . قَالَ شَتْرَبَةُ : فَمَا أَنَا بِمُقَاتِلِ الْأَسَدِ وَلَا نَاصِبٍ لَهُ الْعِدَاوَةَ  
سِرًّا وَلَا عِلَانِيَةً وَلَا مُتَغَيِّرٍ لَهُ عَمَّا كُنْتُ عَلَيْهِ حَتَّى يَبْدُوَ لِي مِنْهُ مَا  
أَتَخَوَّفُ فَأُغَالِبُهُ . فَكَّرَهُ دِمْنَةُ قَوْلُهُ وَعَلِمَ أَنَّ الْأَسَدَ إِنْ لَمْ يَرِ مِنْ  
الثَّوْرِ الْعَلَامَاتِ الَّتِي كَانَ ذَكَرَهَا لَهُ أَتَهَمَهُ وَأَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ ، فَقَالَ  
لِشَتْرَبَةَ : اذْهَبْ إِلَى الْأَسَدِ عَرَفْتُ صِدْقَكَ فِي قَوْلِكَ .

ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ لَمَّا فَرَغَ مِنْ تَحْرِيشِ الْأَسَدِ عَلَى الثَّوْرِ ، وَالثَّوْرُ  
عَلَى الْأَسَدِ ، تَوَجَّهَ إِلَى كَلِيلَةَ ، فَلَمَّا اتَّقِيَا قَالَ كَلِيلَةُ : إِيَّاكَ أَنْتَهَى  
عَمَلُكَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : قَرِيبٌ مِنَ الْفِرَاحِ عَلَى مَا أُحِبُّ  
وَتُحِبُّ . ثُمَّ إِنَّ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ انْطَلَقَا جَمِيعًا لِيَحْضُرَا قِتَالَ الْأَسَدِ  
وَالثَّوْرِ وَيَنْظُرَا مَا يَجْرِي بَيْنَهُمَا وَمَا يُؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُمَا . وَجَاءَ

شْتَرِبَةُ فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فَرَأَهُ مُقْعِيًّا كَمَا وَصَفَهُ لَهُ دِمْنَةٌ . فَقَالَ :  
مَا صَاحِبُ السُّلْطَانِ إِلَّا كَصَاحِبِ الْحَيَّةِ الَّتِي فِي صَدْرِهِ ، لَا يَدْرِي  
مَتَى تَهِيجُ عَلَيْهِ . ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ نَظَرَ إِلَى الثَّوْرِ فَرَأَى الدَّلَالَاتِ الَّتِي  
ذَكَرَهَا لَهُ دِمْنَةٌ ، فَلَمْ يَشْكُ أَنَّهُ جَاءَ لِقِتَالِهِ ، فَوَاقَبَهُ وَنَشَاتَ بَيْنَهُمَا  
الْحَرْبُ وَاشْتَدَّ قِتَالُ الثَّوْرِ وَالْأَسَدِ وَطَالَ ، وَسَالَتْ بَيْنَهُمَا الدِّمَاءُ .

فَلَمَّا رَأَى كَلِيلَةَ أَنَّ الْأَسَدَ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْقِتَالِ مَا بَلَغَ ، قَالَ  
لِدِمْنَةَ : أَيُّهَا الْفَسَلُ مَا أَنْكَرَ جَهْلَتَكَ وَأَسْوَأَ عَاقِبَتِكَ فِي تَدْبِيرِكَ .

قَالَ دِمْنَةٌ : وَمَا ذَاكَ ؟

قَالَ كَلِيلَةُ : جُرِحَ الْأَسَدُ وَهَلَكَ الثَّوْرُ . وَإِنَّ أَخْرَقَ الْخُرْقَ مَنْ  
حَمَلَ صَاحِبَهُ عَلَى سُوءِ الْخُلُقِ وَالْمُبَارَزَةِ وَالْقِتَالِ ، وَهُوَ يَجِدُ إِلَى  
غَيْرِ ذَلِكَ سَبِيلًا . وَإِنَّ الْعَاقِلَ يُدَبِّرُ أَشْيَاءَ وَيَقِيسُهَا قَبْلَ مُبَاشَرَتِهَا :  
فَمَا رَجَا أَنْ يَتِمَّ لَهُ مِنْهَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ . وَمَا خَافَ أَنْ يَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ مِنْهَا  
انْحَرَفَ عَنْهُ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ . وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ عَاقِبَةَ بَغْيِكَ هَذَا ،  
فَإِنَّكَ قَدْ أَحْسَنْتَ الْقَوْلَ وَلَمْ تُحَسِّنِ الْعَمَلَ . أَيُّنَ مُعَاهَدَتِكَ إِيَّايَ  
أَنَّكَ لَا تُضِرُّ بِالْأَسَدِ فِي تَدْبِيرِكَ ؟ وَقَدْ قِيلَ : لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ إِلَّا  
مَعَ الْعَمَلِ ، وَلَا فِي الْفِقْهِ إِلَّا مَعَ الْوَرَعِ ، وَلَا فِي الصَّدَقَةِ إِلَّا مَعَ  
النِّيَّةِ ، وَلَا فِي الْمَالِ إِلَّا مَعَ الْجُودِ وَلَا فِي الصَّدَقِ إِلَّا مَعَ الْوَفَاءِ ،

وَلَا فِي الْحَيَاةِ إِلَّا مَعَ الصَّحَّةِ ، وَلَا فِي الْأَمْنِ إِلَّا مَعَ السُّرُورِ . وَقَدْ  
شَرَطْتَ أَمْرًا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا الْعَاقِلُ الرَّفِيقُ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَدَبَ يُذْهِبُ عَنِ الْعَاقِلِ الطَّيِّشَ وَيَزِيدُ الْأَحْمَقَ  
طَيْشًا ، كَمَا أَنَّ النَّهَارَ يَزِيدُ كُلَّ ذِي بَصَرٍ نَظْرًا ، وَيَزِيدُ الْخُفَّاشَ  
سُوءَ النَّظَرِ . وَقَدْ أَذَكَّرَنِي أَمْرُكَ شَيْئًا سَمِعْتَهُ . فَإِنَّهُ يُقَالُ : إِنَّ  
السُّلْطَانَ إِذَا كَانَ صَالِحًا وَوَزَرَؤُهُ سُوءًا مَنَعُوا خَيْرَهُ ، فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ  
أَنْ يَدْنُو مِنَ الْأَسَدِ أَحَدٌ سِوَاكَ ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَصِحُّ وَلَا يَتِمُّ أَبَدًا ،  
وَذَلِكَ لِلْمَثَلِ الْمَضْرُوبِ : إِنَّ الْبَحْرَ بِأَمْوَاغِهِ وَالسُّلْطَانَ بِأَصْحَابِهِ .  
وَمِنَ الْحَمَقِ الْحَرِصُّ عَلَى التَّمَّاسِ الْإِخْوَانَ بِغَيْرِ الْوَفَاءِ لَهُمْ ،  
وَالتَّمَّاسِ الْآخِرَةَ بِالرِّيَاءِ ، وَنَفَعَ النَّفْسَ بِضَرِّ الْغَيْرِ . وَمَا عِظْتِي  
وَتَأْدِيبِي إِيَّاكَ إِلَّا كَمَا قَالَ الرَّجُلُ لِلطَّائِرِ : لَا تَلْتَمِسْ تَقْوِيمَ مَا لَا  
يَسْتَقِيمُ ، وَلَا تُعَالِجْ تَأْدِيبَ مَا لَا يَتَأَدَّبُ . قَالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كَانَ  
ذَلِكَ ؟

\*\*\*\*\*

### القردة والطائر واليراعة :

قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْقِرْدَةِ كَانُوا سَاكِنِينَ فِي  
جَبَلٍ . فَالْتَمَسُوا فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ ذَاتِ رِيَّاحٍ وَأَمْطَارٍ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا .



فَرَأَوْا يِرَاعَةً تَطِيرُ كَأَنَّهَا شَرَارَةٌ نَارٌ فَظَنُّوْهَا نَارًا وَجَمَعُوا حَطْبًا كَثِيرًا ، فَأَلْقَوْهُ عَلَيْهَا وَجَعَلُوا يَنْفُخُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَتَرَوِّحُونَ بِأَيْدِيهِمْ طَمَعًا فِي أَنْ يُوقِدُوا نَارًا يَصْطَلُّونَ بِهَا مِنَ الْبَرْدِ . وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ طَائِرٌ عَلَى شَجَرَةٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَقَدْ رَأَى مَا صَنَعُوا فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ وَيَقُولُ : لَا تَتَّعِبُوا فَإِنَّ الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ لَيْسَ بِنَارٍ . فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ عَزَمَ عَلَى الْقُرْبِ مِنْهُمْ لِيَنْهَاهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَعَرَفَ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : لَا تَلْتَمِسْ تَقْوِيمَ مَا لَا يَسْتَقِيمُ فَإِنَّ الْحَجَرَ الصُّلْبَ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ لَا تُجَرَّبُ عَلَيْهِ السُّيُوفُ ، وَالْعُودَ الَّذِي لَا يَنْحَنِي لَا تَعْمَلُ مِنْهُ الْقَوْسُ ، فَلَا تَتَّعِبْ . فَأَبَى الطَّائِرُ أَنْ يُطِيعَهُ وَتَقَدَّمَ إِلَى الْقَرْدَةِ لِيُعْرِفَهُمْ أَنَّ الْيِرَاعَةَ لَيْسَتْ بِنَارٍ ، فَتَتَاوَلَهُ بَعْضُ الْقَرْدَةِ فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ فَمَاتَ . فَهَذَا مِثْلُكَ مَعِيَ فِي ذَلِكَ . ثُمَّ قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ الْخَبُّ وَالْفُجُورُ وَهُمَا خَلَّتَا سُوءَ وَالْخَبُّ شَرُّهُمَا عَاقِبَةٌ وَلِهَذَا مِثْلٌ . قَالَ دِمْنَةُ : وَمَا ذَلِكَ الْمِثْلُ ؟

\*\*\*\*\*

### الخبُّ والمغفل :

قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ خَبًّا وَمُغْفَلًا اشْتَرَكَا فِي تِجَارَةٍ وَسَافَرَا . فَبَيْنَمَا هُمَا فِي الطَّرِيقِ تَخَلَّفَ الْمُغْفَلُ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ فَوَجَدَ كَيْسًا فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ فَأَخَذَهُ . فَأَحْسَبُ بِهِ الْخَبُّ فَرَجَعَا إِلَى بِلَدِهِمَا حَتَّى

إِذَا ذَنُورًا مِنَ الْمَدِينَةِ قَعَدًا لِاقْتِسَامِ الْمَالِ . فَقَالَ الْمُغْفَلُ : خُذْ نِصْفَهُ  
وَأَعْطِنِي نِصْفَهُ ، وَكَانَ الْخُبُّ قَدْ قَرَّرَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ بِالْأَلْفِ  
جَمِيعَهَا . فَقَالَ : لَا نَقْتَسِمُ ، فَإِنَّ الشَّرْكَاءَ وَالْمُفَاوِضَةَ أَقْرَبُ إِلَيَّ  
الصَّفَاءِ وَالْمُخَالَطَةَ ، وَلَكِنْ أَخُذْ نَفَقَةً وَتَأْخُذْ مِثْلَهَا وَنَدْفِنِ الْبَاقِيَّ  
فِي أَصْلِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَهُوَ مَكَانٌ حَرِيزٌ وَذَلِكَ أَكْتَمَ لَأَمْرِنَا فَإِذَا  
احْتَجْنَا جِئْنَا أَنَا وَأَنْتَ فَنَأْخُذُ حَاجَتَنَا مِنْهُ وَلَا يَعْلَمُ بِمَوْضِعِنَا أَحَدٌ .  
فَأَخَذْنَا مِنْهَا يَسِيرًا وَدَفَنَّا الْبَاقِيَّ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ وَدَخَلَا الْبَلَدَ .  
ثُمَّ إِنَّ الْخُبَّ خَالَفَ الْمُغْفَلَ إِلَى الدَّنَانِيرِ فَأَخَذَهَا وَسَوَّى الْأَرْضَ كَمَا  
كَانَتْ . وَجَاءَ الْمُغْفَلُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ لِلْخُبِّ : قَدْ احْتَجْتُ إِلَى نَفَقَةٍ  
فَانْطَلِقْ بِنَا نَأْخُذْ حَاجَتَنَا . فَقَامَ الْخُبُّ مَعَهُ وَذَهَبَا إِلَى الْمَكَانِ  
فَحَفَرَا فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا . فَأَقْبَلَ الْخُبُّ عَلَى وَجْهِهِ يَلْطِمُهُ وَيَقُولُ : لَا  
تَغْتَرَّ بِصُحْبَةِ صَاحِبٍ ، خَالَفْتَنِي إِلَى الدَّنَانِيرِ فَأَخَذْتَهَا . فَجَعَلَ  
الْمُغْفَلُ يَحْلِفُ وَيَلْعَنُ أَخَذَهَا وَلَا يَزْدَادُ الْخُبُّ إِلَّا شِدَّةً فِي اللَّطْمِ ،  
وَقَالَ : مَا أَخَذَهَا غَيْرُكَ ، وَهَلْ شَعُرَ بِهَا أَحَدٌ سِوَاكَ ؟ ثُمَّ طَالَ  
بَيْنَهُمَا ذَلِكَ فَتَرَفَعَا إِلَى الْقَاضِيِّ فَاقْتَصَّ الْقَاضِيُّ قِصَّتَهُمَا فَادَّعَى  
الْخُبُّ أَنَّ الْمُغْفَلَ أَخَذَهَا وَجَحَدَ الْمُغْفَلُ ، فَقَالَ لِلْخُبِّ : أَلَيْكَ عَلَى  
دَعْوَاكَ بَيِّنَةٌ ؟ قَالَ نَعَمْ ، الشَّجَرَةُ الَّتِي كَانَتْ الدَّنَانِيرُ عِنْدَهَا تَشْهَدُ  
لِي أَنَّ الْمُغْفَلَ قَدْ أَخَذَهَا ، وَكَانَ الْخُبُّ قَدْ أَتَى أَبَاهُ فَقَصَّ عَلَيْهِ  
الْقِصَّةَ وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَذْهَبَ فَيَتَوَارَى فِي الشَّجَرَةِ بِحَيْثُ إِذَا سُئِلَ

أَجَابَ . فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : رَبُّ مَتَحِيلٍ أَوْقَعَهُ تَحِيلُهُ فِي وَرَطَةِ عَظِيمَةٍ  
وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْخُلَاصِ مِنْهَا ، فَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ مِثْلَكَ مِثْلَ الْعُلْجُومِ .  
قَالَ الْخَبُّ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

\* \* \* \* \*

### العلجوم والحية وابن عرس :

قَالَ أَبُوهُ : زَعَمُوا أَنَّ عُلْجُومًا جَاوَزَ حَيَّةً فَكَانَ كَلَّمَا أَفْرَحَ  
جَاءَتْ إِلَى عَشَّةٍ وَأَكَلَتْ فِرَاحَهُ . فَفَزِعَ إِلَى السَّرَطَانَ فَقَالَ لَهُ  
السَّرَطَانُ : إِنَّ بَقْرِيكَ جُحْرًا يَسْكُنُهُ ابْنُ عِرْسٍ وَهُوَ يَأْكُلُ الْحَيَّاتِ  
فَاجْمَعْ سَمَكًا كَثِيرًا وَفَرِّقْهُ مِنْ جُحْرِ ابْنِ عِرْسٍ إِلَى جُحْرِ الْحَيَّةِ ،  
فَإِنَّهُ إِذَا بَدَأَ فِي أَكْلِ السَّمَكِ انْتَهَى إِلَى جُحْرِ الْحَيَّةِ فَأَكَلَهَا . فَفَعَلَ  
وَكَانَ كَذَلِكَ . ثُمَّ تَدَرَّجَ ابْنُ عِرْسٍ إِلَى جُحْرِ الْحَيَّةِ فِي طَلَبِ غَيْرِهَا  
حَتَّى بَلَغَ إِلَى جُحْرِ الْعُلْجُومِ فَأَكَلَهُ أَيْضًا وَفِرَاحَهُ جَمِيعًا .

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَشَبَّثْ فِي الْحَيْلِ  
وَيَتَدَبَّرَهَا وَيَنْظُرَ فِيهَا أَوْقَعَتْهُ حَيْلَتُهُ فِي أَشَدِّ مِمَّا يَحْتَالُ لَهُ . قَالَ  
الْخَبُّ : قَدْ فَهَمْتُ مَا ذَكَرْتَ وَلَكِنْ لَا تَخَفْ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَسِيرٌ حَقِيرٌ .  
وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى طَاوَعَهُ وَأَنْطَلَقَ مَعَهُ فَدَخَلَ جَوْفَ الشَّجَرَةِ . ثُمَّ إِنَّ  
الْقَاضِيَّ لَمَّا سَمِعَ مِنَ الْخَبِّ حَدِيثَ شَهَادَةِ الشَّجَرَةِ أَكْبَرَهُ وَأَنْطَلَقَ  
هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَالْخَبُّ وَالْمُغْفَلُ مَعَهُ حَتَّى وَافَى الشَّجَرَةَ فَسَأَلَهَا عَنِ

الْخَبْرِ . فَقَالَ الشَّيْخُ مِنْ جَوْفِهَا : نَعَمْ ، الْمُغْفَلُ أَخَذَهَا . فَلَمَّا سَمِعَ الْقَاضِي ذَلِكَ اشْتَدَّ تَعَجُّبُهُ وَجَعَلَ يَطُوفُ بِالشَّجَرَةِ حَتَّى بَانَ لَهُ خَرَقٌ فِيهَا . فَتَأَمَّلَهُ فَلَمْ يَرِ فِيهِ شَيْئًا . فَدَعَا بِحَطَبٍ وَأَمَرَ أَنْ تُحْرَقَ الشَّجَرَةُ فَأُضْرِمَتْ حَوْلَهَا النَّيِّرَانُ . فَاسْتَغَاثَ أَبُو الْخَبِّ عِنْدَ ذَلِكَ فَأُخْرِجَ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى الْهَلَاكِ . فَسَأَلَهُ الْقَاضِي عَنِ الْقِصَّةِ فَأَخْبَرَهُ بِالْخَبْرِ . فَأَوْقَعَ بِالْخَبِّ ضَرْبًا وَبَأْبِيهِ صَفْعًا وَأَرْكَبَهُ مَشْهُورًا وَغَرَمَ الْخَبَّ الدَّنَانِيرَ فَأَخَذَهَا وَأَعْطَاهَا الْمُغْفَلَ .

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْخَبَّ وَالْخُدَيْعَةَ رَبَّمَا كَانَ صَاحِبُهُمَا هُوَ الْمَغْبُونُ . وَإِنَّكَ يَا دِمْنَةَ جَامِعٌ لِلْخَبِّ وَالْخُدَيْعَةِ وَالْفُجُورِ . وَإِنِّي أَخَشَى عَلَيْكَ ثَمَرَةَ عَمَلِكَ مَعَ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَاجٍ مِنَ الْعُقُوبَةِ ، لِأَنَّكَ ذُو لَوْنَيْنِ وَلِسَانَيْنِ . وَإِنَّمَا عُدُوبَةُ مَاءِ الْأَنْهَارِ مَا لَمْ تَبْلُغْ إِلَى الْبَحَارِ ، وَصَلَاحُ أَهْلِ الْبَيْتِ مَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمُ الْمُفْسِدُ . وَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَشْبَهُ بِكَ مِنَ الْحَيَّةِ ذَاتِ اللِّسَانَيْنِ الَّتِي فِيهَا السُّمُّ ، فَإِنَّهُ قَدْ يَجْرِي مِنْ لِسَانِكَ كَسُمَّهَا ، وَإِنِّي لَمْ أَزَلْ لِذَلِكَ السُّمِّ مِنْ لِسَانِكَ خَائِفًا ، وَمَا يَحُلُّ بِكَ مُتَوَقِّعًا . وَالْمُفْسِدُ بَيْنَ الْإِخْوَانِ وَالْأَصْحَابِ كَالْحَيَّةِ الَّتِي يُرَبِّيهَا الرَّجُلُ وَيُطْعِمُهَا وَيَمْسَحُهَا وَيُكْرِمُهَا ثُمَّ لَا يَكُونُ لَهُ مِنْهَا غَيْرُ اللَّدْغِ .

وَقَدْ يُقَالُ : الزَّمَّ ذَا الْعَقْلِ وَذَا الْكَرَمِ وَذَا الْأَصْلِ الطَّيِّبِ ،  
وَاسْتَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَإِيَّاكَ وَمُفَارَقَتَهُمْ .

وَاصْحَبِ الصَّاحِبَ إِذَا كَانَ عَاقِلًا كَرِيمًا أَوْ عَاقِلًا غَيْرَ كَرِيمٍ  
أَوْ كَرِيمًا غَيْرَ عَاقِلٍ . فَالْعَاقِلُ الْكَرِيمُ كَامِلٌ ، وَالْعَاقِلُ غَيْرُ الْكَرِيمِ  
اصْحَبُهُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مَحْمُودِ الْخَلِيقَةِ وَاحْذَرْ مِنْ سُوءِ أَخْلَاقِهِ  
وَأَنْتَفِعْ بِعَقْلِهِ ، وَالْكَرِيمُ غَيْرُ الْعَاقِلِ الزَّمَهُ وَلَا تَدْعُ مُوَاصَلَتَهُ وَإِنْ  
كُنْتَ لَا تَحْمَدُ عَقْلَهُ وَأَنْتَفِعَ بِكَرَمِهِ وَأَنْفَعُهُ بِعَقْلِكَ .

وَالْفِرَارَ كُلَّ الْفِرَارِ مِنَ اللَّئِيمِ الْأَحْمَقِ ، وَإِنِّي بِالْفِرَارِ مِنْكَ  
لَجَدِيرٌ . وَكَيْفَ يَرْجُو إِخْوَانُكَ عِنْدَكَ كَرَمًا وَوَدًّا وَقَدْ صَنَعْتَ بِمَلِكِكَ  
الَّذِي أَكْرَمَكَ وَشَرَّفَكَ مَا صَنَعْتَ ؟ وَإِنَّ مَثَلَكَ مَثَلُ التَّاجِرِ الَّذِي  
قَالَ : إِنَّ أَرْضًا تَأْكُلُ جِرْدَانَهَا مِئَةً مِنْ حَدِيدًا لَيْسَ بِمُسْتَتَكِرٍ لِبُرَاتِهَا  
أَنْ تَخْتَطِفَ الْفَيْلَةَ . قَالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

### الجرذان وتاجر الحديد :

قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ كَذَا تَاجِرٌ ، فَأَرَادَ الْخُرُوجَ  
إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ لِابْتِغَاءِ الرِّزْقِ وَكَانَ عِنْدَهُ مِائَةٌ مِنْ حَدِيدًا  
فَأَوْدَعَهَا رَجُلًا مِنْ إِخْوَانِهِ وَذَهَبَ فِي وَجْهِهِ . ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَ ذَلِكَ  
بِمُدَّةٍ فَجَاءَ وَالتَّمَسَ الْحَدِيدَ فَقَالَ لَهُ : قَدْ أَكَلْتَهُ الْجِرْدَانُ . فَقَالَ :

قَدْ سَمِعْتُ أَنَّ لَا شَيْءَ أَقْطَعُ مِنْ أَنْيَابِهَا لِلْحَدِيدِ . فَفَرِحَ الرَّجُلُ  
بِتَصَدِيقِهِ عَلَى مَا قَالَ وَادَّعَى . ثُمَّ إِنَّ التَّاجِرَ خَرَجَ فَلَقِيَ ابْنَ  
الرَّجُلِ فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ مِنَ الْغَدِ  
فَقَالَ لَهُ : هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ بِابْنِي ؟ فَقَالَ لَهُ التَّاجِرُ : إِنِّي لَمَّا خَرَجْتُ  
مِنْ عِنْدِكَ بِالْأَمْسِ رَأَيْتُ بَارِئًا قَدْ اخْتَطَفَ صَبِيًّا صِفَتُهُ كَذَا ، وَلَعَلَّهُ  
ابْنُكَ . فَلَطَمَ الرَّجُلُ رَأْسَهُ وَقَالَ : يَا قَوْمُ هَلْ سَمِعْتُمْ أَوْ رَأَيْتُمْ أَنَّ  
الْبُرْزَةَ تَخْتَطِفُ الصَّبِيَّانَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، إِنَّ أَرْضًا تَأْكُلُ جِرْدَانَهَا  
مِائَةً مِنْ حديدًا لَيْسَ بَعَجَبٌ أَنْ تَخْتَطِفَ بُرَاتَهَا الْفَيْلَةَ . قَالَ لَهُ  
الرَّجُلُ : أَنَا أَكَلْتُ حديدَكَ وَهَذَا ثَمَنُهُ فَارْدُدْ عَلَيَّ ابْنِي .

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ مَنْ غَدَرَ بِمَلِكِهِ وَصَاحِبِ  
نِعْمَاهُ فَلَيْسَ بَعَجَبٌ أَنْ يَغْدِرَ بغيرِهِ . وَإِذَا صَاحِبٌ أَحَدٌ صَاحِبًا  
وَعَدَرَ بِمَنْ سِوَاهُ فَقَدْ عِلِمَ صَاحِبُهُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ لِلْمُودَّةِ مَوْضِعٌ .  
فَلَا شَيْءَ أَضْيَعُ مِنْ مُودَّةٍ تُمْنَحُ مَنْ لَا وِفَاءَ لَهُ وَحِبَاءٍ يُصْطَنَعُ عِنْدَ  
مَنْ لَا شُكْرَ لَهُ ، وَأَدَبٌ يُحْمَلُ إِلَى مَنْ لَا يَتَأَدَّبُ بِهِ وَلَا يَسْمَعُهُ ، وَسِرٌّ  
يُسْتَوْدَعُ مَنْ لَا يَحْفَظُهُ . وَإِنَّ صُحْبَةَ الْأَخْيَارِ تُورِثُ الْخَيْرَ وَصُحْبَةَ  
الْأَشْرَارِ تُورِثُ الشَّرَّ كَالرِّيحِ إِذَا مَرَّتْ بِالطَّيْبِ حَمَلَتْ طَيْبًا وَإِذَا  
مَرَّتْ بِالنِّتَنِ حَمَلَتْ نِتْنًا ، وَقَدْ طَالَ وَثَقُلَ كَلَامِي عَلَيْكَ .

فَانتَهَى كَلِيمَةً مِنْ كَلَامِهِ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ وَقَدْ فَرَّغَ الْأَسَدُ مِنْ

الثَّورُ . ثُمَّ فَكَّرَ فِي قَتْلِهِ بَعْدَ أَنْ قَتَلَهُ وَذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَقَالَ :  
لَقَدْ فَجَعَنِي شَتْرِبَةٌ بِنَفْسِهِ وَكَانَ ذَا عَقْلٍ وَرَأْيٍ وَخُلُقٍ كَرِيمٍ ، وَلَا  
أَدْرِي لَعَلَّهُ كَانَ بَرِيئًا أَوْ مَكْذُوبًا عَلَيْهِ . فَحَزَنَ وَنَدِمَ عَلَى مَا كَانَ  
مِنْهُ ، وَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ . وَبَصُرَ بِهِ دِمْنَةٌ فَتَرَكَ مُحَاوَرَةَ كَلِيلَةَ  
وَتَقَدَّمَ مِنَ الْأَسَدِ فَقَالَ لَهُ : لِيَهْنُوكَ الظَّفَرُ إِذْ أَهْلَكَ اللَّهُ أَعْدَاءَكَ  
فَمَاذَا يُحْزِنُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ؟ قَالَ : أَنَا حَزِينٌ عَلَى عَقْلِ شَتْرِبَةَ وَرَأْيِهِ  
وَأَدَبِهِ . قَالَ لَهُ دِمْنَةٌ : لَا تَرْحَمَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَرْحَمُ  
مَنْ يَخَافُهُ وَإِنَّ الرَّجُلَ الْحَازِمَ رَبَّمَا أَبْغَضَ الرَّجُلَ وَكَرِهَهُ ، ثُمَّ قَرَّبَهُ  
وَأَدْنَاهُ لِمَا يَعْلَمُ عِنْدَهُ مِنَ الْغَنَاءِ وَالْكَفَاءَةِ فَعَلَّ الرَّجُلَ الْمُتَكَابِرَ عَلَى  
الدَّوَاءِ الشَّنِيعِ رَجَاءً مَنْفَعَتِهِ . وَرَبَّمَا أَحَبَّ الرَّجُلَ وَعَزَّ عَلَيْهِ فَأَقْصَاهُ  
وَأَهْلَكَهُ مَخَافَةَ ضَرَرٍ ، كَالَّذِي تَلْدَغُهُ الْحَيَّةُ فِي إصْبَعِهِ فَيَقْطَعُهَا  
وَيَتَبَرَّأُ مِنْهَا مَخَافَةَ أَنْ يَسْرِيَ سُمُّهَا إِلَى بَدَنِهِ . فَرَضِيَ الْأَسَدُ بِقَوْلِ  
دِمْنَةَ ، ثُمَّ عَلِمَ بَعْدَ ذَلِكَ بِكَذِبِهِ وَفُجُورِهِ فَقَتَلَهُ شَرًّا قَتْلَةً .

\* \* \* \* \*

## الباب الثالث



### الحمامة المطوقة :

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ مَثَلَ الْمُتَحَابِّينَ كَيْفَ قَطَعَ بَيْنَهُمَا الْكُذُوبُ وَإِلَى مَا صَارَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ مَنَعَ بَعْدَ ذَلِكَ . فَحَدَّثَنِي ، إِنَّ رَأَيْتَ عَنْ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ كَيْفَ يَبْتَدِئُ تَوَاصُلَهُمْ وَيَسْتَمْتَعُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ .

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : إِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَعْدِلُ بِالْإِخْوَانِ شَيْئًا ، فَالْإِخْوَانُ هُمْ الْأَعْوَانُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ وَالْمُؤَاسُونَ عِنْدَمَا يَنْوِبُ مِنَ الْمَكْرُوهِ . وَمِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ مَثَلُ الْحَمَامَةِ الْمُطَوَّقَةِ وَالْجُرَذِ وَالظَّبْيِ وَالْغُرَابِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ سَكَاوَنْدَجِينَ عِنْدَ مَدِينَةِ دَاهَرَ مَكَانٌ كَثِيرُ الصَّيِّدِ يَنْتَابُهُ الصَّيَّادُونَ ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ شَجَرَةٌ كَثِيرَةُ الْأَغْصَانِ مُلْتَفَّةُ الْوَرَقِ فِيهَا وَكُرُّ غُرَابٍ . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ سَاقِطٌ فِي وَكْرِهِ إِذْ بَصُرَ بِصَيَّادٍ قَبِيحِ الْمَنْظَرِ سَيِّءِ الْخَلْقِ ، وَقُبْحُ مَنْظَرِهِ يَدُلُّ عَلَى سُوءِ مَخْبَرِهِ ، عَلَى عَاتِقِهِ شَبَكَةٌ وَفِي يَدِهِ



عَصًا مُقْبِلًا نَحْوَ الشَّجَرَةِ ، فَذُعِرَ مِنْهُ الْغُرَابُ وَقَالَ : لَقَدْ سَاقَ هَذَا الرَّجُلُ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ إِمَّا حَيْنِي وَإِمَّا حَيْنُ غَيْرِي فَلَأْتَبِتَنَّ فِي مَكَانِي حَتَّى أَنْظُرَ مَاذَا يَصْنَعُ ؟ ثُمَّ إِنَّ الصَّيَّادَ نَصَبَ شَبَكَتَهُ وَنَشَرَ عَلَيْهَا الْحَبَّ وَكَمَنَ قَرِيبًا مِنْهَا . فَلَمَّ يَلْبَثُ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى مَرَّتْ بِهِ حَمَامَةٌ يُقَالُ لَهَا الْمُطَوَّقَةُ وَكَانَتْ سَيِّدَةَ الْحَمَامِ وَمَعَهَا حَمَامٌ كَثِيرٌ ، فَعَمِيَتْ هِيَ وَصَاحِبَاتُهَا عَنِ الشَّرِكِ فَوَقَعْنَ عَلَى الْحَبِّ يَلْتَقِطْنَهُ ، فَعَلِقْنَ فِي الشَّبَكَةِ كُلُّهُنَّ ، وَأَقْبَلَ الصَّيَّادُ فَرِحًا مَسْرُورًا . فَجَعَلَتْ كُلُّ حَمَامَةٍ تَتَلَجَّجُ فِي حَبَائِلِهَا وَتَلْتَمِسُ الْخُلَاصَ لِنَفْسِهَا . قَالَتْ الْمُطَوَّقَةُ لَا تَخَاذِلْنَ فِي الْمُعَالَجَةِ وَلَا تُكُنَّ نَفْسُ إِحْدَاكُنَّ أَهَمَّ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِ صَاحِبَتِهَا ، وَلَكِنْ نَتَّعَاوُنُ جَمِيعُنَا وَنَقْلَعُ الشَّبَكَةَ فَيَنْجُو بَعْضُنَا بِبَعْضٍ . فَقَلَعْنَ الشَّبَكَةَ جَمِيعُهُنَّ بِتَعَاوُنِهِنَّ وَعَلَوْنَ بِهَا فِي الْجَوِّ . وَلَمْ يَقْطَعْ الصَّيَّادُ رَجَاءَهُ مِنْهُنَّ وَظَنَّ أَنَّهُنَّ لَا يُجَاوِزْنَ إِلَّا قَرِيبًا حَتَّى يَقَعْنَ .

فَقَالَ الْغُرَابُ : لِأَتَّبِعُهُنَّ وَأَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْهُنَّ . فَالْتَفَتَتْ الْمُطَوَّقَةُ فَرَأَتْ الصَّيَّادَ يَتَّبِعُهُنَّ فَقَالَتْ لِلْحَمَامِ : هَذَا الصَّيَّادُ جَادٌ فِي طَلْبِكُنَّ ، فَإِنْ نَحْنُ أَخَذْنَا فِي الْفَضَاءِ لَمْ يَخَفْ عَلَيْهِ أَمْرُنَا وَلَمْ يَزَلْ يَتَّبِعُنَا ، وَإِنْ نَحْنُ تَوَجَّهْنَا إِلَى الْعُمَرَانِ خَفِيَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا وَانصَرَفَ . وَبِمَكَانِ كَذَا جُرْدٌ هُوَ لِي أَخٌ ، فَلَوْ أَنْتَهَيْنَا إِلَيْهِ قَطَعَ عَنَّا

هَذَا الشَّرْكَ . فَفَعَلَنَ ذَلِكَ وَأَيْسَ الصَّيَّادُ مِنْهُنَّ وَأَنْصَرَفَ . وَتَبَعَهُنَّ  
الْغُرَابُ لِيَنْظُرَ إِلَيْهِنَّ . فَلَمَّا أَنْتَهتِ الْحَمَامَةُ الْمُطَوَّقَةُ إِلَى الْجُرَذِ  
أَمَرَتِ الْحَمَامُ أَنْ يَقَعْنَ فَوْقَهُنَّ .

وَكَانَ لِلْجُرَذِ مِائَةٌ جُحْرٍ أَعَدَّهَا لِلْمَخَافِ . فَنَادَتْهُ الْمُطَوَّقَةُ  
بِاسْمِهِ ، وَكَانَ اسْمُهُ زَيْرُكَ ، فَأَجَابَهَا الْجُرَذُ مِنْ جُحْرِهِ : مَنْ أَنْتِ ؟  
قَالَتْ : أَنَا خَلِيلَتُكَ الْمُطَوَّقَةُ . فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا الْجُرَذُ يَسْعَى فَقَالَ لَهَا :  
مَا أَوْقَعَكَ فِي هَذِهِ الْوَرْطَةِ ؟ قَالَتْ لَهُ : أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ  
الْخَيْرِ وَالشَّرِّ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ مُقَدَّرٌ عَلَى مَنْ تُصِيبُهُ الْمُقَادِيرُ ، وَهِيَ  
الَّتِي أَوْقَعْتَنِي فِي هَذِهِ الْوَرْطَةِ . فَقَدْ لَا يَمْتَنِعُ مِنَ الْقَدَرِ مَنْ هُوَ  
أَقْوَى مِنِّي وَأَعْظَمُ أَمْرًا . وَقَدْ تَتَكَسَّفُ الشَّمْسُ وَيَنْخَسِفُ الْقَمَرُ إِذَا  
قَضِيَ ذَلِكَ عَلَيْهِمَا . ثُمَّ إِنَّ الْجُرَذَ أَخَذَ فِي قَرْضِ الْعِقْدِ الَّذِي فِيهِ  
الْمُطَوَّقَةُ .

فَقَالَتْ لَهُ الْمُطَوَّقَةُ : أَبَدًا بِقَطْعِ عِقْدِ سَائِرِ الْحَمَامِ وَبَعْدَ ذَلِكَ  
أَقْبَلَ عَلَى عِقْدِي ، فَأَعَادَتْ عَلَيْهِ ذَلِكَ مِرَارًا وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى  
قَوْلِهَا . فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ الْقَوْلَ وَكَرَّرَتْ قَوْلَ لَهَا : لَقَدْ كَرَّرْتُ الْقَوْلَ  
عَلَيَّ كَأَنَّكَ لَيْسَ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ وَلَا لَكَ عَلَيْهَا شَفَقَةٌ وَلَا  
تَرَعَيْنَ لَهَا حَقًّا . قَالَتْ : إِنِّي أَخَافُ إِنْ أَنْتَ بَدَأْتَ بِقَطْعِ عِقْدِي أَنْ  
تَمَلَّ وَتَكْسَلَ عَنْ قَطْعِ مَا بَقِيَ ، وَعَرَفْتُ أَنَّكَ إِنْ بَدَأْتَ بِهِنَّ قَبْلِي

وَكُنْتُ أَنَا الْأَخِيرَةَ لَمْ تَرْضَ وَإِنْ أَدْرَكَكَ الْفُتُورُ ، أَنْ أَبْقَى فِي الشَّرَكِ . قَالَ الْجُرْدُ : هَذَا مِمَّا يَزِيدُ الرَّغْبَةَ فِيكَ وَالْمُودَةَ لَكَ . ثُمَّ إِنَّ الْجُرْدَ أَخَذَ فِي قَرْضِ الشَّبَكَةِ حَتَّى فَرَّغَ مِنْهَا فَانْطَلَقَتِ الْمُطَوَّقَةُ وَحَمَامُهَا مَعَهَا .

فَلَمَّا رَأَى الْغُرَابُ صُنْعَ الْجُرْدِ رَغِبَ فِي مُصَادَقَتِهِ فَجَاءَ وَنَادَاهُ بِاسْمِهِ فَأَخْرَجَ الْجُرْدُ رَأْسَهُ فَقَالَ لَهُ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : إِنِّي أُرِيدُ مُصَادَقَتَكَ . قَالَ الْجُرْدُ : لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَوَاصُلٌ وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَلْتَمِسَ مَا يَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَيَتْرَكَ التَّمَّاسَ مَا لَيْسَ لَهُ إِلَيْهِ سَبِيلٌ ، كَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُجْرِيَ السُّفْنَ فِي الْبَرِّ وَالْعَجَلَ فِي الْبَحْرِ ، فَإِنَّ أَنْتَ إِلاَّ أَكَلٌ وَأَنَا طَعَامٌ لَكَ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّ أَكْلِي إِيَّاكَ وَإِنْ كُنْتُ لِي طَعَامًا لا يُعْنِي عَنِّي شَيْئًا ، وَإِنَّ مَوَدَّتَكَ أَنَسُ لِي مِمَّا ذَكَرْتَ ، وَلَسْتُ بِحَقِيقٍ إِذَا جِئْتَ أَطْلُبُ مَوَدَّتَكَ أَنْ تَرُدَّنِي خَائِبًا ، فَإِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لِي مِنْكَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ مَا رَغَبْتَنِي فِيكَ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَلْتَمِسُ إِظْهَارَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْعَاقِلَ لا يَخْفَى فَضْلُهُ ، وَإِنَّ هُوَ أَخْفَاهُ ، كَالْمَسْكِ الَّذِي يُكْتَمُ ثُمَّ لا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ مِنَ النَّشْرِ الطَّيِّبِ وَالْأَرْجِ الْفَائِحِ .

قَالَ الْجُرْدُ : إِنَّ أَشَدَّ الْعَدَاوَةِ عَدَاوَةُ الْجَوْهَرِ ، وَهِيَ عَدَاوَتَانِ مِنْهَا مَا هُوَ مُنْكَافِيٌّ كَعَدَاوَةِ الْفِيلِ وَالْأَسَدِ . فَإِنَّهُ رَبَّمَا قَتَلَ الْأَسَدُ

الْفَيْلُ أَوْ الْفَيْلُ الْأَسَدَ . وَمِنْهَا مَا قُوَّتُهُ مِنْ أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ عَلَى  
الْآخَرِ ، كَالَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَ السُّنُورِ وَبَيْنَكَ وَبَيْنِي . فَإِنَّ الْعِدَاوَةَ الَّتِي  
بَيْنَنَا لَيْسَتْ تَضُرُّكَ وَإِنَّمَا ضَرَّرَهَا عَلَيَّ . فَإِنَّ الْمَاءَ لَوْ أُطِيلَ إِسْخَانُهُ  
لَمْ يَمْنَعَهُ ذَلِكَ مِنْ إطفائه النَّارَ إِذَا صُبَّ عَلَيْهَا . وَإِنَّمَا مُصَاحِبُ  
الْعَدُوِّ وَمُصَالِحُهُ كَمُصَاحِبِ الْحَيَّةِ يَحْمِلُهَا فِي كُمِّهِ ، وَالْعَاقِلُ لَا  
يَسْتَأْنِسُ إِلَى الْعَدُوِّ الْأَرِيبِ . قَالَ الْغَرَابُ : قَدْ فَهَمْتُ مَا تَقُولُ  
وَأَنْتَ خَلِيقٌ أَنْ تَأْخُذَ بِفَضْلِ خَلِيقَتِكَ وَتَعْرِفَ صِدْقَ مَقَالِي ، وَلَا  
تُصَعِّبْ عَلَيَّ الْأَمْرَ بِقَوْلِكَ لَيْسَ إِلَيَّ التَّوَاصُلُ بَيْنَنَا سَبِيلٌ . فَإِنَّ  
الْعُقَلَاءَ الْكِرَامَ لَا يَبْتَغُونَ عَلَيَّ مَعْرُوفٍ جَزَاءً ، وَالْمُودَّةُ بَيْنَ  
الصَّالِحِينَ سَرِيعٌ اتَّصَالُهَا بِطِيءٍ انْقِطَاعُهَا . وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ الْكُوزِ  
مِنَ الذَّهَبِ بِطِيءٍ الْإِنْكَسَارِ ، سَرِيعُ الْإِعَادَةِ ، هَيِّنُ الْإِصْلَاحِ إِنْ  
أَصَابَهُ ثَلْمٌ أَوْ كَسْرٌ . وَالْمُودَّةُ بَيْنَ الْأَشْرَارِ سَرِيعٌ انْقِطَاعُهَا ، بِطِيءٍ  
اتَّصَالُهَا وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ كُوزِ الْفَخَّارِ سَرِيعُ الْإِنْكَسَارِ مِنْ أَدْنَى شَيْءٍ  
وَلَا وَصَلَ لَهُ أَبَدًا . وَالْكَرِيمُ يُوَدُّ الْكَرِيمَ ، وَاللَّئِيمُ لَا يُوَدُّ أَحَدًا إِلَّا  
عَنْ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ . وَأَنَا إِلَى وِدِّكَ وَمَعْرُوفِكَ مُحْتَاجٌ لِأَنَّكَ كَرِيمٌ ،  
وَأَنَا مُلَازِمٌ لِبَابِكَ غَيْرُ ذَاتِقٍ طَعَامًا مُحْتَاجٌ لِأَنَّكَ كَرِيمٌ ، وَأَنَا مُلَازِمٌ  
لِبَابِكَ غَيْرُ ذَاتِقٍ طَعَامًا حَتَّى تُؤَاخِيَنِي . وَاعْلَمْ أَنِّي لَوْ كُنْتُ أَشَاءُ  
ضُرُّكَ لَفَعَلْتُ حِينَ كُنْتُ مُحَلِّقًا فَوْقَ رَأْسِكَ عِنْدَمَا تَقْطَعُ حَبَائِلَ  
الْحَمَامِ .

قَالَ الْجُرْدُ : قَدْ قَبِلْتُ إِخَاءَكَ فَإِنِّي لَمْ أَرُدُّ أَحَدًا عَنْ حَاجَةِ قَطُّ ، وَإِنَّمَا بَلَوْتُكَ بِمَا بَلَوْتُكَ بِهِ إِزَادَةَ التَّوَثُّقِ لِنَفْسِي . فَإِنِ أَنْتَ غَدَرْتَ بِي لَمْ تَقُلْ إِنِّي وَجَدْتُ الْجُرْدَ ضَعِيفَ الرَّأْيِ سَرِيعَ الْإِنْحِدَاعِ . ثُمَّ خَرَجَ مِنْ جُحْرِهِ فَوَقَّفَ عِنْدَ الْبَابِ ، فَقَالَ لَهُ الْغُرَابُ : مَا يَمْنَعُكَ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيَّ وَالِاسْتِنْسَاسِ بِي ، أَوْ فِي نَفْسِكَ بَعْدُ مِنِّي رِيبةٌ ؟ قَالَ الْجُرْدُ : إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا يَتَعَاطُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ أَمْرَيْنِ وَيَتَوَاصِلُونَ عَلَيْهِمَا وَهُمَا : ذَاتُ النَّفْسِ وَذَاتُ الْيَدِ . فَالْمُتَبَادِلُونَ ذَاتِ النَّفْسِ هُمُ الْأَصْفِيَاءُ ، وَأَمَّا الْمُتَبَادِلُونَ ذَاتِ الْيَدِ فَهُمْ الْمُتَعَاوِنُونَ الَّذِينَ يَلْتَمِسُ بَعْضُهُمُ الْإِنْتِفَاعَ بِبَعْضٍ . وَمَنْ كَانَ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ لِبَعْضِ مَنَافِعِ الدُّنْيَا فَإِنَّمَا مَثَلُهُ فِيمَا يَبْذُلُ وَيُعْطِي كَمَثَلِ الصَّيَّادِ وَالْقَائِهِ الْحَبِّ لِلطَّيْرِ ، لَا يُرِيدُ بِذَلِكَ نَفْعَ الطَّيْرِ وَإِنَّمَا يُرِيدُ نَفْعَ نَفْسِهِ . فَتَعَاطِي ذَاتِ النَّفْسِ أَفْضَلُ مِنْ تَعَاطِي ذَاتِ الْيَدِ ، وَإِنِّي وَاثِقٌ مِنْكَ بِذَاتِ نَفْسِكَ وَمَنْحَتِكَ مِنْ نَفْسِي مِثْلَ ذَلِكَ . وَلَيْسَ يَمْنَعُنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكَ سُوءُ ظَنِّ وَلَكِنْ قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ لَكَ أَصْحَابًا جَوْهَرُهُمْ كَجَوْهَرِكَ وَلَيْسَ رَأْيُهُمْ فِيَّ كَرَأْيِكَ .

قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّ مِنْ عِلَامَةِ الصَّدِيقِ أَنْ يَكُونَ لِصَدِيقِ صَدِيقِهِ صَدِيقًا وَلِعَدُوِّ صَدِيقِهِ عَدُوًّا ، وَلَيْسَ لِي بِصَاحِبٍ وَلَا صَدِيقٍ مَنْ لَا يَكُونُ لَكَ مُحِبًّا . وَإِنَّهُ يَهُونُ عَلَيَّ قَطِيعَةٌ مَنْ كَانَ

كَذَلِكَ مِنْ جَوْهَرِي ، فَإِنَّ زَارِعَ الرَّيْحَانَ إِذَا رَأَى بَيْنَهُ عُشْبًا يُفْسِدُهُ  
قَلَعَهُ وَرَمَى بِهِ . ثُمَّ إِنَّ الْجُرْدَ خَرَجَ إِلَى الْغُرَابِ فَتَصَافَحَا وَتَصَافِيَا  
وَأَنَسَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ . حَتَّى إِذَا مَضَتْ لَهُمَا أَيَّامٌ قَالَ  
الْغُرَابُ لِلْجُرْدِ : إِنَّ جُحْرَكَ قَرِيبٌ مِنْ طَرِيقِ النَّاسِ وَأَخَافُ أَنْ  
يَرْمِيكَ بَعْضُ الصَّبَّيَّانِ بِحَجَرٍ ، وَلِي مَكَانٌ فِي عُزْلَةٍ وَلِي فِيهِ  
صَدِيقٌ مِنَ السَّلَاحِفِ وَهُوَ مُخْصَبٌ مِنَ السَّمَكِ ، وَنَحْنُ وَاجِدُونَ  
هُنَاكَ مَا نَأْكُلُ ، فَأُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ بِكَ إِلَى هُنَاكَ لِنَعِيشَ آمِنِينَ .

قَالَ الْجُرْدُ وَإِنِّي أَيْضًا كَارِهِ لِمَكَانِي هَذَا وَلِي أَخْبَارٌ وَقِصَصٌ  
سَأَقْصُصُهَا عَلَيْكَ ، وَإِذَا انْتَهَيْنَا حَيْثُ تُرِيدُ فَافْعَلْ مَا تَشَاءُ . فَأَخَذَ  
الْغُرَابُ بِذَنَبِ الْجُرْدِ وَطَارَ بِهِ حَتَّى بَلَغَ حَيْثُ أَرَادَ . فَلَمَّا دَنَا مِنَ  
الْعَيْنِ الَّتِي فِيهَا السُّلْحَفَاةُ بَصُرَتْ السُّلْحَفَاةُ بِالْغُرَابِ وَمَعَهُ جُرْدٌ  
فَذُعِرَتْ مِنْهُ وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُهَا . فَنَادَاهَا فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ وَسَأَلَتْهُ :  
مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ فَأَخْبَرَهَا بِقِصَّتِهِ حِينَ تَبَعَ الْحَمَامَ وَمَا كَانَ مِنْ  
أَمْرِهِ وَأَمَرَ الْجُرْدَ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهَا . فَلَمَّا سَمِعَتْ السُّلْحَفَاةُ شَأْنَ  
الْجُرْدِ عَجِبَتْ مِنْ عَقْلِهِ وَوَفَائِهِ وَرَحَبَتِّ بِهِ وَقَالَتْ لَهُ : مَا سَأَلَكَ  
إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ ؟ قَالَ الْغُرَابُ لِلْجُرْدِ : أَقْصُصْ عَلَيَّ الْأَخْبَارَ الَّتِي  
قُلْتَ إِنَّكَ تُحَدِّثُنِي بِهَا فَأَخْبَرَنِي بِهَا مَعَ جَوَابِ مَا سَأَلْتَ السُّلْحَفَاةَ ،  
فَإِنَّهَا عِنْدَكَ بِمَنْزِلَتِي . فَبَدَأَ الْجُرْدُ وَقَالَ :

## الجرذ والناسك :

كَانَ مَنْزِلِي أَوَّلَ أَمْرِي بِمَدِينَةِ مَارُوتَ فِي بَيْتِ رَجُلٍ نَاسِكٍ  
وَكَانَ خَالِيًا مِنَ الْأَهْلِ وَالْعِيَالِ ، وَكَانَ يُؤْتِي فِي كُلِّ يَوْمٍ بِجَوْنَةٍ مِنَ  
الطَّعَامِ فَيَأْكُلُ مِنْهَا حَاجَتَهُ وَيُعَلِّقُ الْبَاقِي . كُنْتُ أَرُصُّدُ النَّاسِكَ  
حَتَّى يَخْرُجَ وَأَثِبُ إِلَى الْجَوْنَةِ فَلَا أَدْعُ فِيهَا طَعَامًا إِلَّا أَكَلْتُهُ وَرَمَيْتُ  
مِنْهُ إِلَى الْجِرْدَانِ . فَجَهَدَ النَّاسِكُ مِرَارًا أَنْ يُعَلِّقَ الْجَوْنَةَ فِي مَكَانٍ  
لَا أَنَالُهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى نَزَلَ بِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ ضَيْفٌ فَأَكَلَا  
جَمِيعًا ثُمَّ أَخَذَا فِي الْحَدِيثِ ، فَقَالَ النَّاسِكُ لِلضَّيْفِ : مَنْ أَيُّ  
أَرْضٍ أَقْبَلْتَ وَأَيْنَ تُرِيدُ الْآنَ ؟ وَكَانَ الرَّجُلُ قَدْ جَابَ الْأَفَاقَ وَرَأَى  
عَجَائِبَ ، فَأَنْشَأَ يُحَدِّثُ النَّاسِكَ عَمَّا وَطِئَ مِنَ الْبِلَادِ وَرَأَى مِنَ  
الْعَجَائِبِ . وَجَعَلَ النَّاسِكُ خِلَالَ هَذَا يُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ لِيُنْفِرَنِي عَنِ  
الْجَوْنَةِ ، فَغَضِبَ الضَّيْفُ وَقَالَ : أَنَا أَحَدْتُكَ وَأَنْتَ تَهْزَأُ بِحَدِيثِي .  
فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ سَأَلْتَنِي ؟ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ النَّاسِكُ وَقَالَ : إِنَّمَا  
أُصَفِّقُ بِيَدَيَّ لِأُنْفِرَ جُرْدًا قَدْ تَحَيَّرْتُ فِي أَمْرِهِ وَلَسْتُ أَضَعُ فِي  
الْبَيْتِ شَيْئًا إِلَّا أَكَلُهُ . فَقَالَ : جُرْدٌ وَاحِدٌ يَفْعَلُ ذَلِكَ أَمْ جِرْدَانٌ  
كَثِيرَةٌ ؟ فَقَالَ النَّاسِكُ : جِرْدَانُ الْبَيْتِ كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ فِيهَا جُرْدًا وَاحِدًا  
هُوَ الَّذِي غَلَبَنِي فَمَا اسْتَطِيعَ لَهُ حِيلَةٌ . قَالَ الضَّيْفُ : لَقَدْ ذَكَرْتَنِي  
قَوْلَ الَّذِي قَالَ : لِأَمْرٍ مَا بَاعَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ سِمْسِمًا مَقَشُورًا بِغَيْرِ  
مَقَشُورٍ . قَالَ النَّاسِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

### المرأة والسهم:

قال الضيفُ : نزلتُ مرّةً على رجلٍ بمكانٍ كذا فتعشينا ثمَّ فرّش لي وانقلبَ على فراشه . فسَمِعْتُهُ يَقُولُ في آخِرِ اللَّيْلِ لامرأتهِ : إنِّي أريدُ أنْ أدعوَ غداً رهطاً ليأكلوا عندنا فاصنعي لهم طعاماً . فقالتِ المرأةُ : كيفَ تدعوُ الناسَ إلى طعامِكَ وليسَ في بيتِكَ فضلٌ عن عيالِكَ ، وأنتَ رجلٌ لا تُبقي شيئاً ولا تدخره ؟ قالَ الرجلُ : لا تندمي على شيءٍ أطمعناهُ وأنفقناهُ فإنَّ الجمعَ والأدخارَ ربّما كانتَ عاقبتهُ كعاقبةِ الذئبِ . قالتِ المرأةُ : وكيفَ كانَ ذلكَ ؟

\*\*\*\*\*

### الذئب ووتر القوس :

قالَ الرجلُ : زعموا أَنَّهُ خَرَجَ ذاتَ يَوْمٍ رَجُلٌ قَانِصٌ وَمَعَهُ قَوْسُهُ وَنُشَابُهُ فَلَمْ يُجَاوِزْ غَيْرَ بَعِيدٍ حَتَّى رَمَى ظَبِيًّا فَحَمَلَهُ وَرَجَعَ طَالِبًا مَنْزِلَهُ . فاعترضه خنزيرٌ بريٌّ فرماه بنشابهِ نفذت فيه ، فأدركه الخنزيرُ وضربه بأنيابه ضربةً أطارت من يده القوسُ ووقعا ميتين . فأتى عليهما ذئبٌ فقال : هذا الرجلُ والظبيُّ والخنزيرُ يكفيني أكلهم مُدَّةً ، ولكنَّ أبدأُ بهذا الوترِ فأكله فيكونُ



قُوتَ يَوْمِي ، وَأَدَّخِرُ الْبَاقِي إِلَى غَدٍ فَمَا وَرَاءَهُ . فَعَالَجَ الْوَتَرَ حَتَّى قَطَعَهُ . فَلَمَّا انْقَطَعَ طَارَتْ سِيَةُ الْقَوْسِ فَضْرَبَتْ حَلْقَهُ فَمَاتَ .

وَإِنَّمَا ضْرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمِي أَنَّ الْجَمْعَ وَالْإِدْخَارَ وَخِيَمُ الْعَاقِبَةِ . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : نِعَمَ مَا قُلْتَ ، وَعِنْدَنَا مِنَ الْأُرْزُ وَالسَّمْسِمِ مَا يَكْفِي سِتَّةَ نَفَرٍ أَوْ أَكْثَرَ ، فَأَنَا غَادِيَةٌ عَلَى صُنْعِ الطَّعَامِ ، فَادْعُ مَنْ أَحْبَبْتَ . وَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ حِينَ أَصْبَحَتْ سِمْسِمًا وَقَشَرَتْهُ وَبَسَطَتْهُ فِي الشَّمْسِ لِيَجْفَى ، وَقَالَتْ لِغُلَامٍ لَهُمْ : أُطْرِدْ عَنْهُ الطَّيْرَ وَالْكِلَابَ . وَتَفَرَّغَتِ الْمَرْأَةُ لِصُنْعِهَا . وَتَغَافَلَ الْغُلَامُ عَنِ السَّمْسِمِ فَجَاءَ كَلْبٌ فَعَاثَ فِيهِ فَاسْتَقْدَرَتْهُ الْمَرْأَةُ وَكَرِهَتْ أَنْ تَصْنَعَ مِنْهُ طَعَامًا . فَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى السُّوقِ فَأَخَذَتْ بِهِ مَقَايِضَةً سِمْسِمًا غَيْرَ مَقْشُورٍ مِثْلًا بِمِثْلِ ، وَأَنَا وَقِفُ فِي السُّوقِ . فَقَالَ رَجُلٌ : لِأَمْرِ مَا بَاعَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ سِمْسِمًا مَقْشُورًا بِغَيْرِ مَقْشُورٍ .

وَكَذَلِكَ قَوْلِي فِي هَذَا الْجُرْذِ الَّذِي ذَكَرْتَ . إِنَّهُ عَلَى غَيْرِ عِلَّةٍ مَا يَقْدِرُ عَلَى مَا شَكَّوتَ مِنْهُ ، فَالْتَمَسَ لِي فَأَسَأَ لِعَلِّي أَحْتَفِرُ جُحْرَهُ فَأَطَّلَعَ عَلَى بَعْضِ شَأْنِهِ . فَاسْتَعَارَ النَّاسِكُ مِنْ بَعْضِ جِيرَانِهِ فَأَسَأَ فَأَتَى بِهَا الضَّيْفَ وَأَنَا حِينئِذٍ فِي جُحْرٍ غَيْرِ جُحْرِي أَسْمَعُ كَلَامَهُمَا ، وَفِي جُحْرِي كَيْسٌ فِيهِ مِائَةٌ دِينَارٍ لَا أَدْرِي مَنْ وَضَعَهَا ، فَاحْتَفَرَ الضَّيْفُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الدَّنَانِيرِ فَأَخَذَهَا وَقَالَ لِلنَّاسِكِ ،

مَا كَانَ هَذَا الْجُرْدُ يَقْوَى عَلَى الْوُثُوبِ حَيْثُ كَانَ يَثِيبُ إِلَّا بِهَذِهِ  
الدَّنَائِيرِ ، فَإِنَّ الْمَالَ جَعَلَ لَهُ قُوَّةً وَزِيَادَةً فِي الرَّأْيِ وَالتَّمَكُّنِ .  
وَسَتَرَى بَعْدَ هَذَا أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْوُثُوبِ حَيْثُ كَانَ يَثِيبُ . فَلَمَّا  
كَانَ مِنَ الْغَدِ اجْتَمَعَتِ الْجُرْدَانُ الَّتِي كَانَتْ مَعِيَ فَقَالَتْ : قَدْ  
أَصَابَنَا الْجُوعُ وَأَنْتَ رَجَاؤُنَا ، فَاَنْطَلَقْتُ وَمَعِيَ الْجُرْدَانُ إِلَى الْمَكَانِ  
الَّذِي كُنْتُ أَثْبُ مِنْهُ إِلَى الْجَوْنَةِ فَحَاوَلْتُ ذَلِكَ مِرَارًا فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ .  
فَاسْتَبَانَ لِلْجُرْدَانِ نَقْصُ حَالِي فَسَمِعْتُهُنَّ يَقْلُنَ : انْصَرِفْ عَنْهُ وَلَا  
تَطْمَعَنَّ فِيمَا عِنْدَهُ ، فَإِنَّا نَرَى لَهُ حَالًا لَا نَحْسِبُهُ إِلَّا قَدْ احْتَجَّ مَعَهَا  
إِلَى مَنْ يَعْوَلُهُ . فَتَرَكْنِي وَلِحَقَّنَ بِأَعْدَائِي وَجَفَوْنِي وَأَخَذَنَ فِي  
غَيْبَتِي عِنْدَ مَنْ يُعَادِينِي وَيَحْسِدُنِي وَأَصْبَحَنَ كَأَنَّهُنَّ لَمْ يَعْرِفْنِي ،  
وَكَأَنِّي لَمْ أَكُنْ عَلَيْهِنَّ رَئِيسًا قَطُّ .

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَا الْإِخْوَانُ وَلَا الْأَعْوَانُ وَلَا الْأَصْدِقَاءُ إِلَّا  
بِالْمَالِ ، وَوَجَدْتُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا قَعَدَ بِهِ الْعُدْمُ عَمَّا  
يُرِيدُهُ ، كَالْمَاءِ الَّذِي يَبْقَى فِي الْأُودِيَةِ مِنْ مَطَرِ الشِّتَاءِ لَا يَمُرُّ إِلَى  
نَهْرٍ وَلَا يَجْرِي إِلَى مَكَانٍ إِلَى أَنْ يَفْسُدَ وَيَنْشَفَ وَلَا يُنْتَفَعُ بِهِ ،  
وَوَجَدْتُ مَنْ لَا إِخْوَانَ لَهُ لَا أَهْلَ لَهُ ، وَمَنْ لَا وَلَدَ لَهُ لَا ذَكَرَ لَهُ ،  
وَمَنْ لَا مَالَ لَهُ لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا دُنْيَا وَلَا آخِرَةَ لَهُ ، لِأَنَّ مَنْ نَالَ بِهِ  
الْفَقْرَ لَا يَجِدُ بُدًّا مِنْ تَرْكِ الْحَيَاءِ ، وَمَنْ ذَهَبَ حَيَاؤُهُ ذَهَبَ سُرُورُهُ

وَمَنْ ذَهَبَ سُرُورُهُ مَقَتَ نَفْسَهُ وَمَنْ مَقَتَ نَفْسَهُ كَثُرَ حُزْنُهُ ، وَمَنْ  
كَثُرَ حُزْنُهُ قَلَّ عَقْلُهُ وَارْتَبَكَ فِي أَمْرِهِ ، وَمَنْ قَلَّ عَقْلُهُ كَانَ أَكْثَرَ قَوْلِهِ  
وَعَمَلِهِ عَلَيْهِ لَا لَهُ ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَأَحْرَبَهُ أَنْ يَكُونَ أَنْكَدَ النَّاسِ  
حَظًّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا افْتَقَرَ قَطَعَهُ أَقَارِبُهُ  
وَإِخْوَانُهُ وَأَهْلُ وَدِهِ وَمَقْتُوهُ وَأَهَانُوهُ ، وَاضْطَرَّهُ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَلْتَمِسَ  
مِنَ الرِّزْقِ مَا يُغَرِّرُ فِيهِ بِنَفْسِهِ وَيُفْسِدُ فِيهِ آخِرَتَهُ فَيَخْسِرُ الدَّارَيْنِ  
جَمِيعًا . وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الثَّابِتَةَ فِي السَّبَاخِ الْمَأْكُولَةِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَحَالِ  
الْفَقِيرِ الْمُحْتَاجِ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ .

وَوَجَدْتُ الْفَقْرَ رَأْسَ كُلِّ بَلَاءٍ وَجَالِبًا إِلَى صَاحِبِهِ كُلِّ مَقْتٍ  
وَمَعْدَنَ النَّمِيمَةِ . وَوَجَدْتُ الرَّجُلَ إِذَا افْتَقَرَ اتَّهَمَهُ مَنْ كَانَ لَهُ  
مُؤْتَمِنًا وَأَسَاءَ بِهِ الظَّنُّ مَنْ كَانَ يَظُنُّ بِهِ حَسَنًا . فَإِنْ أَذْنَبَ غَيْرُهُ  
كَانَ هُوَ لِلتُّهْمَةِ مَوْضِعًا ، وَلَيْسَ مِنْ خَلَّةٍ هِيَ لِلغَنِيِّ مَدْحٌ إِلَّا وَهِيَ  
لِلْفَقِيرِ ذَمٌّ . فَإِنْ كَانَ شُجَاعًا قِيلَ أَهْوَجُ ، وَإِنْ كَانَ جَوَادًا سُمِّيَ  
مُبْدِرًا ، وَإِنْ كَانَ حَلِيمًا سُمِّيَ ضَعِيفًا ، وَإِنْ كَانَ وَقُورًا سُمِّيَ بَلِيدًا ،  
وَإِنْ كَانَ صَمُوتًا سُمِّيَ عَيْبِيًا ، وَإِنْ كَانَ لَسِنًا سُمِّيَ مَهْذَارًا . فَالْمُوتُ  
أَهْوَنُ مِنَ الْحَاجَةِ الَّتِي تُحَوِّجُ صَاحِبَهَا إِلَى الْمَسْأَلَةِ وَلَا سِيَّمَا مَسْأَلَةَ  
الْأَشْحَاءِ وَاللِّئَامِ . فَإِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ كُفِّ أَنْ يُدْخَلَ يَدَهُ فِي فَمِ الْأَفْعَى  
فَيُخْرِجَ مِنْهُ سُمًَّا فَيَبْتَلِعَهُ ، كَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ وَأَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ

مَسْأَلَةُ الْبَخِيلِ اللَّيْمِ . حَتَّى لَقَدْ جَاءَ فِي قَدِيمِ الْأَقَاوِيلِ : إِنَّ مَنْ  
ابْتُلِيَ بِمَرَضٍ فِي جَسَدِهِ لَا يُفَارِقُهُ حَتَّى يَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ مَا هُوَ أَشَدُّ  
مِنْهُ مِنَ الْحَاجَةِ وَالْفَقْرِ .

وَقَدْ كُنْتُ رَأَيْتُ الضَّيْفَ حِينَ أَخَذَ الدَّنَانِيرَ فَقَاسَمَهَا النَّاسِكَ  
وَجَعَلَ النَّاسِكَ نَصِيبَهُ فِي خَرِيطَةٍ عِنْدَ رَأْسِهِ لَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ فَطَمَعْتُ  
أَنْ أُصِيبَ مِنْهَا شَيْئًا فَأَرَدَهُ إِلَى جُحْرِي ، وَرَجَوْتُ أَنْ يَزِيدَ ذَلِكَ فِي  
قُوَّتِي أَوْ يُرَاجِعَنِي بِسَبِّهِ بَعْضُ أَصْدِقَائِي . فَاَنْطَلَقْتُ إِلَى النَّاسِكَ  
وَهُوَ نَائِمٌ حَتَّى انْتَهَيْتُ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَوَجَدْتُ الضَّيْفَ يَقْظَانَ وَبِيَدِهِ  
قَضِيبٌ ، فَضْرَبْتَنِي عَلَى رَأْسِي ضَرْبَةً مُوجِعَةً فَاَنْقَلَبْتُ رَاجِعًا إِلَى  
جُحْرِي . فَلَمَّا سَكَنَ عَنِّي الْأَلَمُ هَيَّجَنِي الْحَرَصُ وَالشَّرُّ فَخَرَجْتُ  
طَمِعًا كَطَمَعِي الْأَوَّلِ ، وَإِذَا الضَّيْفُ يَرصُدُنِي فَضْرَبْتَنِي بِالْقَضِيبِ  
ضَرْبَةً أَسَالَتْ مِنِّي الدَّمَ ، فَتَحَامَلْتُ عَلَى نَفْسِي وَتَقَلَّبْتُ ظَهْرًا  
لِبَطْنٍ إِلَى جُحْرِي فَخَرَرْتُ مَغْشِيًا عَلَيَّ ، فَأَصَابَنِي مِنَ الْوَجَعِ مَا  
بَغَضَ إِلَيَّ الْمَالَ حَتَّى لَا أَسْمَعُ بِذِكْرِهِ إِلَّا تَدَاخَلَنِي مِنْ ذِكْرِ الْمَالِ  
رَعْدَةٌ وَهَيْبَةٌ . ثُمَّ تَذَكَّرْتُ فَوَجَدْتُ الْبَلَاءَ فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا يَسُوقُهُ  
الْحَرَصُ وَالشَّرُّ لِأَنَّهُمَا لَا يَزَالَانِ يَدْخِلَانِ صَاحِبَهُمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَى  
شَيْءٍ ، وَالْأَشْيَاءُ لَا تَتَفَدُّ وَلَا تَنْتَهِي ، وَلَا يَزَالُ صَاحِبُ الدُّنْيَا فِي  
بَلِيَّةٍ وَتَعَبٍ وَنَصَبٍ . وَوَجَدْتُ رُكُوبَ الْأَهْوَالِ وَتَجَشُّمَ الْأَسْفَارِ

الْبَعِيدَةَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ بَسَطِ الْيَدِ إِلَى السَّخِيِّ  
بِأَمَالٍ، فَكَيْفَ بِالشَّحِيحِ بِهِ ، وَلَمْ أَرَ كَالرُّضَى شَيْئًا . وَوَجَدْتُ  
الْعُلَمَاءَ قَدْ قَالُوا : لَا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ ، وَلَا وَرَعَ كَكَفِّ الأَذَى ، وَلَا  
حَسَبَ كَحُسْنِ الخُلُقِ ، وَلَا غِنَى كَالرُّضَى . وَأَحَقُّ مَا صَبَّرَ الإنسانُ  
عَلَى الشَّيْءِ نَفْسَهُ ، وَأَفْضَلُ البِرِّ الرَّحْمَةَ ، وَرَأْسُ المُوَدَّةِ  
الاسْتِرْسَالُ ، وَرَأْسُ العَقْلِ مَعْرِفَةُ مَا يَكُونُ مِمَّا لَا يَكُونُ . وَقَالُوا :  
الخَرْسُ خَيْرٌ مِنَ اللِّسَانِ الكَذُوبِ ، وَالضَّرُّ وَالْفَقْرُ خَيْرٌ مِنَ النِّعْمَةِ  
وَالسَّعَةِ مِنَ أَمْوَالِ النَّاسِ . فَصَارَ أَمْرِي إِلَى أَنْ رَضِيتُ وَقَنِعْتُ  
وَأَنْتَقَلْتُ مِنْ بَيْتِ النَّاسِكِ إِلَى البَرِّيَّةِ . وَكَانَ لِي صَدِيقٌ مِنَ الحَمَامِ  
فَسِيقَتْ إِلَيَّ بِصداقَتِهِ صداقةُ الغُرَابِ . وَالتَّفَتَ إِلَى السُّلْحَفَةِ  
فَقَالَ : ثُمَّ ذَكَرَ لِي الغُرَابُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مِنَ المُوَدَّةِ وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ  
يُرِيدُ إتيَانَكَ فَأَحَبَّبْتُ أَنْ آتِيكَ مَعَهُ ، وَكَرِهْتُ الوَحْدَةَ . فَإِنَّهُ لَا  
شَيْءَ مِنْ سُرُورِ الدُّنْيَا يَعْدِلُ صُحْبَةَ الإِخْوَانِ ، وَلَا غَمٌّ فِيهَا يَعْدِلُ  
البُعدَ عَنْهُمْ . وَجَرَّبْتُ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُلْتَمِسِ مِنَ الدُّنْيَا غَيْرُ  
الكَفَافِ الَّذِي يَدْفَعُ بِهِ الأَذَى عَن نَفْسِهِ ، وَهُوَ يَسِيرٌ مِنَ المَطْعَمِ  
والمُشْرَبِ إِذَا أُعِينَ بِصِحَّةٍ وَسَعَةٍ . وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا وَهَبَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِمَا  
فِيهَا لَمْ يَكُنْ يَنْتَفِعُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالقَلِيلِ الَّذِي يَدْفَعُ بِهِ عَن نَفْسِهِ  
الحَاجَةَ .

فَلَمَّا فَرَغَ الْجُرْدُ مِنْ كَلَامِهِ أَجَابَتْهُ السُّلْحَفَاءُ بِكَلَامِ رَقِيقٍ  
 وَقَالَتْ : قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكَ ، وَمَا أَحْسَنَ مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ ! إِلَّا أَنِّي  
 رَأَيْتُكَ تَذْكُرُ بَقَايَا أُمُورٍ هِيَ فِي نَفْسِكَ مِنْ حَيْثُ قَلَّةُ مَالِكَ وَسُوءُ  
 حَالِكَ وَاعْتِرَابُكَ عَنْ مَوْطِنِكَ . فَاطْرَحَ ذَلِكَ عَنْ قَلْبِكَ وَاعْلَمْ أَنَّ  
 حُسْنَ الْكَلَامِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِحُسْنِ الْعَمَلِ ، وَأَنَّ الْمَرِيضَ الَّذِي قَدْ عَلِمَ  
 دَوَاءَ مَرَضِهِ إِنْ لَمْ يَتَدَاوِ بِهِ لَمْ يُغْنِ عِلْمُهُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَجِدُ لِدَائِهِ  
 رَاحَةً وَلَا خِفَّةً . فَاسْتَعْمَلَ رَأْيَكَ وَلَا تَحْزَنْ لِقَلَّةِ الْمَالِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ  
 ذَا الْمُرُوءَةِ قَدْ يُكْرَمُ عَلَى غَيْرِ مَالٍ كَالْأَسَدِ الَّذِي يُهَابُ وَإِنْ كَانَ  
 رَابِضًا ، وَالْغَنِيُّ الَّذِي لَا مُرُوءَةَ لَهُ يُهَانَ وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ الْمَالِ ، كَالْكَلْبِ  
 لَا يُحْفَلُ بِهِ وَإِنْ طُوقَ وَخُلِجِلَ بِالذَّهَبِ . فَلَا تَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ غُرْبَتُكَ ،  
 فَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا غُرْبَةَ لَهُ ، كَالْأَسَدِ الَّذِي لَا يَنْقَلِبُ إِلَّا مَعَهُ قُوَّتُهُ .  
 فَلْتَحَسِّنْ تَعَهُدَكَ لِنَفْسِكَ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ جَاءَكَ الْخَيْرُ يَطْلُبُكَ  
 مِنْ كُلِّ مَكَانٍ كَمَا يَطْلُبُ الْمَاءُ أَنْحِدَارَهُ ، وَإِنَّمَا جُعِلَ الْفَضْلُ لِلْحَازِمِ ،  
 وَأَمَّا الْكَسْلَانُ الْمُتَرَدِّدُ فَإِنَّ الْفَضْلَ لَا يَصْحَبُهُ .

وَقَدْ قِيلَ فِي أَشْيَاءَ لَيْسَ لَهَا ثَبَاتٌ وَلَا بَقَاءٌ : ظِلُّ الْغَمَامَةِ فِي  
 الصَّيْفِ ، وَخَلَّةُ الْأَشْرَارِ ، وَعَشْقُ النِّسَاءِ ، وَالْبِنَاءُ عَلَى غَيْرِ أَسَاسٍ ،  
 وَالْمَالُ الْكَثِيرُ . فَالْعَاقِلُ لَا يَحْزَنُ لِقَلَّتِهِ وَلَكِنَّ مَالَهُ عَقْلُهُ وَمَا قَدَّمَ مِنْ  
 صَالِحِ عَمَلِهِ ، فَهُوَ وَاثِقٌ أَنَّهُ لَا يُسَلَبُ مَا عَمِلَ وَلَا يُؤَاخَذُ بِشَيْءٍ لَمْ

يَعْمَلُهُ، وَهُوَ خَلِيقٌ أَلَّا يَغْفَلَ عَنْ أَمْرِ آخِرَتِهِ ، فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا يَأْتِي إِلَّا  
بَغْتَةً وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ أَجَلٌ مَعْلُومٌ . وَأَنْتَ عَنْ مَوْعِظَتِي غَنِيٌّ  
بِمَا عِنْدَكَ مِنَ الْعِلْمِ، وَلَكِنْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْضِيَ مِنْ حَقِّكَ ، فَأَنْتَ أَخُونَا  
وَمَا قَبَلْنَا مَبْذُولٌ لَكَ .

فَلَمَّا سَمِعَ الْغُرَابُ كَلَامَ السُّلْحَفَاءِ لِلْجُرَذِ وَرَدَّهَا عَلَيْهِ  
وَالطَّافَهَا إِلَيْهِ فَرِحَ بِذَلِكَ وَقَالَ : لَقَدْ سَرَّرْتَنِي وَأَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَأَنْتَ  
جَدِيرَةٌ أَنْ تَسُرِّي نَفْسَكَ بِمِثْلِ مَا سَرَّرْتَنِي . وَإِنَّ أَوْلَى أَهْلِ الدُّنْيَا  
بشِدَّةِ السُّرُورِ مَنْ لَا يَزَالُ رَبَّعُهُ مِنْ إِخْوَانِهِ وَأَصْدِقَائِهِ مِنْ  
الصَّالِحِينَ مَغْمُورًا ، وَلَا يَزَالُ عِنْدَهُ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ يَسُرُّهُمْ وَيَسْرُونَ،  
وَيَكُونُ مِنْ وِرَاءِ أُمُورِهِمْ وَحَاجَتِهِمْ بِالْمَرْصَادِ . فَإِنَّ حُسْنَ الشَّاءِ لَا  
يَزَالُ صَاحِبُهُ فِي عَاقِبَتِهِ حَيْثُمَا تَوَجَّهَ . فَإِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا عَثَرَ لَا يُقِيلُ  
عَثْرَتَهُ وَيَأْخُذُ بِيَدِهِ إِلَّا الْكَرَامُ كَالْفِيلِ إِذَا وَحَلَ لَا تُخْرِجُهُ إِلَّا الْفَيْلَةُ .

فَبَيْنَمَا الْغُرَابُ فِي كَلَامِهِ، وَالثَّلَاثَةُ مُسْتَأْنِسُونَ بَعْضُهُمْ  
بِبَعْضٍ، إِذْ أَقْبَلَ نَحْوَهُمْ ظَبْيٌ يَسْعَى مَذْعُورًا فَذَعِرَتْ مِنْهُ السُّلْحَفَاءُ  
فَغَاصَتْ فِي الْمَاءِ وَدَخَلَ الْجُرَذُ بَعْضَ الْأَشْجَارِ وَطَارَ الْغُرَابُ فَوَقَعَ  
عَلَى شَجَرَةٍ . وَأَنْتَهَى الظَّبْيُ إِلَى الْمَاءِ فَشَرِبَ مِنْهُ يَسِيرًا ثُمَّ وَقَفَ  
خَائِفًا يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا . ثُمَّ إِنَّ الْغُرَابَ حَلَّقَ فِي السَّمَاءِ لِيَنْظُرَ  
هَلْ لِلظَّبْيِ طَالِبٌ فَنَظَرَ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا ، فَنَادَى الْجُرَذُ وَالسُّلْحَفَاءُ

فَخَرَجَا . فَقَالَتِ السُّلْحَفَاءُ لِلظَّبِّيِّ حِينَ رَأَتْهُ يَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ وَلَا يَقْرُبُهُ : اِشْرَبْ إِنْ كَانَ بِكَ عَطَشٌ وَلَا تَخَفْ ، فَإِنَّهُ لَا خَوْفَ عَلَيْكَ . فَدَنَا الظَّبِّيُّ فَرَحَّبَتْ بِهِ السُّلْحَفَاءُ وَحَيَّتَهُ وَقَالَتْ لَهُ : مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ قَالَ : كُنْتُ بِهَذِهِ الصَّحَارِيِّ رَاتِعًا فَلَمَّ يَزَلِ الْأَسَاوِرَةُ تَطْرُدُنِي مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ حَتَّى رَأَيْتُ الْيَوْمَ شَبَحًا فَخِفْتُ أَنْ يَكُونَ قَانِصًا . قَالَتْ : لَا تَخَفْ ، فَإِنَّا لَمْ نَرِ هَهُنَا قَانِصًا قَطُّ وَنَحْنُ فِي هَذَا الْمَكَانِ مُجْتَمِعُونَ نَتَحَدَّثُ وَنَتَأَنَسُ وَنَحْنُ نَبْدُلُ لَكَ وَدَنَا وَمَكَانَنَا ، وَالْمَاءَ وَالْمَرْعَى كَثِيرٌ عِنْدَنَا فَارْغَبْ فِي صُحْبَتِنَا . فَأَقَامَ الظَّبِّيُّ مَعَهُمْ ، وَكَانَ لَهُمْ عَرِيشٌ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ وَيَتَسَاقَطُونَ الْأَحَادِيثَ وَالْأَخْبَارَ . فَبَيْنَمَا الْغُرَابُ وَالْجُرَذُ وَالسُّلْحَفَاءُ ذَاتَ يَوْمٍ فِي الْعَرِيشِ إِذْ غَابَ الظَّبِّيُّ فَتَوَقَّعُوهُ سَاعَةً فَلَمْ يَأْتِ . فَلَمَّا أَبْطَأَ أَشْفَقُوا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَهُ عَنَتٌ . فَقَالَ الْجُرَذُ وَالسُّلْحَفَاءُ لِلْغُرَابِ : انْظُرْ هَلْ تَرَى مِمَّا يَلِينَا شَيْئًا ، فَحَلَّقَ الْغُرَابُ فِي السَّمَاءِ فَنَظَرَ فَإِذَا الظَّبِّيُّ فِي الْحَبَائِلِ مُقْتَتِصًا ، فَاِنْقَضَ مُسْرِعًا فَأَخْبَرَهُمَا بِذَلِكَ . فَقَالَتِ السُّلْحَفَاءُ وَالْغُرَابُ لِلْجُرَذِ : هَذَا أَمْرٌ لَا يُرْجَى فِيهِ غَيْرُكَ فَأَغِثْ أَخَاكَ . فَسَعَى الْجُرَذُ مُسْرِعًا فَأَتَى الظَّبِّيَّ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ وَقَعْتَ فِي هَذِهِ الْوَرَطَةِ وَأَنْتَ مِنَ الْأَكْيَاسِ؟ قَالَ الظَّبِّيُّ مَا يُعْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ ، وَلَا يُجْدِي الْكَيْسُ مَعَ الْمَقَادِيرِ شَيْئًا .



فَبَيْنَمَا هُمَا فِي الْحَدِيثِ وَافَتْهُمَا السُّلْحَفَاةُ فَقَالَ لَهَا الظَّبِّيُّ :  
مَا أَصَبْتَ بِمَجِيئِكَ فَإِنَّ الْقَانِصَ لَوْ أَنْتَهَى إِلَيْنَا وَقَدْ قَطَعَ الْجُرْدُ  
الْحَبَائِلَ سَبَقْتُهُ عَدْوًا وَلِلْجُرْدِ أَجْحَارٌ كَثِيرَةٌ وَالْغُرَابُ يَطِيرُ وَأَنْتِ  
ثَقِيلَةٌ لَا سَعْيَ لَكَ وَلَا حَرَكَةَ وَأَخَافُ عَلَيْكَ الْقَانِصَ قَالَتْ : لَا عَيْشَ  
بَعْدَ فِرَاقِ الْأَحِبَّةِ ، وَإِذَا فَارَقَ الْأَلِيفُ أَلِيفَهُ فَقَدْ سَلَبَ فُؤَادَهُ ،  
وَحُرِمَ سُرُورَهُ ، وَعُشِيَ عَلَى بَصَرِهِ . فَلَمْ يَنْتَهِ كَلَامُهَا حَتَّى وَافَى  
الْقَانِصُ وَوَافَقَ ذَلِكَ فِرَاقَ الْجُرْدِ مِنْ قَطْعِ الشَّرْكِ فَانْجَا الظَّبِّيُّ  
بِنَفْسِهِ وَطَارَ الْغُرَابُ مُحَلِّقًا وَدَخَلَ الْجُرْدُ بَعْضَ الْأَجْحَارِ ، وَلَمْ يَبْقَ  
غَيْرُ السُّلْحَفَاةِ . وَدَنَا الصِّيَادُ فَوَجَدَ حَبَائِلَهُ مُقَطَّعَةً ، فَنَظَرَ يَمِينًا  
وَشِمَالًا فَلَمْ يَجِدْ غَيْرَ السُّلْحَفَاةِ تَدْبُ فَاخَذَهَا وَرَبَطَهَا .

فَلَمْ يَلْبَثِ الْغُرَابُ وَالْجُرْدُ وَالظَّبِّيُّ أَنْ اجْتَمَعُوا فَانظَرُوا  
الْقَانِصَ قَدْ رَبَطَ السُّلْحَفَاةَ فَاشْتَدَّ حُزْنُهُمْ . وَقَالَ الْجُرْدُ : مَا أَرَانَا  
نُجَاوِزُ عَقَبَةَ مِنَ الْبَلَاءِ إِلَّا صِرْنَا إِلَى أَشَدِّ مِنْهَا . وَلَقَدْ صَدَقَ الَّذِي  
قَالَ : لَا يَزَالُ الْإِنْسَانُ مُسْتَمِرًّا فِي إِقْبَالِهِ مَا لَمْ يَعُثْرَ ، فَإِذَا عَثَرَ لَجَّ  
بِهِ الْعِثَارُ وَإِنْ مَشَى فِي جَدَدِ الْأَرْضِ . وَحَذَرِي عَلَى السُّلْحَفَاةِ خَيْرُ  
الْأَصْدِقَاءِ الَّتِي خَلَّتْهَا لَيْسَتْ لِلْمُجَازَاةِ وَلَا لِالْتِمَاسِ مُكَافَأَةٌ وَلَكِنَّهَا  
خِلَّةُ الْكَرَمِ وَالشَّرَفِ ، خِلَّةٌ هِيَ أَفْضَلُ مِنْ خِلَّةِ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ ، خِلَّةٌ  
لَا يُزِيلُهَا إِلَّا الْمَوْتُ . وَيَحْ لِهَذَا الْجَسَدِ الْمُوَكَّلِ بِهِ الْبَلَاءُ الَّذِي لَا يَزَالُ

فِي تَصَرُّفٍ وَتَقَلُّبٍ وَلَا يَدُومُ لَهُ شَيْءٌ ، وَلَا يَلْبَثُ مَعَهُ أَمْرٌ كَمَا لَا  
يَدُومُ لِلطَّالِعِ مِنَ النُّجُومِ طُلُوعٌ وَلَا لِلْأَفَلِ مِنْهَا أَفُولٌ ، وَلَكِنْ لَا يَزَالُ  
الطَّالِعُ مِنْهَا أَفِلًا وَالْأَفَلُ طَالِعًا . وَكَمَا تَكُونُ آلَامُ الْكُلُومِ وَانْتِقَاضُ  
الْجَرَاحَاتِ ، كَذَلِكَ حَالِي أَنَا الَّذِي ذَكَرَنِي هَذَا الْبَلَاءُ سَابِقَ  
أَحْوَالِي ، كَالْجُرْحِ الْمُنْدَمِلِ تُصِيبُهُ الضَّرْبَةُ فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ أَلَمَانِ ، أَلَمُ  
الضَّرْبَةِ وَأَلَمُ الْجُرْحِ . وَأَخْلَقُ بِمَنْ فَقَدَ إِخْوَانَهُ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِ بِهِمْ  
أَلَّا يَزَالُ مُنْقَصِمَ الظُّهْرِ حَزِينِ النَّفْسِ .

فَقَالَ الطَّبَّيُّ وَالْغَرَابُ لِلْجُرْدِ : إِنَّ حَذَرْنَا وَحَذَرَكَ وَكَلَامَكَ  
وَإِنْ كَانَ بَلِيغًا لَا يُغْنِي عَنِ السُّلْحَفَةِ شَيْئًا ، وَإِنَّهُ كَمَا يُقَالُ : إِنَّمَا  
النَّاسُ عِنْدَ الْبَلَاءِ ، وَذُو الْأَمَانَةِ عِنْدَ الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ ، وَالْأَهْلُ  
وَالْوَلَدُ عِنْدَ الْفَاقَةِ وَالْإِخْوَانُ عِنْدَ النَّوَابِ .

قَالَ الْجُرْدُ : أَرَى مِنَ الْحَيْلَةِ أَنْ تَذَهَبَ أَيُّهَا الطَّبَّيُّ فَتَقَعَ  
بِمَنْظَرٍ مِنَ الْقَانِصِ كَأَنَّكَ جَرِيحٌ وَيَقَعَ الْغَرَابُ عَلَيْكَ كَأَنَّهُ يَأْكُلُ  
مِنْكَ ، وَأَسْعَى أَنَا فَأَكُونُ قَرِيبًا مِنَ الْقَانِصِ مُرَاقِبًا لَعَلَّهُ يَرْمِي مَا  
مَعَهُ مِنَ الْأَلَةِ وَيَدْعُ السُّلْحَفَةَ وَيَقْصِدُكَ طَامِعًا فِيكَ رَاجِيًا  
تَحْصِيلَكَ . فَإِذَا دَنَا مِنْكَ فَفِرَّ عَنْهُ رُؤْيِدًا بِحَيْثُ لَا يَنْقَطِعُ فِيكَ  
وَأَمَّكِنَهُ مِنْ أَخْذِكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ حَتَّى يَبْعُدَ عَنَّا ، وَأَنْحُ مِنْهُ هَذَا  
النَّحْوَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنِّي أَرْجُو أَلَّا يَنْصَرِفَ إِلَّا وَقَدْ قَطَعْتَ الْحَبَائِلَ

عَنِ السُّلْحَفَةِ وَأَنْجُو بِهَا . فَفَعَلَ الظَّبِّيُّ وَالْغُرَابُ مَا أَمَرَهُمَا بِهِ  
الْجُرَذُ . وَتَبَعَهُمَا الْقَانِصُ ، فَاسْتَطْرَدَ لَهُ الظَّبِّيُّ حَتَّى أَبْعَدَهُ عَنِ  
الْجُرَذِ وَالسُّلْحَفَةِ ، وَالْجُرَذُ مُقْبِلٌ عَلَى قَطْعِ الحَبَائِلِ حَتَّى قَطَعَهَا  
وَنَجَا بِالسُّلْحَفَةِ . وَعَادَ الْقَانِصُ مَجْهُودًا لِأَغْبَا فَوَجَدَ حَبَائِلَهُ  
مُقَطَّعَةً . فَفَكَّرَ فِي أَمْرِهِ مَعَ الظَّبِّيِّ فَظَنَّ أَنَّهُ خُوِلِطَ فِي عَقْلِهِ .  
وَفَكَّرَ فِي الظَّبِّيِّ وَالْغُرَابِ الَّذِي كَانَ كَأَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْهُ ، وَتَقْرِيضِ  
حَبَائِلِهِ ، فَاسْتَوْحَشَ مِنَ الْأَرْضِ وَقَالَ : هَذِهِ أَرْضُ جِنٍّ أَوْ سَحْرَةٍ .  
فَرَجَعَ مُوَلِّيًا لَا يَلْتَمِسُ شَيْئًا وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ .

وَاجْتَمَعَ الْغُرَابُ وَالظَّبِّيُّ وَالْجُرَذُ وَالسُّلْحَفَةُ إِلَى عَرِيشِهِمْ  
سَالِمِينَ آمِنِينَ كَأَحْسَنِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ .

فَإِذَا كَانَ هَذَا الْخَلْقُ مَعَ صِغَرِهِ وَضِعْفِهِ قَدَرَ عَلَى التَّخْلُصِ مِنْ  
مَرَابِطِ الْهَلَكَةِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى بِمَوَدَّتِهِ وَخُلُوصِهَا وَثَبَاتِ قَلْبِهِ عَلَيْهَا  
وَاسْتِمْتَاعِ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ ، فَالْإِنْسَانُ الَّذِي قَدْ أُعْطِيَ الْعَقْلَ وَالْفَهْمَ ،  
وَأُلْهِمَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ، وَمُنِحَ التَّمْيِيزَ وَالْمَعْرِفَةَ ، أَوْلَى وَأَحْرَى  
بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّعَاوُدِ .

فَهَذَا مَثَلُ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ وَأَثْتِلَافِهِمْ فِي الصُّحْبَةِ .

\*\*\*\*\*

## الباب الرابع



### البوم والغريان :

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ مَثَلَ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ وَتَعَاوُنِهِمْ . فَأَضْرِبْ لِي مَثَلَ الْعَدُوِّ الَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يُفْتَرَّ بِهِ وَإِنْ أَظْهَرَ تَضَرُّعًا وَمَلَقًا .

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : مَنْ اغْتَرَّ بِالْعَدُوِّ الَّذِي لَا يَزَالُ عَدُوًّا أَصَابَهُ مَا أَصَابَ الْبُومَ مِنَ الْغَرِيَّانِ . قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ شَجَرَةٌ مِنْ شَجَرِ الدَّوْحِ فِيهَا وَكُرُّ أَلْفِ غُرَابٍ وَعَلَيْهِنَّ وَالٌ مِنْ أَنْفُسِهِنَّ . وَكَانَ عِنْدَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ كَهْفٌ فِيهِ أَلْفُ بُومَةٍ وَعَلَيْهِنَّ وَالٌ مِنْهُنَّ . فَخَرَجَ مَلِكُ الْبُومِ لِبَعْضِ غَدَوَاتِهِ وَرَوَحَاتِهِ وَفِي نَفْسِهِ الْعَدَاوَةُ لِلْمَلِكِ الْغَرِيَّانِ وَفِي نَفْسِ الْغَرِيَّانِ وَمَلِكِهَا مِثْلُ ذَلِكَ لِلْبُومِ . فَأَغَارَ مَلِكُ الْبُومِ فِي أَصْحَابِهِ عَلَى الْغَرِيَّانِ فِي أَوْكَارِهَا فَفَقَتَلَ وَسَبَى مِنْهَا خَلْقًا كَثِيرًا وَكَانَتِ الْغَارَةُ لَيْلًا .

فَلَمَّا أَصْبَحَتِ الْغَرِيَّانُ اجْتَمَعَتْ إِلَى مَلِكِهَا فَقُلْنَ لَهُ : قَدْ

عَلِمْتَ مَا لَقِينَا اللَّيْلَةَ مِنْ مَلِكِ الْبُومِ وَمَا مِنَّا إِلَّا مَنْ أَصْبَحَ قَتِيلًا أَوْ جَرِيحًا أَوْ مَكْسُورَ الْجَنَاحِ . أَوْ مَتَّوْفَ الرِّيشِ أَوْ مَهْلُوبَ الذَّنْبِ . وَأَشَدُّ مَا أَصَابَنَا ضُرًّا جُرَّاتُهُنَّ عَلَيْنَا وَهُنَّ عَائِدَاتٌ إِلَيْنَا غَيْرُ مُنْقَطِعَاتٍ عَنَّا ، لِعِلْمِهِنَّ بِمَكَانِنَا ، فَإِنَّمَا نَحْنُ لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ فَاَنْظُرْ لَنَا وَلِنَفْسِكَ . وَكَانَ فِي الْغُرَيَّانِ خَمْسَةٌ مَعْتَرَفٌ لَهُنَّ بِحُسْنِ الرَّأْيِ يُسْنَدُ إِلَيْهِنَّ فِي الْأُمُورِ وَتَلْقَى إِلَيْهِنَّ مَقَالِيدُ الْأَحْوَالِ . وَكَانَ الْمَلِكُ كَثِيرًا مَا يُشَاوِرُهُنَّ فِي الْأُمُورِ وَيَأْخُذُ آرَاءَهُنَّ فِي الْحَوَادِثِ وَالنَّوَازِلِ .

فَقَالَ الْمَلِكُ لِلأَوَّلِ مِنَ الْخَمْسَةِ : مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ؟  
قَالَ : رَأْيِي قَدْ سَبَقْتَنَا إِلَيْهِ الْعُلَمَاءُ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا : لَيْسَ لِلْعَدُوِّ  
وَالْحَنَقِ الَّذِي لَا طَاقَةَ لَكَ بِهِ إِلَّا الْهَرَبُ مِنْهُ .

قَالَ الْمَلِكُ لِلثَّانِي : مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ؟ قَالَ : مَا رَأَى  
هَذَا مِنَ الْهَرَبِ . قَالَ الْمَلِكُ : لَا أَرَى لَكُمْ ذَلِكَ رَأْيًا أَنْ نَرَحَلَ عَنْ  
أَوْطَانِنَا وَنُخْلِهَا لِعَدُوِّنَا مِنْ أَوَّلِ نَكْبَةٍ أَصَابَتْنا مِنْهُ ، وَلَا يَنْبَغِي لَنَا  
ذَلِكَ فَنَكُونُ بِهِ لَهُمْ عَوْنًا عَلَيْنَا ، وَلَكِنْ نَجْمَعُ أَمْرَنَا وَنَسْتَعِدُّ لِعَدُوِّنَا  
وَنُدْكِي نَارَ الْحَرْبِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوِّنَا ، وَنَحْتَرِسُ مِنَ الْغُرَّةِ إِذَا  
أَقْبَلَ إِلَيْنَا فَنَلْقَاهُ مُسْتَعِدِّينَ وَنُقَاتِلُهُ قِتَالًا غَيْرَ مُرَاجِعِينَ فِيهِ وَلَا  
حَامِينَ مِنْهُ ، وَتَلْقَى أَطْرَافُنَا أَطْرَافَ الْعَدُوِّ وَنَتَحَرَّزُ بِحُصُونِنَا

وَنَدَّافِعُ عَدُوَّنَا بِالْأَنَاةِ مَرَّةً وَبِالْجَلَادِ أُخْرَى ، حَيْثُ نُصِيبُ فُرْصَتَنَا  
وَبُغْيَتَنَا وَقَدْ ثَبِينَا عَدُوَّنَا عَنَّا .

ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ لِلثَّالِثِ : مَا رَأَيْكَ أَنْتَ ؟ قَالَ لَا أَرَى مَا قَالَا رَأْيًا ،  
وَلَكِنْ نَبْتُ الْعُيُونَ وَتَبَعْتُ الْجَوَاسِيَسَ ، وَنُرْسِلُ الطَّلَائِعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ  
عَدُوَّنَا ، فَنَعْلَمُ هَلْ يُرِيدُ صَلْحَنَا أَمْ يُرِيدُ الْفِدْيَةَ ؟ فَإِنْ رَأَيْنَا أَمْرَهُ  
أَمَرَ طَامِعٍ فِي مَالٍ لَمْ نَكْرَهُ الصُّلْحَ عَلَى خَرَجٍ نُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ  
سَنَةٍ نَدْفَعُ بِهِ عَنَّا أَنْفُسَنَا وَنَطْمَئِنُّ فِي أَوْطَانِنَا . فَإِنَّ مِنْ آرَاءِ الْمُلُوكِ  
إِذَا اشْتَدَّتْ شَوْكَةُ عَدُوِّهِمْ فَخَافُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَبِلَادِهِمْ أَنْ يَجْعَلُوا  
الْأَمْوَالَ جُنَّةَ الْبِلَادِ وَالْمَلِكِ وَالرَّعِيَّةِ .

قَالَ الْمَلِكُ لِلرَّابِعِ : فَمَا رَأَيْكَ فِي هَذَا الصُّلْحِ ؟ قَالَ : لَا أَرَاهُ  
رَأْيًا بَلْ أَنْ نُفَارِقَ أَوْطَانَنَا وَنَصْبِرَ عَلَى الْغُرْبَةِ وَشِدَّةِ الْمَعِيشَةِ خَيْرٌ  
مِنْ أَنْ نُضِيعَ أَحْسَابَنَا وَنَخْضَعَ لِلْعَدُوِّ الَّذِي نَحْنُ أَشْرَفُ مِنْهُ ، مَعَ  
أَنَّ الْبُومَ لَوْ عَرَضْنَا ذَلِكَ عَلَيْهِنَّ لَمَا رَضِينَ مِنَّا إِلَّا بِالشَّطَطِ ، وَيُقَالُ  
فِي الْأَمْثَالِ : قَارِبٌ عَدُوُّكَ بَعْضَ الْمُقَارَبَةِ لِتَنَالَ حَاجَتَكَ ، وَلَا تُقَارِبُهُ  
كُلَّ الْمُقَارَبَةِ فَيَجْتَرِيَّ عَلَيْكَ وَيُضْعِفَ جُنْدَكَ وَتَذِلَّ نَفْسُكَ . وَمَثَلُ  
ذَلِكَ مَثَلُ الْحَشْبَةِ الْمَنْصُوبَةِ فِي الشَّمْسِ إِذَا أَمَلَتْهَا قَلِيلًا زَادَ ظِلُّهَا ،  
وَإِذَا جَاوَزَتْ بِهَا الْحَدَّ فِي إِمَالَتِهَا نَقَصَ الظِّلُّ . وَلَيْسَ عَدُوَّنَا  
رَاضِيًا مِنَّا بِالذُّونِ فِي الْمُقَارَبَةِ فَالرَّأْيُ لَنَا وَلَكَ الْمُحَارَبَةُ .

قَالَ الْمَلِكُ لِلْخَامِسِ : مَا تَقُولُ أَنْتَ وَمَاذَا تَرَى ؟ الْقِتَالُ أَمْ الصُّلْحُ ، أَمْ الْجَلَاءُ عَنِ الْوَطَنِ ؟ قَالَ : أَمَّا الْقِتَالُ فَلَا سَبِيلَ لِلْمَرَّةِ إِلَى قِتَالِ مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ . وَقَدْ يُقَالُ : إِنَّهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ نَفْسَهُ وَعَدُوَّهُ وَقَاتَلَ مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ حَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى حَتْفِهَا ، مَعَ أَنَّ الْعَاقِلَ لَا يَسْتَصْغِرُ عَدُوًّا ، فَإِنَّ مَنْ اسْتَصْغَرَ عَدُوَّهُ اغْتَرَبَ بِهِ ، وَمَنْ اغْتَرَبَ بِعَدُوِّهِ لَمْ يَسَلِّمْ مِنْهُ ، وَأَنَا لِلْبُومِ شَدِيدُ الْهَيْبَةِ وَإِنْ أَضْرَبَنَ عَنِّي قِتَالِنَا ، وَقَدْ كُنْتُ أَهَابُهُنَّ قَبْلَ ذَلِكَ . فَإِنَّ الْحَازِمَ لَا يَأْمَنُ عَدُوَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَإِنْ كَانَ بَعِيدًا لَمْ يَأْمَنُ سَطْوَتَهُ وَإِنْ كَانَ مُكْتَبًا لَمْ يَأْمَنُ وَثْبَتَهُ وَإِنْ كَانَ وَحِيدًا لَمْ يَأْمَنُ مَكْرَهُ . وَأَحْزَمُ الْأَقْوَامِ وَأَكْيَسُهُمْ مَنْ كَرِهَ الْقِتَالَ لِأَجْلِ النَّفْقَةِ فِيهِ فَإِنَّ مَا دُونَ الْقِتَالِ النَّفْقَةُ فِيهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ . وَالْقِتَالُ النَّفْقَةُ فِيهِ مِنَ الْأَنْفُسِ وَالْأَبْدَانِ وَرُبَّمَا اكْتَفَى عَنْهُ بِالنَّفْقَةِ الْيَسِيرَةِ وَالْكَلامِ اللَّيِّنِ . فَلَا يَكُونَنَّ الْقِتَالُ لِلْبُومِ مِنْ رَأْيِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ، فَإِنَّ مَنْ قَاتَلَ مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ فَقَدْ غَرَّرَ بِنَفْسِهِ . فَإِذَا كَانَ الْمَلِكُ مُحْصِنًا لِلْأَسْرَارِ مُتَخَيِّرًا لِلْوُزَرَاءِ ، مَهِيْبًا فِي أَعْيُنِ النَّاسِ ، بَعِيدًا مِنْ أَنْ يُقَدَّرَ عَلَيْهِ ، كَانَ خَلِيقًا أَنْ لَا يُسَلَبَ صَاحِبِ مَا أُوتِيَ مِنَ الْخَيْرِ ؛ وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ كَذَلِكَ . وَالْمَلِكُ يَزْدَادُ بَرَأْيَ وَزَرَائِهِ بَصِيرَةً كَمَا يَزِيدُ الْبَحْرُ بِمُجَاوَرِهِ مِنَ الْأَنْهَارِ . وَقَدْ اسْتَشَرْتَنِي فِي أَمْرِ جَوَابِكَ مِنِّي عَنْهُ فِي بَعْضِهِ عَلَيَّ وَقَدْ أَحْبَبْتُكَ بِهِ ، وَفِي بَعْضِهِ سِرِّي . وَلِلْأَسْرَارِ مَنَازِلُ ،

مِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهِ الرَّهْطُ ، وَمِنْهَا مَا يُسْتَعَانُ فِيهِ بِالْقَوْمِ ، وَمِنْهَا  
مَا يَدْخُلُ فِيهِ الرَّجُلَانِ ، وَلَسْتُ أَرَى لِهَذَا السِّرِّ عَلَى قَدْرِ مَنْزِلَتِهِ  
أَنْ يُشَارِكَ فِيهِ إِلَّا أَرْبَعُ آذَانٍ وَلِسَانَانِ . فَنَهَضَ الْمَلِكُ مِنْ سَاعَتِهِ  
وَخَلَا بِهِ فَاسْتَشَارَهُ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا سَأَلَهُ عَنْهُ الْمَلِكُ أَنَّهُ قَالَ : هَلْ  
تَعْلَمُ ابْتِدَاءَ الْعَدَاوَةِ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبُومِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، كَلِمَةٌ تَكَلَّمَ بِهَا  
غُرَابٌ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

\*\*\*\*\*

### الغراب والكراكي :

قَالَ الْغُرَابُ : زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْكِرَاكِيِّ لَمْ يَكُنْ لَهَا مَلِكٌ  
فَأَجْمَعَتْ أَمْرَهَا عَلَى أَنْ تُمَلِّكَ عَلَيْهَا مَلِكَ الْبُومِ . فَبَيْنَمَا هِيَ فِي  
مَجْمَعِهَا إِذْ وَقَعَ لَهَا غُرَابٌ . فَقَالَتْ : لَوْ جَاءَنَا هَذَا الْغُرَابُ  
لَاَسْتَشَرْنَاهُ فِي أَمْرِنَا . فَلَمْ يَلْبَثَنَّ دُونَ أَنْ جَاءَهُنَّ الْغُرَابُ  
فَاسْتَشَرْنَهُ . فَقَالَ : لَوْ أَنَّ الطَّيْرَ بَادَتْ مِنَ الْأَقَالِيمِ وَفَقِدَ الطَّلَاوُوسُ  
وَالْبَطُّ وَالنَّعَامُ وَالْحَمَامُ مِنَ الْعَالَمِ ، لَمَا اضْطُرَّرْتُنَّ إِلَى أَنْ تُمَلِّكَنَّ  
عَلَيْكِنَّ الْبُومَ الَّتِي هِيَ أَقْبَحُ الطَّيْرِ مَنْظَرًا ، وَأَسْوَأُهَا خَلْقًا ، وَأَقْلُبُهَا  
عَقْلًا ، وَأَشَدُّهَا غَضَبًا ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ كُلِّ رَحْمَةٍ مَعَ عَمَاهَا وَمَعَ  
الْعَشَا فِي النَّهَارِ ، وَتَنْ رَائِحَتِهَا حَتَّى لَا يُطِيقُ طَائِرٌ أَنْ يَتَقَرَّبَ  
مِنْهَا ، وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ وَأَقْبَحُ أُمُورِهَا سَفْهَهَا وَسُوءُ أَخْلَاقِهَا . إِلَّا أَنْ



تَرَيْنَ أَنْ تُمَلِّكَنَهَا وَتَكُنَّ تُدَبِّرِنَ الْأُمُورَ دُونَهَا بَرَأْيِكُنَّ وَعُقُولِكُنَّ ؟ فَإِنَّ  
وُزَرَءَ الْمَلِكِ إِذَا كَانُوا صَالِحِينَ يُطِيعُهُمْ فِي آرَائِهِمْ لَمْ يَضُرَّ فِي مُلْكِهِ  
كَوْنُهُ جَاهِلًا وَاسْتَقَامَ أَمْرُهُ ، كَمَا فَعَلَتِ الْأَرْنَبُ الَّتِي زَعَمْتَ أَنَّ  
الْقَمَرَ مَلِكُهَا وَعَمَلْتَ بَرَأْيَهَا . قَالَتِ الطَّيْرُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ؟

\*\*\*\*\*

### الأرنب وملك الفيلة :

قَالَ الْغَرَابُ : زَعَمُوا أَنَّ أَرْضًا مِنْ أَرْضِي الْفَيْلَةِ تَتَابَعَتْ  
عَلَيْهَا السُّنُونُ وَأَجْدَبَتْ وَقَلَّ مَأْوَاهَا وَغَارَتْ عُيُونُهَا وَذَوَى نَبْتُهَا  
وَبَيَسَ شَجَرُهَا فَأَصَابَ الْفَيْلَةَ عَطَشٌ شَدِيدٌ . فَشَكَّوْنَ ذَلِكَ إِلَى  
مَلِكِهِمْ فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ رُسُلَهُ وَرَوَّادَهُ فِي طَلَبِ الْمَاءِ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ  
فَرَجَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ الرُّسُلِ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ وَجَدْتُ بِمَكَانٍ كَذَا عَيْنًا  
يُقَالُ لَهَا عَيْنُ الْقَمَرِ كَثِيرَةُ الْمَاءِ . فَتَوَجَّهَ مَلِكُ الْفَيْلَةِ بِأَصْحَابِهِ إِلَى  
تِلْكَ الْعَيْنِ لِيَشْرَبَ مِنْهَا هُوَ وَفَيْلَتُهُ . وَكَانَتِ الْعَيْنُ فِي أَرْضِ  
لِلْأَرْنَبِ فَوَطَّئَنَ الْأَرْنَبُ فِي أَشْجَارِهِمْ فَأَهْلَكَنَ مِنْهُمْ كَثِيرًا .  
فَاجْتَمَعَتِ الْأَرْنَبُ إِلَى مَلِكِهِمْ فَقُلْنَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ مَا أَصَابَنَا مِنْ  
الْفَيْلَةِ ؟ فَقَالَ : لِيَحْضُرَ مِنْكُمْ كُلُّ ذِي رَأْيٍ رَأْيَهُ . فَتَقَدَّمَتْ أَرْنَبٌ  
مِنَ الْأَرْنَبِ يُقَالُ لَهَا فَيْرُوزُ ، وَكَانَ الْمَلِكُ يَعْرِفُهَا بِحُسْنِ الرَّأْيِ  
وَالْأَدَبِ ، فَقَالَتْ : إِنَّ رَأْيَ الْمَلِكِ أَنْ يَبْعَثَنِي إِلَى الْفَيْلَةِ وَيُرْسِلَ مَعِي

أَمِينًا لِيَسْمَعَ وَيَرَى مَا أَقُولُ وَيَرْفَعَهُ إِلَى الْمَلِكِ . فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ :  
 أَنْتِ أَمِينَةٌ وَنَرْضَى بِقَوْلِكَ ، فَاَنْطَلِقِي إِلَى الْفَيْلَةِ وَبَلِّغِي عَنِّي مَا  
 تُرِيدِينَ ، وَأَعْلَمِي أَنَّ الرَّسُولَ بِرَأْيِهِ وَعَقْلِهِ وَلِينِهِ وَفَضْلِهِ يُخْبِرُ عَن  
 عَقْلِ الْمُرْسَلِ ، فَعَلَيْكَ بِاللِّينِ وَالرَّفْقِ وَالْحَلْمِ وَالتَّائِي ، فَإِنَّ الرَّسُولَ  
 هُوَ الَّذِي يُلَيِّنُ الصُّدُورَ إِذَا رَفَقَ وَيُخَشِّنُ الصُّدُورَ إِذَا خَرَقَ .

ثُمَّ إِنَّ الْأَرْنَبَ أَنْطَلَقَتْ فِي لَيْلَةِ قَمَرَاءَ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى الْفَيْلَةِ ،  
 وَكَرِهَتْ أَنْ تَدْنُو مِنْهُنَّ مَخَافَةَ أَنْ يَطَّانَهَا بِأَرْجُلِهِنَّ فَيَقْتُلْنَهَا وَإِنْ كُنَّ  
 غَيْرَ مُتَعَمِّدَاتٍ ، فَأَشْرَفَتْ عَلَى الْجَبَلِ ، وَنَادَتْ مَلِكَ الْفَيْلَةِ وَقَالَتْ  
 لَهُ : إِنَّ الْقَمَرَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ وَالرَّسُولُ غَيْرُ مَلُومٍ فِيَمَا يُبَلِّغُ وَإِنْ  
 أَغْلَظَ فِي الْقَوْلِ . قَالَ مَلِكُ الْفَيْلَةِ : فَمَا الرِّسَالَةُ ؟ قَالَتْ : يَقُولُ لَكَ  
 إِنَّهُ مَنْ عَرَفَ فَضْلَ قُوَّتِهِ عَلَى الضُّعْفَاءِ فَاغْتَرَّ فِي ذَلِكَ بِالْأَقْوِيَاءِ  
 قِيَاسًا لَهُمْ عَلَى الضُّعْفَاءِ كَانَتْ قُوَّتُهُ وَبَالًا عَلَيْهِ . وَأَنْتَ قَدْ عَرَفْتَ  
 فَضْلَ قُوَّتِكَ عَلَى الدَّوَابِّ فَغَرَّكَ ذَلِكَ فَعَمَدْتَ إِلَى الْعَيْنِ الَّتِي  
 تُسَمَّى بِاسْمِي فَشَرِبْتَ مِنْهَا وَكَدَّرْتَهَا ، فَأَرْسَلَنِي إِلَيْكَ فَأَنْذَرْتُكَ أَنْ  
 لَا تَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، وَأَنَّهُ إِنْ فَعَلْتَ يُعَشِّي عَلَى بَصْرِكَ وَيُتَلَفُ  
 نَفْسَكَ . وَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنْ رِسَالَتِي فَهَلِّمْ إِلَى الْعَيْنِ مِنْ سَاعَتِكَ  
 فَإِنَّهُ مُوَافِيكَ بِهَا . فَعَجِبَ مَلِكُ الْفَيْلَةِ مِنْ قَوْلِ الْأَرْنَبِ فَاَنْطَلَقَ إِلَى  
 الْعَيْنِ مَعَ فَيْرُوزِ الرَّسُولِ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا رَأَى ضَوْءَ الْقَمَرِ فِيهَا ،

فَقَالَتْ لَهُ فَيَرُوزُ الرَّسُولُ : خُذْ بِخُرْطُومِكَ مِنَ الْمَاءِ فَاغْسِلْ بِهِ  
وَجْهَكَ وَاسْجُدْ لِلْقَمَرِ . فَأَدْخَلَ الْفِيلُ خُرْطُومَهُ فِي الْمَاءِ فَتَحَرَّكَ  
فَخَيَّلَ إِلَى الْفِيلِ أَنَّ الْقَمَرَ ارْتَعَدَ فَقَالَ : مَا شَأْنُ الْقَمَرِ ارْتَعَدَ ؟  
أَتَرَيْنَهُ غَضِبَ مِنْ إِدْخَالِي خُرْطُومِي فِي الْمَاءِ ؟ قَالَتْ فَيَرُوزُ الْأَرْنَبُ :  
نَعَمْ . فَسَجَدَ الْفِيلُ لِلْقَمَرِ مَرَّةً أُخْرَى وَتَابَ إِلَيْهِ مِمَّا صَنَعَ وَشَرَطَ  
أَلَّا يَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ فَيْلَتِهِ .

قَالَ الْغُرَابُ : وَمَعَ مَا ذَكَرْتُ مِنْ أَمْرِ الْبُومِ فَإِنَّ فِيهَا الْخَبَّ  
وَالْمَكْرَ وَالْخَدِيعَةَ ، وَشَرُّ الْمُلُوكِ الْمُخَادِعُ . وَمَنْ ابْتَلَى بِسُلْطَانِ مُخَادِعٍ  
وَخَدَمَهُ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ الْأَرْنَبَ وَالصِّفْرِدَ حِينَ احْتَكَمَا إِلَى  
السَّنُورِ . قَالَتْ الْكِرَاكِيُّ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

\*\*\*\*\*

### الصفرد والأرنب والسنور :

قَالَ الْغُرَابُ : كَانَ لِي جَارٌ مِنَ الصِّفَارِدَةِ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ  
قَرِيبَةٍ مِنْ وَكْرِي وَكَانَ يُكْثِرُ مُوَاصَلَتِي ، ثُمَّ فَقَدْتُهُ فَلَمْ أَعْلَمْ أَيْنَ  
غَابَ وَطَالَتْ غَيْبَتُهُ عَنِّي . فَجَاءَتْ أَرْنَبٌ إِلَى مَكَانِ الصِّفْرِدِ  
فَسَكَتَتْهُ ، فَكَرِهَتْ أَنْ أُخَاصِمَ الْأَرْنَبَ فَلَبِثَتْ فِيهِ زَمَانًا . ثُمَّ إِنَّ  
الصِّفْرِدَ عَادَ بَعْدَ زَمَانٍ فَأَتَى مَنْزِلَهُ فَوَجَدَ فِيهِ الْأَرْنَبَ فَقَالَ لَهَا :

هَذَا الْمَكَانُ لِي فَأَنْطَلِقِي عَنْهُ . قَالَتِ الْأَرْنَبُ : الْمَسْكَنُ لِي وَتَحَتَ يَدِي وَأَنْتَ مُدَّعٍ لَهُ ، فَإِنْ كَانَ لَكَ فَاسْتَعِدِّي عَلَيَّ . قَالَ الصَّفْرَدُ : الْقَاضِي مَنَّا قَرِيبٌ فَهَلُمَّيْ بِنَا إِلَيْهِ . قَالَتِ الْأَرْنَبُ : وَمَنْ الْقَاضِي ؟ قَالَ الصَّفْرَدُ : إِنَّ بَسَاحِلَ الْبَحْرِ سَنُورًا مُتَعَبِدًا يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ كُلَّهُ وَلَا يُؤْذِي دَابَّةً وَلَا يَهْرِيقُ دَمًا ، عَيْشُهُ مِنَ الْحَشِيشِ وَمِمَّا يَقْذِفُهُ إِلَيْهِ الْبَحْرُ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ تَحَاكَمْنَا إِلَيْهِ وَرَضِينَا بِهِ . قَالَتِ الْأَرْنَبُ : مَا أَرْضَانِي بِهِ إِذَا كَانَ كَمَا وَصَفْتَ . فَأَنْطَلَقَا إِلَيْهِ ، فَتَبَعْتُهُمَا لِأَنْظُرَ إِلَى حُكُومَةِ الصَّوَامِ الْقَوَامِ . ثُمَّ إِنَّهُمَا ذَهَبَا إِلَيْهِ فَلَمَّا بَصُرَ السَّنُورَ بِالْأَرْنَبِ وَالصَّفْرَدِ مُقْبِلَيْنِ نَحْوَهُ انْتَصَبَ قَائِمًا يُصَلِّي وَأَظْهَرَ الْخُشُوعَ وَالتَّسُّكَ . فَعَجَبَا لِمَا رَأَيَا مِنْ حَالِهِ ، وَدَنُوا مِنْهُ هَاتِبَيْنِ لَهُ وَسَلَّمَا عَلَيْهِ ، وَسَلَّأَهُ أَنْ يَقْضِي بَيْنَهُمَا ، فَأَمَرَهُمَا أَنْ يَقْضَا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، ففَعَلَا . قَالَ لَهُمَا : قَدْ بَلَّغْتَنِي الْكِبْرَ وَثَقُلْتَ أذْنَائِي فَادْنُوا مِنِّي فَأَسْمِعَانِي مَا تَقُولَانِ . فَدَنُوا مِنْهُ وَأَعَادَا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ وَسَلَّأَهُ الْحُكْمَ . فَقَالَ : قَدْ فَهَمْتُ مَا قُلْتُمَا وَأَنَا مُبْتَدِئُكُمَا بِالنَّصِيحَةِ قَبْلَ الْحُكُومَةِ . فَأَنَا أَمْرُكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالْأَلَا تَطْلُبَانِ إِلَّا الْحَقَّ ، فَإِنَّ طَالِبَ الْحَقِّ هُوَ الَّذِي يُفْلِحُ وَإِنْ قُضِيَ عَلَيْهِ ، وَطَالِبَ الْبَاطِلِ مَخْصُومٌ وَإِنْ قُضِيَ لَهُ ، وَلَيْسَ لِصَاحِبِ الدُّنْيَا مِنْ دُنْيَاهُ شَيْءٌ لَا مَالٌ وَلَا صَدِيقٌ سِوَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ يُقَدِّمُهُ . فَذُو الْعَقْلِ حَقِيقٌ أَنْ يَكُونَ سَعِيَّهُ فِي طَلَبِ مَا يَبْقَى وَيَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِ غَدًا ،

وَأَنْ يَمَقَّتْ بِسَعْيِهِ مَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا . فَإِنَّ مَنَزَلَةَ الْمَالِ  
عِنْدَ الْعَاقِلِ بِمَنَزَلَةِ الْمَدْرِ، وَمَنَزَلَةَ النَّاسِ عِنْدَهُ فِيمَا يُحِبُّ لَهُمْ مِنَ  
الْخَيْرِ وَيَكْرَهُ مِنَ الشَّرِّ بِمَنَزَلَةِ نَفْسِهِ .

ثُمَّ إِنَّ السَّنُورَ لَمْ يَزَلْ يَقْصُ عَلَيْهِمَا مِنْ جِنْسِ هَذَا وَأَشْبَاهِهِ  
حَتَّى أَسَا إِلَيْهِ وَأَقْبَلَا عَلَيْهِ وَدَنُوا مِنْهُ فَوَثَبَ عَلَيْهِمَا فَقَاتَلَهُمَا .

قَالَ الْغُرَابُ : ثُمَّ إِنَّ الْبُومَ تَجَمَّعَ مَعَهُ مَا وَصَفْتُ لَكُنَّ مِنَ الشُّؤْمِ  
سَائِرِ الْعُيُوبِ ، فَلَا يَكُونَنَّ تَمْلِيكَ الْبُومِ مِنْ رَأْيِكَ . فَلَمَّا سَمِعَ  
الْكَرَّكِيَّ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْغُرَابِ أَضْرَبَنَّ عَنْ تَمْلِيكَ الْبُومِ . وَكَانَ  
هُنَاكَ بَوْمٌ حَاضِرٌ قَدْ سَمِعَ مَا قَالُوا ، فَقَالَ لِلْغُرَابِ : لَقَدْ وَتَرْتَبِي  
أَعْظَمَ التَّرَةِ وَلَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَلَفَ مِنِّي إِلَيْكَ سُوءٌ أَوْجَبَ هَذَا . وَبَعْدُ  
فَاعْلَمْ أَنَّ الْفَأْسَ يَقْطَعُ بِهَا الشَّجَرَ فَيَعُودُ يَنْبُتُ وَالسَّيْفُ يَقْطَعُ  
اللَّحْمَ ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَنْدَمِلُ وَاللِّسَانَ لَا يَنْدَمِلُ جُرْحُهُ وَلَا تُؤَسَى  
مَقَاطِعُهُ . وَالنَّصْلُ مِنَ السَّهْمِ يَغِيبُ فِي اللَّحْمِ ثُمَّ يُنْزَعُ فَيَخْرُجُ ،  
وَأَشْبَاهُ النَّصْلِ مِنَ الْكَلَامِ إِذَا وَصَلَتْ إِلَى الْقَلْبِ لَمْ تُنْزَعْ وَلَمْ  
تُسْتَخْرَجْ . وَلِكُلِّ حَرِيْقٍ مُطْفِئٌ ، فَلِلنَّارِ الْمَاءُ وَلِلسُّمِّ الدَّوَاءُ وَلِلْعَشْقِ  
الْفُرْقَةُ ، وَنَارُ الْحَقْدِ لَا تَحْبُو أَبَدًا . وَقَدْ غَرَسْتُمْ مَعَاشِرَ الْغُرَبَانَ  
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ شَجَرَ الْحَقْدِ وَالْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ .

فَلَمَّا قَضَى الْبُومُ مَقَالَتهُ وَلَّى مُغْضِبًا فَأَخْبَرَ مَلِكَ الْبُومِ بِمَا

جَرَى وَبِكُلِّ مَا كَانَ مِنْ قَوْلِ الْغُرَابِ . ثُمَّ إِنَّ الْغُرَابَ نَدِمَ عَلَى مَا  
 فَرَطَ مِنْهُ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ خَرَقْتُ فِي قَوْلِي الَّذِي جَلَبْتُ بِهِ  
 الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ عَلَى نَفْسِي وَقَوْمِي ، وَلَيْتَنِي لَمْ أُخْبِرِ الْكِرَاكِيَّ  
 بِهَذِهِ الْحَالِ . وَلَعَلَّ أَكْثَرَ الطَّيْرِ قَدْ رَأَى أَكْثَرَ مِمَّا رَأَيْتُ وَعَلِمَ  
 أضعافَ مَا عَلِمْتُ ، فَمَنَعَهَا مِنَ الْكَلَامِ بِمِثْلِ مَا تَكَلَّمْتُ اتِّقَاءً مَا لَمْ  
 أَتَّقَ ، وَالنَّظَرَ فِيمَا لَمْ أَنْظُرْ فِيهِ مِنْ حِذَارِ الْعَوَاقِبِ ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا  
 كَانَ الْكَلَامُ أَفْطَحَ كَلَامَ يَلْقَى مِنْهُ سَامِعُهُ وَقَائِلُهُ لِلْمَكْرُوهِ مِمَّا يُورِثُ  
 الْحَقْدَ وَالضَّغِينَةَ ؛ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تُسَمَّى أَشْبَاهُ هَذَا الْكَلَامِ كَلَامًا  
 وَلَكِنْ سِهَامًا ، وَالْعَاقِلُ إِنْ كَانَ وَاثِقًا بِقُوَّتِهِ وَفَضْلِهِ لَا يَنْبَغِي أَنْ  
 يَحْمِلَهُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَجْلِبَ الْعَدَاوَةَ عَلَى نَفْسِهِ اتِّكَالًا عَلَى مَا عِنْدَهُ  
 مِنَ الرَّأْيِ وَالْقُوَّةِ ، كَمَا أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ التَّرْيَاقُ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ  
 يَشْرَبَ السُّمَّ اتِّكَالًا عَلَى مَا عِنْدَهُ . وَصَاحِبُ الْعَمَلِ وَإِنْ قَصَرَ بِهِ  
 الْقَوْلُ فِي مُسْتَقْبَلِ الْأَمْرِ كَانَ فَضْلُهُ بَيْنًا وَاضِحًا فِي الْعَاقِبَةِ  
 وَالِاخْتِبَارِ ، وَصَاحِبُ حُسْنِ الْقَوْلِ وَإِنْ أَعْجَبَ النَّاسَ مِنْهُ حُسْنُ  
 صِفَتِهِ لِلْأُمُورِ لَمْ تُحْمَدْ مَغَبَّةُ أَمْرِهِ ، وَأَنَا صَاحِبُ الْقَوْلِ الَّذِي لَا  
 عَاقِبَةَ لَهُ مَحْمُودَةٌ . أَوْ لَيْسَ مِنْ سَفْهِهِ اجْتِرَائِي عَلَى التَّكَلُّمِ فِي  
 أَمْرٍ لَمْ أُسْتَشِرْ فِيهِ أَحَدًا وَلَمْ أَعْمَلْ فِيهِ رَأْيًا ؟ وَمَنْ لَمْ يَسْتَشِرْ  
 النَّصِحَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ وَعَمِلَ بِرَأْيِهِ مِنْ غَيْرِ تَكَرَّرِ النَّظَرِ وَالرُّوْيَةِ لَمْ  
 يَفْتَبِطْ بِمَوَاقِعِ رَأْيِهِ ؛ فَمَا كَانَ أَغْنَانِي عَمَّا كَسَبْتُ يَوْمِي هَذَا وَمَا

وَقَعَتْ فِيهِ مِنَ الْهَمِّ . وَعَاتَبَ الْغُرَابُ نَفْسَهُ بِهَذَا الْكَلَامِ وَأَشْبَاهِهِ  
وَذَهَبَ .

هَذَا مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ مِنْ ابْتِدَاءِ الْعَدَاوَةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبُومِ ، وَأَمَّ  
الْقِتَالَ فَقَدْ عَلِمْتَ رَأْيِي فِيهِ وَكَرَاهَتِي لَهُ ، وَلَكِنْ عِنْدِي مِنَ الرَّأْيِ  
وَالْحِيلَةِ غَيْرُ الْقِتَالِ مَا يَكُونُ فِيهِ الْفَرْجُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَإِنَّهُ  
رُبَّ قَوْمٍ قَدْ احْتَالُوا بِأَرَائِهِمْ حَتَّى ظَفِرُوا بِمَا أَرَادُوا وَمِنْ ذَلِكَ  
حَدِيثُ الْجَمَاعَةِ الَّذِينَ ظَفِرُوا بِالنَّاسِكِ وَأَخَذُوا غَرِيضَهُ . قَالَ  
الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

\*\*\*\*\*

### الصوص والناسك وغريضة :

قَالَ الْغُرَابُ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا اشْتَرَى غَرِيضًا ضَخْمًا لِيَجْعَلَهُ  
قَرْبَانًا ، فَانْطَلَقَ بِهِ يَقُودُهُ . فَبَصُرَ بِهِ قَوْمٌ مِنَ الْمَكْرَةِ فَاتَّمَرُوا بَيْنَهُمْ  
أَنْ يَأْخُذُوهُ مِنَ النَّاسِكِ . فَعَرَضَ لَهُ أَحَدُهُمْ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا  
النَّاسِكُ ، مَا هَذَا الْكَلْبُ الَّذِي مَعَكَ ؟ ثُمَّ عَرَضَ لَهُ الْآخَرُ فَقَالَ  
لِصَاحِبِهِ : مَا هَذَا نَاسِكًا لِأَنَّ النَّاسِكَ لَا يَقُودُ كَلْبًا . فَلَمَّ يَزَالُوا مَعَ  
النَّاسِكِ عَلَى هَذَا وَمِثْلِهِ حَتَّى لَمْ يَشْكُ أَنْ الَّذِي يَقُودُهُ كَلْبٌ وَأَنَّ  
الَّذِي بَاعَهُ إِيَّاهُ سَحَرَ عَيْنِيهِ ، فَأَطْلَقَهُ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذَهُ الْجَمَاعَةُ  
الْمُحْتَالُونَ وَمَضَوْا بِهِ .

وَأِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِمَا أَرْجُو أَنْ نُصِيبَ مِنْ حَاجَتِنَا بِالرُّفْقِ وَالْحَيَلَةِ . وَإِنِّي أُرِيدُ مِنَ الْمَلِكِ أَنْ يَنْقَرِنِي عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ وَيَنْتَفِ رِيشِي وَذَنَبِي ثُمَّ يَطْرَحَنِي فِي أَصْلِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَيَرْتَحِلَ الْمَلِكُ وَجُنُودُهُ إِلَى مَكَانٍ كَذَا ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنِّي أَصْبِرُ وَأَطْلُعُ عَلَى أَحْوَالِهِمْ وَمَوَاضِعِ تَحْصِينِهِمْ وَأَبْوَابِهِمْ فَأُخَادِعُهُمْ وَأَتِي إِلَيْكُمْ لِنَهْجِمَ عَلَيْهِمْ وَنَنَالَ مِنْهُمْ غَرَضْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . قَالَ الْمَلِكُ : أَتَطِيبُ نَفْسَكَ لِذَلِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَكَيْفَ لَا تَطِيبُ نَفْسِي لِذَلِكَ وَفِيهِ أَعْظَمُ الرَّاحَاتِ لِلْمَلِكِ وَجُنُودِهِ ؟ فَفَعَلَ الْمَلِكُ بِالْغُرَابِ مَا ذَكَرَ ثُمَّ ارْتَحَلَ عَنْهُ .

فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ أَقْبَلَ مَلِكُ الْبُومِ وَجُنْدُهُ لِيُوقِعَ بِالْغُرَبَانِ فَلَمْ يَجِدْهُمْ وَهَمَّ بِالْإِنْصِرَافِ . فَجَعَلَ الْغُرَابُ يَبْنُ وَيَهْمِسُ حَتَّى سَمِعَتْهُ الْبُومُ ، وَرَأَيْنَهُ يَبْنُ فَأَخْبَرْنَ مَلِكَهُنَّ بِذَلِكَ ، فَقَصَدَ نَحْوَهُ لِيَسْأَلَهُ عَنِ الْغُرَبَانِ . فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ أَمَرَ بَوْمًا أَنْ يَسْأَلَهُ فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ وَأَيْنَ أَحْسَبُكَ تَرَى أَنَّ حَالِي حَالُ مَنْ لَا يَعْلَمُ الْأَسْرَارَ . فَقِيلَ لِلْمَلِكِ الْبُومِ : هَذَا وَزِيرُ مَلِكِ الْغُرَبَانِ وَصَاحِبُ رَأْيِهِ فَسَأَلَهُ بِأَيِّ ذَنْبٍ صُنِعَ بِهِ مَا صُنِعَ . فَسُئِلَ الْغُرَابُ عَنْ أَمْرِهِ ، فَقَالَ : إِنَّ مَلِكَنَا اسْتَشَارَ جَمَاعَتَنَا فَيَكُنُّ وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ بِمَحْضَرٍ مِنَ الْأَمْرِ . فَقَالَ : أَيُّهَا الْغُرَبَانُ مَا



تَرَوْنَ فِي ذَلِكَ ؟ فَقُلْتُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا طَاقَةَ لَنَا بِقِتَالِ الْبُومِ لِأَنَّهِنَّ أَشَدُّ بَطْشًا وَأَحَدٌ قَلْبًا مِنَّا ، وَلَكِنْ أَرَى أَنْ نَلْتَمِسَ الصُّلْحَ ثُمَّ نَبْذُلَ الْفِدْيَةَ فِي ذَلِكَ ، فَإِنْ قَبِلَتِ الْبُومُ ذَلِكَ مِنَّا وَإِلَّا هَرَبْنَا فِي الْبِلَادِ ، وَإِذَا كَانَ الْقِتَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبُومِ كَانَ خَيْرًا لَهِنَّ وَشَرًّا لَنَا ؛ فَالصُّلْحُ أَفْضَلُ مِنَ الْخُصُومَةِ . وَأَمَرْتُهُنَّ بِالرُّجُوعِ عَنِ الْحَرْبِ وَضَرَبْتُ لَهُنَّ الْأَمْثَالَ فِي ذَلِكَ ، وَقُلْتُ لَهُنَّ إِنَّ الْعَدُوَّ الشَّدِيدَ لَا يَرُدُّ بِأَسْهُ مِثْلُ الْخُضُوعِ لَهُ ، أَلَا تَرَيْنَ إِلَى الْحَشِيشِ كَيْفَ يَسْلَمُ مِنْ عَاصِفِ الرِّيحِ لِلِيْنِهِ وَمَيْلِهِ مَعَهَا حَيْثُ مَالَتْ وَالشَّجَرُ الْعَاطِي يُكْسِرُ بِهَا وَيَحْطَمُ ، فَعَصَيْتَنِي فِي ذَلِكَ وَزَعَمْنَ أَنَّهُنَّ يَرِدْنَ الْقِتَالَ وَاتَّهَمَنِي فِيمَا قُلْتُ وَقُلْنَ إِنَّكَ قَدْ مَالَتَ الْبُومَ عَلَيْنَا . وَرَدَدَنَ قَوْلِي وَنَصِيحَتِي وَعَذَّبَنِي بِهَذَا الْعَذَابِ وَتَرَكَنِي الْمَلِكُ وَجُنُودُهُ وَارْتَحَلَ ، وَلَا عِلْمَ لِي بِهِنَّ بَعْدَ ذَلِكَ .

فَلَمَّا سَمِعَ مَلِكُ الْبُومِ مَقَالَةَ الْغُرَابِ قَالَ لِبَعْضِ وُزَرَائِهِ : مَا تَقُولُ فِي الْغُرَابِ وَمَا تَرَى فِيهِ ؟ قَالَ : مَا أَرَى إِلَّا الْمُعَاجَلَةَ لَهُ بِالْقِتْلِ ، فَإِنَّ هَذَا أَفْضَلُ عُدَدِ الْغُرَبَانِ ، وَفِي قَتْلِهِ لَنَا رَاحَةٌ مِنْ مَكْرِهِ ، وَفَقْدُهُ عَلَى الْغُرَبَانِ شَدِيدٌ . فَإِذَا قُتِلَ ثَلَاثُ مُلْكُهُمْ وَتَقَوَّضَ ، وَمَا أَرَاهُ إِلَّا فَتْحًا قَدْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ . وَيُقَالُ : مَنْ ظَفَرَ بِالسَّاعَةِ الَّتِي فِيهَا يُنْجَحُ الْعَمَلُ ، ثُمَّ لَا يُعَالِجُهُ بِالَّذِي يَنْبَغِي لَهُ فَلَيْسَ بِحَكِيمٍ

، وَمَنْ طَلَبَ الْأَمْرَ الْجَسِيمَ فَأَمَكَّنَهُ ذَلِكَ فَأَغْفَلَهُ فَاتَهُ الْأَمْرُ ، وَهُوَ خَلِيقٌ أَلَا تَعُودَ الْفُرْصَةَ ثَانِيَةً . وَمَنْ وَجَدَ عَدُوَّهُ ضَعِيفًا وَلَمْ يُنْجِزْ قَتْلَهُ نَدِمَ إِذَا اسْتَقْوَى وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ .

قَالَ الْمَلِكُ لَوَازِيرِ آخَرَ : مَا تَرَى أَنْتَ فِي هَذَا الْغُرَابِ ؟ قَالَ : أَرَى أَلَا تَقْتُلُهُ لِأَنَّهُ قَدْ لَقِيَ مِنْ أَصْحَابِهِ مَا تَرَاهُ فَهُوَ خَلِيقٌ أَنْ يَكُونَ دَلِيلًا لَكَ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ وَمُعِينًا لَكَ عَلَى مَا فِيهِ هَالِكُهُمْ ، وَإِنَّ الْعَدُوَّ الذَّلِيلَ الَّذِي لَا نَاصِرَ لَهُ أَهْلٌ لَأَنْ يُؤْمَنَ وَلَا سِيَّمًا الْمُسْتَجِيرِ الْخَائِفِ ، وَالْعَدُوُّ إِذَا صَدَرَتْ مِنْهُ الْمَنْفَعَةُ وَلَوْ كَانَ غَيْرَ مُتَعَمِّدٍ لَهَا أَهْلٌ لَأَنْ يُصَفَّحَ عَنْهُ بِسَبَبِهَا ، كَالتَّاجِرِ الَّذِي عَطَفَ عَلَى سَارِقٍ لِاصْطِلَاحِهِ مَعَ امْرَأَتِهِ بِسَبَبِهِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

\*\*\*\*\*

### التاجر وامراته والسارق :

قَالَ الْوَزِيرُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ تَاجِرٌ كَثِيرُ الْمَالِ وَالْمَتَاعِ ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ وَحَشَّةٌ . وَإِنَّ سَارِقًا تَسَوَّرَ بَيْتَ التَّاجِرِ فَدَخَلَ فَوَجَدَهُ نَائِمًا وَوَجَدَ امْرَأَتَهُ مُسْتَيْقِظَةً فَدُعِرَتْ مِنَ السَّارِقِ وَوَثَبَتْ إِلَى التَّاجِرِ فَالْتَزَمَتْهُ وَأَيَّقَظَتْهُ ، وَلَمْ يَكُنْ يَجْرِي بَيْنَهُمَا كَلَامٌ . فَاسْتَيْقَظَ التَّاجِرُ وَتَكَلَّمَ وَانْحَلَّتِ الْوَحْشَةُ مِنْ بَيْنِهِمَا . ثُمَّ بَصُرَ

بِالسَّارِقِ فَقَالَ : أَيُّهَا السَّارِقُ أَنْتَ فِي حِلٍّ مِمَّا أَخَذْتَ مِنْ مَالِي وَمَتَاعِي ، وَلَكَ الْفَضْلُ بِمَا أَصْلَحْتَ بَيْنَنَا .

قَالَ مَلِكُ الْبُومِ لِرِوَيْزِيرٍ آخَرَ مِنْ وُزَرَائِهِ : مَا تَقُولُ فِي أَمْرِ الْغُرَابِ ؟ قَالَ : أَرَى أَنْ تَسْتَبْقِيَهُ وَتُحَسِّنَ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَنْصَحَكَ ، وَالْعَاقِلُ يَرَى مُعَادَاةَ بَعْضِ أَعْدَائِهِ بَعْضًا ظَفَرًا حَسَنًا ، وَيَرَى اشْتِغَالَ بَعْضِ أَعْدَائِهِ بِبَعْضِ خَلَاصًا لِنَفْسِهِ مِنْهُمْ وَنَجَاةَ كَنَجَاةِ النَّاسِكِ مِنَ اللَّصِّ وَالشَّيْطَانِ حِينَ اخْتَلَفَا عَلَيْهِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

\*\*\*\*\*

### الناسك واللص والشيطان :

قَالَ الْوَزِيرُ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا أَصَابَ مِنْ رَجُلٍ بَقْرَةً حُلُوبًا فَاِنطَلَقَ بِهَا يَقُودُهَا إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَعَرَضَ لَهُ لِصٌّ أَرَادَ سَرِقَتَهَا وَتَبِعَهُ شَيْطَانٌ يُرِيدُ اخْتِطَافَهُ وَقَدْ تَزَيَّا لَهُ بِزِيِّ إِنْسَانٍ . فَقَالَ الشَّيْطَانُ لِلِّصِّ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ أَنَا اللَّصُّ أُرِيدُ أَنْ أَسْرِقَ هَذِهِ الْبَقْرَةَ مِنْ النَّاسِكِ إِذَا نَامَ . فَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا الشَّيْطَانُ أُرِيدُ اخْتِطَافَهُ إِذَا نَامَ وَأَذْهَبَ بِهِ . فَاِنْتَهَيَا عَلَى هَذَا إِلَى الْمَنْزِلِ ، فَدَخَلَ النَّاسِكُ مَنْزِلَهُ وَدَخَلَ خَلْفَهُ ، وَأَدْخَلَ الْبَقْرَةَ فَرَبَطَهَا فِي زَاوِيَةِ الْمَنْزِلِ

وتَعَشَى وَنَامَ . فَأَقْبَلَ اللَّصُّ وَالشَّيْطَانُ يَأْتِمِرَانِ فِيهِ وَاخْتَلَفَا عَلَى مَنْ يَبْدَأُ بِشُغْلِهِ أَوَّلًا . فَقَالَ الشَّيْطَانُ : إِنَّ أَنْتَ بَدَأْتَ بِأَخْذِ الْبَقْرَةِ رَبِّمَا اسْتَيْقِظْ وَصَاحَ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ فَلَا أَقْدِرُ عَلَى أَخْذِهِ ، فَاَنْتَظِرْنِي رَيْثَمَا أَخْذُهُ وَشَأْنُكَ وَمَا تُرِيدُ . فَأَشْفَقَ اللَّصُّ إِنْ بَدَأَ الشَّيْطَانُ بِاخْتِطَافِهِ أَنْ يَسْتَيْقِظَ فَلَا يَقْدِرَ عَلَى أَخْذِ الْبَقْرَةِ . فَقَالَ : لَا بَلْ أَنْتَظِرْنِي أَنْتَ حَتَّى أَخْذَ الْبَقْرَةَ وَشَأْنُكَ وَمَا تُرِيدُ ؟ قَالَ الشَّيْطَانُ رُؤْيَدًا حَتَّى يَسْتَغْرِقَ النَّاسُ فِي النَّوْمِ فَتَنْظُرَ بِهِمَا جَمِيعًا . فَلَمْ يَزَلَا فِي الْمُجَادَلَةِ هَكَذَا حَتَّى نَادَى اللَّصُّ : أَيُّهَا النَّاسُ انْتَبِهْ فَهَذَا الشَّيْطَانُ يُرِيدُ اخْتِطَافَكَ . وَنَادَى الشَّيْطَانُ : أَيُّهَا النَّاسُ انْتَبِهْ فَهَذَا اللَّصُّ يُرِيدُ أَنْ يَسْرِقَ بَقْرَتَكَ . فَاَنْتَبِهْ النَّاسُ وَجِيرَانُهُ بِأَصْوَاتِهِمَا ، وَهَرَبَ الْخَبِيثَانِ .

فَقَالَ الْوَزِيرُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِ الْغُرَابِ : أَظُنُّ أَنَّ الْغُرَابَ قَدْ خَدَعَكُنَّ وَوَقَعَ كَلَامُهُ فِي نَفْسِ الْغَبِيِّ مِنْكُنَّ مَوْقِعَهُ فَتَرَدَّنَ أَنْ تَضَعَنَّ الرَّأْيَ غَيْرَ مَوْضِعِهِ . فَمَهَلًا مَهَلًا أَيُّهَا الْمَلِكُ عَنْ هَذَا الرَّأْيِ ، وَلَا تَكُونَنَّ لِمَا تَسْمَعُ أَشَدَّ تَصَدِيقًا مِنْكَ لِمَا تَرَى كَالرَّجُلِ الَّذِي كَذَّبَ بِمَا رَأَى ، وَصَدَقَ بِمَا سَمِعَ وَانْخَدَعَ بِالْمُحَالِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

\*\*\*\*\*

## الرجل واللصوص :

قَالَ الْوَزِيرُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ رَجُلٌ نَائِمًا وَحَدَهُ إِحْدَى اللَّيَالِي فِي بَيْتِهِ ، وَإِذَا لُصُوصٌ قَدْ دَخَلُوا عَلَيْهِ الْبَيْتَ ، وَأَخَذُوا فِي جَمْعِ مَا فِيهِ مِنَ الْمَتَاعِ حَتَّى أَفْضَوْا إِلَى حَيْثُ هُوَ نَائِمٌ فَانْتَبَهَ عَلَيْهِمْ وَخَافَ أَنْ يَقُومَ إِلَيْهِمْ حِذَارًا أَنْ يَبْطِشُوا بِهِ ، وَكَانَ لِلْحُجْرَةِ الَّتِي هُوَ فِيهَا بَابٌ آخِرٌ إِلَى الطَّرِيقِ . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : الرَّأْيُ أَلَا أُشْعِرُهُمْ بِانْتِبَاهِي وَلَا أَذْعِرُهُمْ حَتَّى يَفْرَعُوا مِمَّا يُرِيدُونَ أَخْذَهُ وَيُخْرِجُوهُ إِلَى حَيْثُ يُرِيدُونَ احْتِمَالَهُ ، فَأَخْرَجَ مِنَ الْبَابِ الْآخِرِ وَأَدْعُو الْجِيرَانَ فَتَفَجَّاهُمْ وَنَوَقِعَ بِهِمْ . فَلَبِثَ عَلَى فِرَاشِهِ مُتَتَاوِمًا حَتَّى فَرَعَ اللَّصُوصُ مِمَّا أَرَادُوا جَمْعَهُ وَخَرَجُوا يُرِيدُونَ حَمْلَهُ ، فَهَمَّ الرَّجُلُ بِالْقِيَامِ فَشَعُرُوا بِحَرَكَةٍ مِنْهُ فَهَمَسَ إِلَيْهِمْ رَأْسُهُمْ أَنْ قِفُوا وَلَا تَرْتَاعُوا وَتَعَالَوْا نَحْتَلْ لَهُ بِحِيلَةٍ نَخْدَعُهُ بِهَا وَلَا يَذْهَبُ تَعَبْنَا ضِيَاعًا . وَأَنَا الْآنَ رَافِعُ صَوْتِي وَمُخَاطِبُكُمْ بِشَيْءٍ فَصَوَّبُوا فِيهِ رَأْيِي وَأَجِيبُونِي إِلَيْهِ . قَالُوا : نَعَمْ . فَرَفَعَ اللَّصُّ صَوْتَهُ بِحَيْثُ يَسْمَعُ الرَّجُلُ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنِّي أَرَى هَذِهِ الْأَحْمَالَ ثَقِيلَةً شَاقَّةً وَمَا أَرَى قِيمَتَهَا تَفِي بِحَمْلِهَا وَالْمُخَاطِرَةَ فِيهَا . وَقَدْ ظَهَرَ لِي أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ سَيِّئُ الْحَالِ وَقَدْ أَخَذْتَنِي عَلَيْهِ الشَّفَقَةُ وَالرَّأْفَةُ وَرَاجَعْتُ رَأْيِي فِيهِ ، فَرَأَيْتُ أَنَّ نَدَعَ لَهُ مَتَاعَهُ فَإِنَّهُ يَحْسَبُ عَلَيْنَا سَرِقَةً ، وَمَا

هُوَ بِشَيْءٍ يَسْتَحِقُّ الْعَنَاءَ وَلَا لَنَا فِيهِ كَبِيرُ فَائِدَةٍ . وَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ مِنْ بَعْضِ مَشَاهِيرِ اللُّصُوصِ يَقُولُ : مَنْ عَفَّ عَنْ مَتَاعِ فَقِيرٍ فَلَمْ يَسْرِقْهُ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ غَفَرَ لَهُ ذَلِكَ سَرِقَةَ مِائَةِ غَنِيِّ . وَإِنَّ أَوْلَى السَّرِقَةِ وَأَحْلَاهَا سَرِقَةُ الْأَغْنِيَاءِ وَلَا سِيَّمَا ذَوِي الْبُخْلِ وَالْحَرَصِ مِنْهُمْ الَّذِينَ مَا يُبِوتُهُمْ وَخَزَائِنُهُمْ إِلَّا مَدَافِنُ لِأَمْوَالِ حَبَسُوهَا ، فَلَا انْتَفَعُوا بِهَا وَلَا تَرَكَوهَا لِلنَّاسِ . فَهَلُمَّ بِنَا إِلَى أَحَدِ هَؤُلَاءِ وَدَعُوا هَذَا الْحُطَّامَ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ وَاعْتَنِمُوا أَجْرَ هَذَا الرَّجُلِ الْمَسْكِينِ . فَقَالُوا كُلُّهُمْ : صَدَقْتَ وَأَحْسَنْتَ . وَتَظَاهَرُوا أَنَّهُمْ يَفْكُونُ الْأَحْمَالَ وَخَرَجُوا وَكَمَنُوا يَنْتَظِرُونَ نَوْمَ الرَّجُلِ . وَإِنَّ الرَّجُلَ لَمَّا سَمِعَ كَلَامَهُمْ وَثَقَ بِهِ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ وَاعْتَقَدَ أَنَّهُمْ خَرَجُوا فَسَكَنَ وَنَامَ . وَلَبِثَ اللُّصُوصُ حَتَّى أَيَّقِنُوا أَنَّهُ قَدْ نَامَ فَتَارُوا إِلَى الْأَحْمَالِ فَاحْتَمَلُوهَا وَفَازُوا بِهَا .

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ إِزَادَةَ أَلَّا تَكُونَ الرَّجُلَ الَّذِي كَذَبَ بِمَا رَأَى وَصَدَّقَ بِمَا سَمِعَ . فَلَمْ يَلْتَفِتِ الْمَلِكُ إِلَى قَوْلِهِ وَأَمَرَ بِالْغُرَابِ أَنْ يُحْمَلَ إِلَى مَنَازِلِ الْبُومِ وَيُكْرَمَ وَيُسْتَوْصَى بِهِ خَيْرًا . ثُمَّ إِنَّ الْغُرَابَ قَالَ لِلْمَلِكِ يَوْمًا ، وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْبُومِ وَفِيهِنَّ الْوَزِيرُ الَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِهِ : أَيُّهَا الْمَلِكُ قَدْ عَلِمْتَ مَا جَرَى عَلَيَّ مِنَ الْغُرَبَانِ ، وَإِنَّهُ لَا يَسْتَتْرِیحُ قَلْبِي دُونَ الْأَخْذِ بِثَأْرِي مِنْهُنَّ ، وَإِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي

ذَلِكَ فَإِذَا بِي لَا أَقْدِرُ عَلَى مَا رُمْتُ لِأَنِّي غُرَابٌ . وَقَدْ رُويَ عَنِ  
الْعُلَمَاءِ أَنَّهُمْ قَالُوا : مَنْ طَابَتْ نَفْسُهُ بَأَنٍ يُحْرِقُهَا فَقَدْ قَرَّبَ لِلَّهِ  
أَعْظَمَ الْقُرْبَانَ ، وَلَا يَدْعُو عِنْدَ ذَلِكَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ . فَإِنِ  
رَأَى الْمَلِكُ أَنَّ يَأْمُرَنِي فَأُحْرِقَ نَفْسِي وَأَدْعُو رَبِّي أَنْ يُحَوِّلَنِي بَوْمًا  
فَأَكُونَ أَشَدَّ عداوَةً لِلْغُرْبَانِ وَأَقْوَى بِأَسَأَ عَلَيْهِنَّ لِعَلِّي أَنْتَقِمُ مِنْهُنَّ .  
فَقَالَ الْوَزِيرُ الَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِهِ : مَا أَشْبَهَكَ فِي خَيْرٍ مَا تُظْهَرُ وَشَرٌّ  
مَا تُضْمَرُ بِالْخَمْرَةِ الطَّيِّبَةِ الطَّعْمِ وَالرَّيْحِ الْمُنْفَعِ فِيهَا السُّمُّ . أَرَأَيْتَ  
لَوْ أَحْرَقْنَا جِسْمَكَ بِالنَّارِ أَنَّ جَوْهَرَكَ وَطَبْعَكَ مُتَغَيَّرٌ ؟ أَوْ لَيْسَتْ  
أَخْلَاقُكَ تَدُورُ مَعَكَ حَيْثُ دُرْتَ وَتَصِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَصْلِكَ  
وَطِينَتِكَ ؟ كَالْفَارَةِ الَّتِي خَيْرَتْ فِي الْأَزْوَاجِ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالرَّيْحِ  
وَالسَّحَابِ وَالْجِبَلِ فَلَمْ تَزَلْ تَتَخَيَّرُهُمْ حَتَّى رَجَعْتَ إِلَى أَصْلِهَا  
وَتَرَوَّجَتِ الْجُرْدَ . قِيلَ لَهُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

\*\*\*\*\*

## الناسك والفارة :

قَالَ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ نَاسِكٌ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ  
ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ إِذْ مَرَّتْ بِهِ حِدَاةٌ فِي رِجْلِهَا  
دِرْصُ فَارَةٍ فَوَقَعَتْ مِنْهَا عِنْدَ النَّاسِكِ وَأَدْرَكَتُهُ لَهَا رَحْمَةٌ فَأَخَذَهَا  
وَلَفَّهَا فِي وَرْقَةٍ وَذَهَبَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ . ثُمَّ خَافَ أَنْ تَشُقَّ عَلَى أَهْلِهِ

تَرَبَّيْتُهَا فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ يُحَوِّلَهَا جَارِيَةً ، فَتَحَوَّلَتْ جَارِيَةً حَسَنَاءَ .  
فَانْطَلَقَ بِهَا إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ لَهَا : هَذِهِ ابْنَتِي فَاصْنَعِي مَعَهَا  
صَنِيعَكَ بَوْلَدِي . فَلَمَّا كَبُرَتْ قَالَ لَهَا النَّاسِكُ : يَا بِنِيَّةُ اخْتَارِي مَنْ  
أَحْبَبْتِ حَتَّى أُزَوِّجَكَ إِيَّاهُ . فَقَالَتْ : أَمَّا إِذَا خَيْرْتَنِي فَإِنِّي أَخْتَارُ  
زَوْجًا يَكُونُ أَقْوَى الْأَشْيَاءِ . فَقَالَ النَّاسِكُ : لَعَلَّكَ تُرِيدِينَ الشَّمْسَ .  
ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الشَّمْسِ فَقَالَ : أَيُّهَا الْخَلْقُ الْعَظِيمُ ، لِي جَارِيَةٌ وَقَدْ  
طَلَبْتُ زَوْجًا يَكُونُ أَقْوَى الْأَشْيَاءِ ، فَهَلْ أَنْتَ مَتَزَوِّجُهَا ؟ فَقَالَتْ  
الشَّمْسُ : أَنَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي ، السَّحَابُ الَّذِي  
يُعْطِينِي وَيَرُدُّ جِرْمَ شُعَاعِي وَيَكْسِفُ أَشْعَةَ أَنْوَارِي . فَذَهَبَ النَّاسِكُ  
إِلَى السَّحَابِ فَقَالَ لَهُ مَا قَالَ لِلشَّمْسِ . فَقَالَ السَّحَابُ : وَأَنَا أَدُلُّكَ  
عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي . فَادْهَبْ إِلَى الرِّيحِ الَّتِي تُقْبِلُ بِي وَتُدْبِرُ  
وَتَذْهَبُ بِي شَرْقًا وَغَرْبًا . فَجَاءَ النَّاسِكُ إِلَى الرِّيحِ فَقَالَ لَهَا كَقَوْلِهِ  
لِلسَّحَابِ . فَقَالَتْ : وَأَنَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي ، الْجُرْدُ  
الَّذِي لَا اسْتَطِيعُ الْإِمْتِنَاعَ مِنْهُ إِذَا خَرَقَنِي وَاتَّخَذَنِي مَسْكَنًا .  
فَانْطَلَقَ النَّاسِكُ إِلَى الْجُرْدِ فَقَالَ لَهُ : هَلْ أَنْتَ مُتَزَوِّجُ هَذِهِ الْجَارِيَةَ ؟  
فَقَالَ : وَكَيْفَ أَتَزَوِّجُهَا وَمَسْكَنِي ضَيِّقٌ ، وَإِنَّمَا يَتَزَوَّجُ الْجُرْدُ الْفَأْرَةَ .  
فَدَعَا النَّاسِكُ رَبَّهُ أَنْ يُحَوِّلَهَا فَأْرَةً كَمَا كَانَتْ وَذَلِكَ بِرِضَى الْجَارِيَةِ .  
فَاعَادَهَا اللَّهُ إِلَى عُنْصُرِهَا الْأَوَّلِ فَانْطَلَقَتْ مَعَ الْجُرْدِ .



فَهَذَا مِثْلُكَ أَيُّهَا الْمُخَادِعُ . فَلَمْ يَلْتَفِتْ مَلِكُ الْبُومِ إِلَى ذَلِكَ الْقَوْلِ وَرَفَقَ بِالْغُرَابِ وَلَمْ يَزِدْ لَهُ إِلَّا إِكْرَامًا ، حَتَّى إِذَا طَابَ عَيْشُهُ وَنَبَتَ رَيْشُهُ وَاطَّلَعَ عَلَى مَا أَرَادَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ رَاعٍ رَوْغَةً فَآتَى أَصْحَابَهُ بِمَا رَأَى وَسَمِعَ . فَقَالَ لِلْمَلِكِ : إِنِّي قَدْ فَرَعْتُ مِمَّا كُنْتُ أُرِيدُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَسْمَعَ وَتَطِيعَ . قَالَ لَهُ : أَنَا وَالْجُنْدُ تَحْتَ أَمْرِكَ فَاحْتَكِمْ كَيْفَ شِئْتَ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّ الْبُومَ بِمَكَانٍ كَذَا فِي جَبَلٍ كَثِيرِ الْحَطَبِ ، وَفِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ قَطِيعٌ مِنَ الْغَنَمِ مَعَ رَجُلٍ رَاعٍ ، وَنَحْنُ مُصِيبُونَ هُنَاكَ نَارًا وَنُلْقِيهَا فِي أَثْقَابِ الْبُومِ وَنَقْذِفُ عَلَيْهَا مِنْ يَابِسِ الْحَطَبِ وَنَتَرَوِّحُ عَلَيْهَا ضَرْبًا بِأَجْنِحَتِنَا حَتَّى تَضْطَرِمَ النَّارُ فِي الْحَطَبِ ، فَمَنْ خَرَجَ مِنْهُنَّ احْتَرَقَ وَمَنْ لَمْ يَخْرُجْ مَاتَ بِالِدُّخَانِ مَوْضِعَهُ . فَفَعَلَ الْغُرَبَانُ ذَلِكَ فَأَهْلَكَنَّ الْبُومَ قَاطِبَةً وَرَجَعْنَ إِلَى مَنَازِلِهِنَّ سَامِلَاتٍ آمِنَاتٍ .

ثُمَّ إِنَّ مَلِكَ الْغُرَبَانِ قَالَ لِذَلِكَ الْغُرَابِ : كَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى صُحْبَةِ الْبُومِ وَلَا صَبَرَ لِلْأَخْيَارِ عَلَى صُحْبَةِ الْأَشْرَارِ ؟

قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّ مَا قُلْتَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ لِكَذَلِكَ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : لَدَعُ النَّارَ أَيْسَرُ عَلَى الْمَرْءِ مِنَ صُحْبَةِ الْأَشْرَارِ وَالْإِقَامَةِ مَعَهُمْ . وَلَكِنَّ الْعَاقِلَ إِذَا آتَاهُ الْأَمْرُ الْفَظِيعُ الْعَظِيمُ الَّذِي يَخَافُ مِنْ عَدَمِ تَحْمُلِهِ الْجَائِحَةَ عَلَى نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ لَمْ يَجْزَعْ مِنْ شِدَّةِ الصَّبْرِ عَلَيْهِ لِمَا يَرْجُو

مِنْ أَنْ يُعَقِّبَهُ صَبْرُهُ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ وَكَثِيرَ الْخَيْرِ ، فَلَمْ يَجِدْ لِذَلِكَ  
أَمَّا وَلَمْ تَكْرَهُ نَفْسُهُ الْخُضُوعَ لِمَنْ هُوَ دُونَهُ حَتَّى يَبْلُغَ حَاجَتَهُ فَيَغْتَبِطَ  
بِخَاتِمَةِ أَمْرِهِ وَعَاقِبَةِ صَبْرِهِ .

فَقَالَ الْمَلِكُ : أَخْبِرْنِي عَنْ عُقُولِ الْبُومِ . قَالَ الْغُرَابُ : لَمْ أَجِدْ  
فِيهِنَّ عَاقِلًا إِلَّا الَّذِي كَانَ يَحْتُنُّهُنَّ عَلَى قَتْلِي ، وَكَانَ حَرَضَهُنَّ عَلَى  
ذَلِكَ مِرَارًا فَكُنَّ أَضْعَفَ شَيْءٍ رَأْيًا فَلَمْ يَنْظُرْنَ فِي أَمْرِي ، وَيَذْكُرْنَ  
أَنِّي قَدْ كُنْتُ ذَا مَنْزِلَةٍ فِي الْغُرَبَانِ ، وَأَنِّي أُعَدُّ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ . وَلَمْ  
يَتَخَوَّفَنَّ مَكْرِي وَحِيلَتِي وَلَا قَبْلَنَ مِنَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ ، وَلَا أَخْفَيْنَ  
دُونِي أَسْرَارَهُنَّ .

وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يُحَصِّنَ أُمُورَهُ مِنْ أَهْلِ  
النَّمِيمَةِ وَلَا يُطْلِعَ أَحَدًا مِنْهُمْ عَلَى مَوَاضِعِ سِرِّهِ .

فَقَالَ الْمَلِكُ : مَا أَهْلَكَ الْبُومَ فِي نَفْسِي إِلَّا الْبَغْيُ وَضَعْفُ رَأْيِ  
الْمَلِكِ وَمُؤَافَقَتُهُ وَزُرَاءَ السُّوءِ . فَقَالَ الْغُرَابُ : صَدَقْتَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ .  
إِنَّهُ قَلَّمَا ظَفِرَ أَحَدٌ بَغْيِيٍّ وَلَمْ يَطْعُ وَقَلَّمَا حَرَصَ الرَّجُلُ عَلَى النِّسَاءِ  
وَلَمْ يَفْتَضِحْ ، وَقَلَّ مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الطَّعَامِ وَلَمْ يَمْرَضْ ، وَقَلَّ مَنْ وَثِقَ  
بُوزَرَاءِ السُّوءِ وَسَلِمَ مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي الْمَهَالِكِ . وَكَانَ يُقَالُ : لَا يَطْمَعَنَّ  
ذُو الْكِبَرِ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ وَلَا الْخَبُّ فِي حُسْنِ الصَّدِيقِ ، وَلَا  
السِّيءُ الْآدَابِ فِي الشَّرَفِ ، وَلَا الشَّحِيحُ فِي الْبِرِّ ، وَلَا الْحَرِيصُ

فِي قِلَّةِ الذُّنُوبِ ، وَلَا الْمَلِكُ الْمُخْتَالُ الْمُتَهَاوِنُ بِالْأُمُورِ الضَّعِيفُ  
الْوُزَرَاءِ فِي ثَبَاتِ مُلْكِهِ وَصَلَاحِ رَعِيَّتِهِ .

قَالَ الْمَلِكُ : لَقَدْ احْتَمَلْتُ مَشَقَّةً شَدِيدَةً فِي تَصْنَعِكَ لِلْبُومِ  
وَتَضَرُّعِكَ إِلَيْهِنَّ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّ مَنْ احْتَمَلَ مَشَقَّةً يَرْجُو نَفْعَهَا ،  
وَنَحَى عَنِ نَفْسِهِ الْأَنْفَةَ وَالْحَمِيَّةَ وَوَطَنَهَا عَلَى الصَّبْرِ ، حَمِدَ غِبَّ  
رَأْيِهِ . وَإِنَّهُ يُقَالُ : لَوْ أَنَّ رَجُلًا حَمَلَ عَدُوَّهُ عَلَى عُنُقِهِ وَهُوَ يَرْجُو  
هَالَاكَهُ وَرَاحَتَهُ مِنْهُ لَكَانَ عِنْدَهُ خَفِيفًا هَيِّنًا . كَمَا صَبَرَ الْأَسْوَدُ عَلَى  
حَمْلِ مَلِكِ الضَّفَادِعِ عَلَى ظَهْرِهِ وَشَبَعَ بِذَلِكَ وَعَاشَ . قَالَ الْمَلِكُ :  
وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

\* \* \* \* \*

### الأسود وملك الضفادع :

قَالَ الْغُرَابُ : زَعَمُوا أَنَّ أَسْوَدَ مِنَ الْحَيَّاتِ كَبَرَ وَضَعُفَ بَصَرَهُ  
وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ صَيْدًا وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى طَعَامٍ . وَإِنَّهُ أَنْسَابَ  
يَلْتَمِسُ شَيْئًا يَعِيشُ بِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَيْنِ كَثِيرَةِ الضَّفَادِعِ قَدْ كَانَ  
يَأْتِيهَا قَبْلَ ذَلِكَ فَيُصِيبُ مِنْ ضَفَادِعِهَا رِزْقَهُ ، فَرَمَى نَفْسَهُ قَرِيبًا  
مِنْهُمْ مُظْهِرًا لِلْكَأَبَةِ وَالْحُزْنَ . فَقَالَ لَهُ أَحَدُهَا : مَا لِي أَرَاكَ ، أَيُّهَا  
الْأَسْوَدُ ، كَثِيرًا حَزِينًا ؟ قَالَ : وَمَنْ أَحْرَى بِطُولِ الْحُزْنِ مِنِّي ؟ وَإِنَّمَا

كَانَ أَكْثَرَ مَعِيشَتِي مِمَّا كُنْتُ أُصِيبُ مِنَ الضَّفَادِعِ ، فَأَبْتَلَيْتُ بِبِلَاءِ  
 حَرَمَتٍ عَلَيَّ الضَّفَادِعُ مِنْ أَجْلِهِ ، حَتَّى إِنِّي إِذَا التَّقَيْتُ بِبَعْضِهَا لَا  
 أَقْدِرُ عَلَى إِمْسَاكِهِ . فَأَنْطَلِقُ الضَّفْدَعُ إِلَى مَلِكِ الضَّفَادِعِ فَبَشَّرَهُ بِمَا  
 سَمِعَ مِنَ الْأَسْوَدِ . فَأَتَى مَلِكُ الضَّفَادِعِ إِلَى الْأَسْوَدِ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ  
 كَانَ أَمْرُكَ ؟ قَالَ : سَعَيْتُ مِنْذُ أَيَّامٍ فِي طَلَبِ ضِفْدَعٍ وَذَلِكَ عِنْدَ  
 الْمَسَاءِ فَاضْطَرَّرْتُهُ إِلَى بَيْتِ نَاسِكٍ وَدَخَلْتُ فِي أَثَرِهِ فِي الظُّلْمَةِ وَفِي  
 الْبَيْتِ ابْنٌ لِلنَّاسِكِ فَأَصَبْتُ إِصْبَعَهُ فَظَنَنْتُ أَنَّهَا الضَّفْدَعُ فَلَدَغَتْهُ  
 فَمَاتَ . فَخَرَجْتُ هَارِبًا فَتَبَعَنِي النَّاسِكُ فِي أَثَرِي وَدَعَا عَلَيَّ وَلَعَنَنِي  
 وَقَالَ : كَمَا قَتَلْتَ ابْنَ الْبَرِيِّ ظُلْمًا وَتَعَدِّيًّا أَدْعُو عَلَيْكَ أَنْ تَذَلَّ  
 وَتَصِيرَ مَرْكَبًا لِمَلِكِ الضَّفَادِعِ فَلَا تَسْتَطِيعَ أَخْذَهَا وَلَا أَكَلْ شَيْءٍ  
 مِنْهَا إِلَّا مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَيْكَ مَلِكُهَا . فَأَتَيْتُ إِلَيْكَ لِتَرْكَبَنِي مُقِرًّا  
 بِذَلِكَ رَاضِيًّا بِهِ . فَرَعِبَ مَلِكُ الضَّفَادِعِ فِي رُكُوبِ الْأَسْوَدِ ، وَظَنَّ أَنَّ  
 ذَلِكَ فَخْرٌ لَهُ وَشَرَفٌ وَرَفْعَةٌ ، فَرَكِبَهُ وَاسْتَطَابَ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ  
 الْأَسْوَدُ : قَدْ عَلِمْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَنِّي مَحْرُومٌ ، فَاجْعَلْ لِي رِزْقًا  
 أَعِيشُ بِهِ . قَالَ مَلِكُ الضَّفَادِعِ : لِعَمْرِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ رِزْقٍ يَقُومُ بِكَ  
 إِذَا كُنْتَ مَرْكَبِي . فَأَمَرَ لَهُ بِضِفْدَعَيْنِ يُؤَخَذَانِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيُدْفَعَانِ  
 إِلَيْهِ . فَعَاشَ بِذَلِكَ وَلَمْ يَضُرَّهُ خُضُوعُهُ لِلْعَدُوِّ الذَّلِيلِ بَلْ انْتَفَعَ  
 بِذَلِكَ وَصَارَ لَهُ رِزْقًا وَمَعِيشَةً .

وَكَذَلِكَ كَانَ صَبْرِي عَلَى مَا صَبَرْتُ عَلَيْهِ التَّمَاسًا لِهَذَا النَّفْعِ  
الْعَظِيمِ الَّذِي اجْتَمَعَ لَنَا فِيهِ الْأَمْنُ وَالظَّفَرُ وَهَلَاكُ الْعَدُوِّ وَالرَّاحَةُ  
مِنْهُ . وَوَجَدْتُ صَرْعَةَ اللَّيْنِ وَالرَّفْقَ أَسْرَعَ وَأَشَدَّ اسْتِئْصَالَاً لِلْعَدُوِّ  
مِنْ صَرْعَةِ الْمُكَابِرَةِ وَالْعِنَادِ . فَإِنَّ النَّارَ لَا تَزِيدُ بِجِدَّتِهَا وَحَرِّهَا إِذَا  
أَصَابَتْ الشَّجَرَةَ عَلَى أَنْ تَحْرِقَ مَا فَوْقَ الْأَرْضِ مِنْهَا . وَالْمَاءُ بِلِينِهِ  
وَبَرْدِهِ يَسْتَأْصِلُ مَا تَحْتَ الْأَرْضِ مِنْهَا . وَيُقَالُ : أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ لَا  
يُسْتَقَلُّ قَلِيلُهَا : النَّارُ وَالْمَرَضُ وَالْعَدُوُّ وَالِدَيْنُ . قَالَ الْغُرَابُ : وَكُلُّ  
ذَلِكَ مِنْ رَأْيِ الْمَلِكِ وَأَدْبِهِ وَسَعَادَةِ جَدِّهِ . وَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ : إِذَا طَلَبَ  
اِثْنَانُ أَمْرًا ظَفَرَ بِهِ مِنْهُمَا أَفْضَلُهُمَا مُرْوَعَةً ، فَإِنْ اعْتَدَلَا فِي الْمُرْوَعَةِ  
فَأَشَدَّهُمَا عَزْمًا فَإِنْ اسْتَوَيَا فِي الْعَزْمِ فَأَسْعَدَهُمَا جَدًّا . وَكَانَ  
يُقَالُ : مَنْ حَارَبَ الْمَلِكَ الْحَازِمَ الْأَرِيْبَ الْمُتَضَرِّعَ الَّذِي لَا تُبْطِرُهُ  
السَّرَّاءُ وَلَا تَدْهِيْشُهُ الضَّرَّاءُ ، كَانَ هُوَ دَاعِي الْحَتْفِ إِلَى نَفْسِهِ وَلَا  
سِيْمًا إِذَا كَانَ مِثْلَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَالِمُ بِفُرُوضِ الْأَعْمَالِ وَمَوَاضِعِ  
الشَّدَّةِ وَاللَّيْنِ وَالْغَضَبِ وَالرِّضَى وَالْمُعَاجَلَةَ وَالْأَنَاةَ ، النَّاطِرُ فِي أَمْرِ  
يَوْمِهِ وَغَدِهِ وَعَوَاقِبِ أَعْمَالِهِ . قَالَ الْمَلِكُ لِلْغُرَابِ : بَلْ بَرَأَيْكَ وَعَقَلِكَ  
وَنَصِيحَتِكَ وَيَمْنِ طَالِعِكَ كَانَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ رَأْيَ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ الْعَاقِلِ  
الْحَازِمِ أْبْلَغُ فِي هَلَاكِ الْعَدُوِّ مِنَ الْجُنُودِ الْكَثِيرَةِ مِنْ ذَوِي الْبِئْسِ  
وَالنَّجْدَةِ وَالْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ . وَإِنَّ مِنْ عَجِيبِ أَمْرِكَ عِنْدِي طَوْلَ لُبَّتِكَ  
بَيْنَ ظَهْرَانِي الْبُومِ تَسْمَعُ الْكَلَامَ الْغَلِيظَ ثُمَّ لَا تَسْقُطُ بَيْنَهُنَّ بِكَلِمَةٍ .

قَالَ الْغُرَابُ : لَمْ أَزَلْ مُتَمَسِّكًا بِأَدْبِكَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَصْحَبُ الْبَعِيدَ  
وَالْقَرِيبَ بِالرَّفْقِ وَاللِّينِ وَالْمُتَابَعَةِ وَالْمُؤَاتَاةِ .

قَالَ الْمَلِكُ : أَصَبَحْتُ وَقَدْ وَجَدْتُكَ صَاحِبَ الْعَمَلِ وَوَجَدْتُ  
غَيْرَكَ مِنَ الْوُزَرَاءِ أَصْحَابَ أَقَاوِيلَ لَيْسَ لَهَا عَاقِبَةٌ حَمِيدَةٌ . فَقَدْ  
مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِكَ مِنْهُ عَظِيمَةً لَمْ نَكُنْ قَبْلَهَا نَجِدُ لَذَّةَ الطَّعَامِ  
وَالشَّرَابِ وَلَا النَّوْمِ وَلَا الْقَرَارِ . وَكَانَ يُقَالُ : لَا يَجِدُ الْمَرِيضُ لَذَّةَ  
الطَّعَامِ وَالنَّوْمِ حَتَّى يَبْرَأَ ، وَلَا الرَّجُلُ الشَّرَّ الَّذِي قَدْ أَطْعَمَهُ  
سُلْطَانُهُ فِي مَالٍ وَعَمَلٍ فِي يَدِهِ حَتَّى يُنْجِزَهُ لَهُ ، وَلَا الرَّجُلُ الَّذِي  
قَدْ أَلَحَّ عَلَيْهِ عَدُوُّهُ وَهُوَ يَخَافُهُ صَبَاحًا وَمَسَاءً حَتَّى يَسْتَرِيحَ مِنْهُ  
قَلْبُهُ . وَمَنْ وَضَعَ الْحَمَلَ الثَّقِيلَ عَنِ يَدِهِ أَرَاخَ نَفْسَهُ ، وَمَنْ أَمِنَ  
عَدُوَّهُ تَلَجَّ صَدْرُهُ .

قَالَ الْغُرَابُ : أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَهْلَكَ عَدُوَّكَ أَنْ يُمَتِّعَكَ  
بِسُلْطَانِكَ وَأَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ صَلاَحَ رَعِيَّتِكَ وَيُشْرِكَهُمْ فِي قُرَّةِ  
الْعَيْنِ بِمُلْكِكَ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مَلِكِهِ قُرَّةَ عَيْنٍ رَعِيَّتِهِ  
فَمَثَلُهُ مِثْلُ زَمَنَةِ الْعَنْزِ الَّتِي يَمُصُّهَا الْجَدْيُ وَهُوَ يَحْسَبُهَا حَلْمَةً  
الضَّرْعِ فَلَا يُصَادِفُ فِيهَا خَيْرًا .

قَالَ الْمَلِكُ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ الصَّالِحُ ، كَيْفَ كَانَتْ سِيرَةُ الْبُومِ  
وَمَلِكِهَا فِي حُرُوبِهَا وَفِيمَا كَانَتْ فِيهِ مِنْ أُمُورِهَا ؟ قَالَ الْغُرَابُ :

كَانَتْ سِيرَتُهُ سِيرَةَ بَطْرٍ وَأَشْرٍ وَخِيَلَاءٍ وَعَجَبٍ وَفَخْرٍ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ، وَكُلُّ أَصْحَابِهِ وَوُزَرَائِهِ شَبِيهٌ بِهِ إِلَّا الْوَزِيرَ الَّذِي كَانَ يُشِيرُ عَلَيْهِ بِقَتْلِي، فَإِنَّهُ كَانَ حَكِيمًا أَرِيبًا فَيَلْسُوفًا حَازِمًا قَلَمًا يُرَى مِثْلُهُ فِي عُلُوِّ الِهَمَّةِ وَكَمَالِ الْعَقْلِ وَجَوْدَةِ الرَّأْيِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَأَيُّ خَصَلَةٍ كَانَتْ أَدَلَّ عَلَى عَقْلِهِ ؟ قَالَ خَلَّتَانِ ، إِحْدَاهُمَا رَأْيُهُ فِي قَتْلِي وَالْأُخْرَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَكْتُمُ صَاحِبَهُ نَصِيحَتَهُ وَإِنْ اسْتَنْقَلَهَا . وَلَمْ يَكُنْ كَلَامُهُ كَلَامَ عُنْفٍ وَقَسْوَةٍ وَلَكِنَّهُ كَلَامٌ رَفِيقٌ وَلِينٌ حَتَّى إِنَّهُ رَبَّمَا أَخْبَرَهُ بِبَعْضِ عَيْبِهِ وَلَا يُصْرِحُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ بَلْ يَضْرِبُ لَهُ الْأَمْثَالَ وَيُحَدِّثُهُ بِعَيْبِ غَيْرِهِ فَيَعْرِفُ عَيْبَهُ فَلَا يَجِدُ مَلِكُهُ إِلَى الْغَضَبِ عَلَيْهِ سَبِيلًا .

وَكَانَ مِمَّا سَمِعْتُهُ يَقُولُ لِمَلِكِهِ أَنَّهُ قَالَ : لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَغْفَلَ عَنِ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ أَمْرٌ جَسِيمٌ لَا يظْفَرُ بِهِ مِنَ النَّاسِ إِلَّا قَلِيلٌ وَلَا يَدْرِكُ إِلَّا بِالْحَزْمِ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ عَزِيزٌ فَمَنْ ظَفَرَ بِهِ فَلْيُحْسِنْ حِفْظَهُ وَتَحْصِينَهُ . فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ فِي قَلَّةِ بَقَائِهِ بِمَنْزِلَةِ قَلَّةِ بَقَاءِ الظِّلِّ عَنْ وَرَقِ النَّيْلُوفَرِ وَهُوَ فِي خِفَّةِ زَوَالِهِ وَسُرْعَةِ إِقْبَالِهِ وَإِدْبَارِهِ كَالرِّيحِ ، وَفِي قَلَّةِ ثَبَاتِهِ كَاللَّبِيبِ مَعَ اللَّئَامِ ، وَفِي سُرْعَةِ اضْمِحْلالِهِ كَحَبَابِ الْمَاءِ مِنْ وَقَعِ الْمَطَرِ .

فَهَذَا مِثْلُ أَهْلِ الْعَدَاوَةِ الَّذِينَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُغْتَرَّ بِهِمْ وَإِنْ هُمْ أَظْهَرُوا تَوَدُّدًا وَتَضَرُّعًا .

## الباب الخامس



### القرد والغيلم :

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْمَثَلَ  
فَأَضْرَبُ لِي مَثَلَ الرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا  
أَضَاعَهَا .

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : إِنَّ طَلَبَ الْحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنَ الْإِحْتِفَازِ بِهَا  
وَمَنْ ظَفِرَ بِالْحَاجَةِ ثُمَّ لَمْ يُحْسِنِ الْقِيَامَ بِهَا أَصَابَهُ مَا أَصَابَ  
الْغَيْلَمَ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا كَانَ مَلِكَ الْقِرْدَةِ يُقَالُ لَهُ مَاهِرُ  
وَكَانَ قَدِ كَبِرَ وَهَرِمَ . فَوَثَبَ عَلَيْهِ قِرْدٌ شَابٌّ مِنْ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ فَتَغَلَّبَ  
عَلَيْهِ وَأَخَذَ مَكَانَهُ ، فَخَرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى  
السَّاحِلِ ، فَوَجَدَ شَجْرَةً مِنْ شَجَرِ التِّينِ فَارْتَقَى إِلَيْهَا وَجَعَلَهَا  
مُقَامَهُ . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ ذَلِكَ التِّينِ ، إِذْ سَقَطَتْ مِنْ  
يَدِهِ تِينَةٌ فِي الْمَاءِ فَسَمِعَ لَهَا صَوْتًا وَإِيقَاعًا فَجَعَلَ يَأْكُلُ وَيَرْمِي فِي  
الْمَاءِ ، فَأَطْرَبَهُ ذَلِكَ فَأَكْثَرَ مِنْ تَطْرِيحِ التِّينِ فِي الْمَاءِ . وَثُمَّ غَيْلَمٌ ،



كَلَّمَا وَقَعَتْ تِينَةٌ أَكَلَهَا . فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ ظَنَّ أَنَّ الْقِرْدَ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَجْلِهِ ، فَرَغِبَ فِي مُصَادَقَتِهِ وَأَنَسَ إِلَيْهِ وَكَلَّمَهُ وَأَلْفَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ . وَطَالَتْ غَيْبَةُ الْغَيْلِمِ عَنْ زَوْجَتِهِ فَجَزَعَتْ عَلَيْهِ وَشَكَتْ ذَلِكَ إِلَى جَارَةٍ لَهَا وَقَالَتْ : قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ سَوْءٌ وَأَلْفُهُ الْقِرْدُ فَهُوَ مُؤَاكِلُهُ وَمُشَارِبُهُ ، وَهُوَ الَّذِي قَطَعَهُ عَنْكَ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَكَ حَتَّى تَحْتَالِي لِهَلَاكِ الْقِرْدِ . قَالَتْ : وَكَيْفَ أَصْنَعُ ؟ قَالَتْ جَارَتُهَا : إِذَا وَصَلَ إِلَيْكَ فَتَمَارِضِي ، فَإِذَا سَأَلَكَ عَنْ حَالِكَ فَقُولِي إِنَّ الْأَطِبَّاءَ وَصَفُوا لِي قَلْبَ قِرْدٍ . ثُمَّ إِنَّ الْغَيْلِمَ انْطَلَقَ بَعْدَ مُدَّةٍ إِلَى مَنْزِلِهِ فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ سَيِّئَةَ الْحَالِ مَهْمُومَةً ، فَقَالَ لَهَا : مَا لِي أَرَاكَ هَكَذَا ؟ فَأَجَابَتْهُ جَارَتُهَا وَقَالَتْ : إِنَّ زَوْجَتَكَ مَرِيضَةٌ مَسْكِينَةٌ ، وَقَدْ وَصَفَ لَهَا الْأَطِبَّاءُ قَلْبَ قِرْدٍ وَلَيْسَ لَهَا دَوَاءٌ سِوَاهُ . قَالَ الْغَيْلِمُ : هَذَا أَمْرٌ عَسِيرٌ ، مِنْ أَيْنَ لَنَا قَلْبَ قِرْدٍ وَنَحْنُ فِي الْمَاءِ ؟ وَبَقِيَ مُتَحِيرًا . ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا لِي قُدْرَةٌ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنْ أَغْدِرَ بِخَلِيلِي وَصَاحِبِي ، وَإِثْمُهُ عِنْدِي شَدِيدٌ وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ هَلَاكُ زَوْجَتِي ، لِأَنَّ الزَّوْجَةَ الصَّالِحَةَ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ ، لِأَنَّهَا عَوْنٌ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

ثُمَّ عَادَ إِلَى السَّاحِلِ حَزِينًا كَثِيبًا مُفَكَّرًا فِي نَفْسِهِ كَيْفَ يَصْنَعُ . فَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ : يَا أَخِي ، مَا حَبَسَكَ عَنِّي ؟ قَالَ لَهُ الْغَيْلِمُ : مَا حَبَسَنِي عَنْكَ إِلَّا حَيَاتِي ، فَلَمْ أَعْرِفْ كَيْفَ أَكُافِئُكَ عَلَى إِحْسَانِكَ

إِلَيَّ ، وَأُرِيدُ أَنْ تُتِمَّ إِحْسَانَكَ إِلَيَّ بِزِيَارَتِكَ لِي فِي مَنْزِلِي ، فَإِنِّي  
سَاكِنٌ فِي جَزِيرَةٍ طَيِّبَةِ الْفَاكِهَةِ ، فَأَرْكَبُ ظَهْرِي لِأَسْبَحَ بِكَ ، فَإِنَّ  
أَفْضَلَ مَا يَلْتَمِسُهُ الْمَرْءُ مِنْ أَخْلَائِهِ أَنْ يَغْشَوْا مَنْزِلَهُ وَيَنَالُوا مِنْ  
طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَيَعْرِفَهُمْ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ وَجِيرَانُهُ ؛ وَأَنْتَ لَمْ تَطَأْ مَنْزِلِي  
وَلَمْ تَذُقْ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا ، وَذَلِكَ مَنَقَصَةٌ وَعَارٌ عَلَيَّ .

قَالَ لَهُ الْقَرْدُ : وَمَا يُرِيدُ الْمَرْءُ مِنْ خَلِيلِهِ إِلَّا أَنْ يَبْذُلَ لَهُ وَدَّهَ  
وَيُصَفِّيَ لَهُ قَلْبَهُ وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَفُضُولٌ .

قَالَ الْغَيْلِمُ : نَعَمْ ، غَيْرَ أَنَّ الْجَمَاعَ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ  
أَكْدُ لِلْمُودَّةِ وَالْأُنْسِ لِأَنَّ نَرَى الدَّوَابَّ إِذَا اعْتَلَفَتْ مَعًا أَلْفَ بَعْضُهَا  
بَعْضًا . وَكَانَ يُقَالُ : لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَلْجَأَ عَلَى إِخْوَانِهِ فِي  
الْمُسْأَلَةِ فَإِنَّ الْعَجَلَ إِذَا أَكْثَرَ مَصَّ ضَرَعَ أُمَّهُ نَطَحَتْهُ . فَرَغِبَ الْقَرْدُ  
فِي الذَّهَابِ مَعَهُ حُبًّا وَكَرَامَةً ، وَنَزَلَ فَرَكِبَ ظَهْرَ الْغَيْلِمِ فَسَبَّحَ بِهِ .  
حَتَّى إِذَا تَجَاوَزَ قَلِيلًا عَرَضَ لَهُ قُبْحُ مَا أَمَرَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْغَدْرِ  
فَنَكَسَ رَأْسَهُ وَوَقَفَ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : كَيْفَ أَغْدُرُ بِخَلِيلِي لِكَلِمَةٍ  
قَالَتْهَا امْرَأَةٌ مِنَ الْجَاهِلَاتِ ؟ وَمَا أَدْرِي ، لَعَلَّ جَارَتِي قَدْ خَدَعْتَنِي  
وَكَذَبَتْ بِمَا رَوَتْ عَنِ الْأَطِبَّاءِ . فَإِنَّ الذَّهَبَ يُجْرَبُ بِالنَّارِ ، وَالرِّجَالُ  
بِالْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ ، وَالدَّوَابُّ بِالْحَمْلِ وَالْجَرِيِّ ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ  
يُجْرَبَ مَكْرَ النِّسَاءِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى كَيْدِهِنَّ وَكَثْرَةِ حِيلِهِنَّ .

فَقَالَ لَهُ الْقَرْدُ : مَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا ؟ قَالَ الْغَيْلَمُ : إِنَّمَا هَمِّي لِأَنِّي ذَكَرْتُ أَنَّ زَوْجَتِي شَدِيدَةُ الْمَرَضِ ، وَذَلِكَ يَمْنَعُنِي مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا أُرِيدُ أَنْ أَبْلُغَهُ مِنْ كَرَامَتِكَ وَمَلَاظَمَتِكَ .

قَالَ الْقَرْدُ : إِنَّ الَّذِي أَعْرِفَ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى كَرَامَتِي يَكْفِيكَ مَوْوَنَةَ التَّكْلِيفِ .

قَالَ الْغَيْلَمُ : أَجَلٌ . وَمَضَى بِالْقَرْدِ سَاعَةً ثُمَّ تَوَقَّفَ بِهِ ثَانِيَةً . فَسَاءَ ظَنُّ الْقَرْدِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا احْتَبَسَ الْغَيْلَمُ وَإِبْطَاؤُهُ إِلَّا لِأَمْرٍ ، وَلَسْتُ أَمِنَّا أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ قَدْ تَغَيَّرَ لِي وَحَالَ عَنْ مَوَدَّتِي فَأَرَادَ بِي سُوءًا . فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَخْفَ وَأَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِنَ الْقَلْبِ . وَقَدْ يُقَالُ : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَلَّا يَغْفَلَ عَنِ التَّمَاسِ مَا فِي نَفْسِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَإِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ وَفِي كُلِّ لِحْظَةٍ وَكَلِمَةٍ ، وَعِنْدَ الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ يَشْهَدُ عَلَى مَا فِي الْقُلُوبِ .

وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : إِذَا دَخَلَ قَلْبَ الصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ رِيْبَةٌ فَلْيَأْخُذْ بِالْحَزْمِ فِي التَّحْفُظِ مِنْهُ ، وَلْيَتَفَقَّدْ ذَلِكَ فِي لِحْظَاتِهِ وَحَالَاتِهِ ، فَإِنْ كَانَ مَا يَظُنُّ حَقًّا ظَفَرَ بِالسَّلَامَةِ ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا ظَفَرَ بِالْحَزْمِ وَلَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ .

ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلَمِ : مَا يَحْبِسُكَ ؟ وَمَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا كَأَنَّكَ

تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى ؟ قَالَ : يُهْمُنِي أَنَّكَ تَأْتِي مَنَزَلِي فَلَا تَجِدُ  
أَمْرِي كَمَا أَحِبُّ لَأَنَّ زَوْجَتِي مَرِيضَةٌ .

قَالَ الْقِرْدُ : لَا تَعْتَمَّ ، فَإِنَّ الْغَمَّ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ، وَلَكِنْ  
الْتِمَسْ مَا يُصْلِحُ زَوْجَتَكَ مِنَ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَعْذِيَةِ . فَإِنَّهُ يُقَالُ : لِيَبْذُلَ  
ذُوو الْمَالِ مَالَهُمْ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ : فِي الصَّدَقَةِ ، وَفِي وَقْتِ  
الْحَاجَةِ ، وَعَلَى الْبَنِينَ ، وَعَلَى الْأَزْوَاجِ ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كُنَّ صَالِحَاتٍ .

قَالَ الْغَيْلَمُ : صَدَقْتَ ، وَقَدْ قَالَتِ الْأَطِبَّاءُ : إِنَّهُ لَا دَوَاءَ لَهَا إِلَّا  
قَلْبُ قِرْدٍ .

فَقَالَ الْقِرْدُ فِي نَفْسِهِ : وَاسْوَأَاتَا لَقَدْ أَدْرَكَنِي الْحَرَصُ وَالشَّرُّ  
عَلَى كِبَرِ سِنِّي حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ وَرَطَّةٍ . وَلَقَدْ صَدَّقَ الَّذِي قَالَ :  
يَعِيشُ الْقَانِعُ الرَّاضِي مُسْتَرِيحًا مُطْمَئِنًّا وَذُو الْحَرَصِ وَالشَّرِّ  
يَعِيشُ مَا عَاشَ فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ وَإِنِّي قَدْ احْتَجَجْتُ الْآنَ إِلَى عَقْلِي  
فِي التَّمَاسِ الْمَخْرَجِ مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ .

ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلَمِ : وَمَا مَنَعَكَ ، أَصْلَحَكَ اللَّهُ أَنْ تُعَلِّمَنِي عِنْدَ  
مَنَزَلِي حَتَّى كُنْتُ أَحْمِلُ قَلْبِي مَعِي ؟ فَإِنَّ هَذِهِ سُنَّةٌ فِينَا مَعَاشِرِ  
الْقِرْدَةِ ، إِذَا خَرَجَ أَحَدُنَا لِمَزَارَةِ صَدِيقٍ لَهُ خَلَّفَ قَلْبَهُ عِنْدَ أَهْلِهِ أَوْ  
فِي مَوْضِعِهِ لِنَنْظُرَ إِذَا نَظَرْنَا إِلَى حُرْمِ الْمَزُورِ وَلَيْسَ قُلُوبُنَا مَعَنَا .

قَالَ الْغَيْلِمُ : وَأَيْنَ قَلْبِكَ الْآنَ ؟ قَالَ : خَلَفْتُهُ فِي الشَّجَرَةِ ،  
فَإِنْ شِئْتَ فَارْجِعْ بِي إِلَى الشَّجَرَةِ حَتَّى آتِيكَ بِهِ . فَفَرِحَ الْغَيْلِمُ  
بِذَلِكَ وَقَالَ : لَقَدْ وَافَقَنِي صَاحِبِي بِدُونِ أَنْ أُغْدِرَ بِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ  
بِالْقِرْدِ إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا قَارَبَ السَّاحِلَ وَثَبَ عَنْ ظَهْرِهِ فَارْتَقَى  
الشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى الْغَيْلِمِ نَادَاهُ . يَا خَلِيلِي احْمِلْ قَلْبَكَ  
وَأَنْزِلْ فَقَدْ حَبَسْتَنِي . فَقَالَ الْقِرْدُ : هِيَ هَاتِ أَتُظَنُّ أَنِّي كَالْحَمَّارِ  
الَّذِي زَعَمَ ابْنُ آوَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَلْبٌ وَلَا أُذُنَانِ ؟ قَالَ الْغَيْلِمُ :  
وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

\*\*\*\*\*

### الأسد وابن آوى والحمار :

قَالَ الْقِرْدُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ أَسَدٌ فِي أَجْمَةٍ وَكَانَ مَعَهُ ابْنُ آوَى  
يَأْكُلُ مِنْ فَضَلَاتِ طَعَامِهِ . فَأَصَابَ الْأَسَدَ جَرَبٌ وَضَعْفٌ شَدِيدٌ  
فَلَمْ يَسْتَطِعِ الصَّيْدَ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ آوَى : مَا بِأَلِكِ يَا سَيِّدَ السَّبَاعِ قَدْ  
تَغَيَّرَتْ أَحْوَالُكَ ؟ قَالَ : هَذَا الْجَرَبُ الَّذِي قَدْ جَهَدَنِي وَلَيْسَ لَهُ  
دَوَاءٌ إِلَّا قَلْبُ حِمَارٍ وَأُذُنَاهُ . قَالَ ابْنُ آوَى : مَا أَيْسَرَ هَذَا ، وَقَدْ  
عَرَفْتُ بِمَكَانِ كَذَا حِمَارًا مَعَ قِصَّارٍ يَحْمِلُ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ وَأَنَا آتِيكَ بِهِ .  
ثُمَّ دَلَفَ إِلَى الْحَمَّارِ فَأَتَاهُ وَسَلَّمَّ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : مَا لِي أَرَاكَ  
مَهْزُولًا ؟ قَالَ لِسُوءِ تَدْبِيرِ صَاحِبِي ، فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يُجِيعُ بَطْنِي وَيُنْقِلُ

ظَهْرِي ، وَمَا تَجْتَمِعُ هَاتَانِ الْحَالَتَانِ عَلَى جِسْمٍ إِلَّا أَنْحَلْتَاهُ  
وَأَسْقَمْتَاهُ . فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَرْضَى الْمَقَامَ مَعَهُ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ مَا لِي  
حِيلَةٌ لِلْهَرَبِ مِنْهُ فَلَسْتُ أَتَوَجَّهُ إِلَى جِهَةٍ إِلَّا أَضْرَبَ بِي إِنْسَانٌ فَكَدَّنِي  
وَأَجَاعَنِي .

قَالَ ابْنُ أَوْى : فَأَنَا أَدُلُّكَ عَلَى مَكَانٍ مَعْرُورٍ عَنِ النَّاسِ لَا يَمُرُّ  
بِهِ إِنْسَانٌ ، خَصِيبِ الْمُرْعَى فِيهِ قَطِيعٌ مِنَ الْحُمْرِ تَرَعَى آمِنَةً  
مُطْمَئِنَّةً .

قَالَ الْحَمَارُ : وَمَا يَحْبِسُنَا عَنْهَا فَاَنْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهَا . فَاَنْطَلَقَ بِهِ  
نَحْوَ الْأَسَدِ ، وَتَقَدَّمَ ابْنُ أَوْى وَدَخَلَ الْغَابَةَ عَلَى الْأَسَدِ فَأَخْبَرَهُ  
بِمَكَانِ الْحَمَارِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَأَرَادَ أَنْ يَثِبَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِضَعْفِهِ  
وَتَخَلَّصَ الْحَمَارُ مِنْهُ فَأَفْلَتَ هَلَعًا عَلَى وَجْهِهِ . فَلَمَّا رَأَى ابْنُ أَوْى  
أَنَّ الْأَسَدَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْحَمَارِ قَالَ لَهُ : يَا سَيِّدَ السَّبَاعِ أَعْجَزْتَ  
إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ ؟ فَقَالَ لَهُ : إِنْ جِئْتَنِي بِهِ مَرَّةً أُخْرَى فَلَنْ يَنْجُو مِنِّي  
أَبَدًا . فَمَضَى ابْنُ أَوْى إِلَى الْحَمَارِ فَقَالَ لَهُ : مَا الَّذِي جَرَى عَلَيْكَ ؟  
إِنَّ أَحَدَ الْحُمْرِ رَأَىكَ غَرِيبًا فَخَرَجَ يَتَلَقَّاكَ مُرَحِّبًا بِكَ ، وَلَوْ ثَبَتَ  
لَأَنْسَلَكَ وَمَضَى بِكَ إِلَى أَصْحَابِهِ .

فَلَمَّا سَمِعَ الْحَمَارُ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَكُنْ رَأَى أَسَدًا قَطُّ صَدَّقَ مَا  
قَالَهُ ابْنُ أَوْى وَأَخَذَ طَرِيقَهُ إِلَى الْأَسَدِ . فَسَبَقَهُ ابْنُ أَوْى إِلَى الْأَسَدِ

وَأَعْلَمَهُ بِمَكَانِهِ وَقَالَ لَهُ : اسْتَعِدَّ لَهُ فَقَدْ خَدَعْتُهُ لَكَ فَلَا يَدْرِكَنَّكَ  
الضُّعْفُ فِي هَذِهِ النَّوْبَةِ ، فَإِنَّهُ إِنْ أَفَلَتْ لَنْ يَعُودَ مَعِيَ أَبَدًا ،  
وَالْفَرَسُ لَا تُصَابُ فِي كُلِّ وَقْتٍ .

فَجَاشَ جَاشُ الْأَسَدِ لِتَحْرِيزِ ابْنِ آوَى لَهُ وَخَرَجَ إِلَى مَوْضِعِ  
الْحِمَارِ ، فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ عَاجَلَهُ بِوَثْبَةٍ افْتَرَسَهُ بِهَا ، ثُمَّ قَالَ : قَدْ  
ذَكَرَتِ الْأَطْبَاءُ أَنَّهُ لَا يُؤْكَلُ إِلَّا بَعْدَ الْإِغْتِسَالِ وَالطُّهُورِ ، فَاحْتَفِظْ بِهِ  
حَتَّى أَعُودَ فَأَكُلَ قَلْبَهُ وَأُذُنَيْهِ وَأَتْرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ قُوْتًا لَكَ .

فَلَمَّا ذَهَبَ الْأَسَدُ لِيَغْتَسِلَ عَمَدَ ابْنُ آوَى إِلَى الْحِمَارِ فَأَكَلَ  
قَلْبَهُ وَأُذُنَيْهِ رَجَاءً أَنْ يَتَطَيَّرَ الْأَسَدُ مِنْهُ فَلَا يَأْكُلُ مِنْهُ شَيْئًا . ثُمَّ إِنَّ  
الْأَسَدَ رَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ فَقَالَ لِابْنِ آوَى أَيْنَ قَلْبِ الْحِمَارِ وَأُذُنَاهُ ؟  
قَالَ ابْنُ آوَى : أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ يَعْقِلُ بِهِ وَأُذُنَانِ يَسْمَعُ  
بِهِمَا لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْكَ بَعْدَ مَا أَفَلْتَ وَنَجَا مِنَ الْهَلَكَةِ .

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنِّي لَسْتُ كَذَلِكَ الْحِمَارِ  
الَّذِي زَعَمَ ابْنُ آوَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَلْبٌ وَلَا أُذُنَانِ . وَلَكِنَّكَ احْتَلَّتْ  
عَلَيَّ وَخَدَعْتَنِي فَخَدَعْتِكَ بِمِثْلِ خَدِيعَتِكَ وَاسْتَدْرَكْتُ فَارِطًا أَمْرِي .  
وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ الَّذِي يُفْسِدُهُ الْحَلْمُ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْعِلْمُ .

قَالَ الْغَيْلَمُ : صَدَقْتَ إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يَعْتَرِفُ بِزَلَّتِهِ ،

وَإِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا لَمْ يَسْتَحْ أَنْ يُؤَدِّبَ لِمَدَّقِهِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، وَإِنْ  
وَقَعَ فِي وَرْطَةٍ أَمْكَنَهُ التَّخَلُّصُ مِنْهَا بِحِيلَتِهِ وَعَقْلِهِ كَالرَّجُلِ الَّذِي  
يَعْتُرُّ عَلَى الْأَرْضِ وَعَلَيْهَا يِعْتَمِدُ فِي نُهُوضِهِ .

فَهَذَا مَثَلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا .

\*\*\*\*\*



## الباب التاسع



### الأسد وابن آوى والناسك :

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْمَثَلَ  
فَأَضْرَبُ لِي مَثَلَ الْمَلِكِ الَّذِي يُرَاجِعُ مَنْ أَصَابَتْهُ مِنْهُ عَقُوبَةٌ مِنْ غَيْرِ  
جُرْمٍ، أَوْ جَفْوَةٌ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ .

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : إِنَّ الْمَلِكَ لَوْ لَمْ يُرَاجِعْ مَنْ أَصَابَتْهُ مِنْهُ جَفْوَةٌ  
عَنْ ذَنْبٍ أَوْ عَنْ غَيْرِ ذَنْبٍ ظَلَمَ أَوْ لَمْ يُظَلَمَ لِأَضْرَرَّ ذَلِكَ بِالْأُمُورِ ،  
وَلَكِنَّ الْمَلِكَ حَقِيقٌ أَنْ يَنْظُرَ فِي حَالِ مَنْ ابْتَلِيَ بِذَلِكَ وَيَخْبُرَ مَا  
عِنْدَهُ مِنَ الْمَنَافِعِ ، فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ يُوثَقُ بِهِ فِي رَأْيِهِ وَأَمَانَتِهِ فَإِنَّ الْمَلِكَ  
حَقِيقٌ بِالْحَرَصِ عَلَى مُرَاجَعَتِهِ . فَإِنَّ الْمَلِكَ لَا يُسْتَطَاعُ ضَبْطُهُ إِلَّا  
مَعَ ذَوِي الرَّأْيِ وَهُمْ الْوُزَرَاءُ وَالْأَعْوَانُ ، وَلَا يُنْتَفَعُ بِالْوُزَرَاءِ وَالْأَعْوَانِ  
إِلَّا بِالْمُودَّةِ وَالنَّصِيحَةِ ، وَلَا مَوَدَّةَ وَلَا نَصِيحَةَ إِلَّا لِذَوِي الرَّأْيِ  
وَالْعَفَافِ . وَأَعْمَالُ السُّلْطَانِ كَثِيرَةٌ وَالَّذِينَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعُمَّالِ  
وَالْأَعْوَانِ كَثِيرُونَ . وَمَنْ يَجْمَعُ مِنْهُمْ مَا ذَكَرْتُ مِنَ النَّصِيحَةِ  
وَالْعَفَافِ قَلِيلٌ . فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَخْبُرَ وُزَرَائِهِ وَذَوِي رَأْيِهِ وَيَرَى مَا  
عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنَ الرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ وَمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ . فَإِذَا

اسْتَقَرَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ جَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا يَصْلُحُ أَنْ يُفَكَّرَ فِيهِ  
وَيُدَبَّرَهُ، وَأَنْ لَا يُوجَّهَ إِلَى الْأَعْمَالِ إِلَّا مَنْ يَثِقُ بِدِينِهِ وَأَمَانَتِهِ وَعَفَّتِهِ .  
ثُمَّ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ إِنْفَازُ مَنْ يَثِقُ بِهِ لِلْكَشْفِ عَنْ أَعْمَالِهِمْ وَتَفْقُدِ  
أُمُورِهِمْ بِالسِّرِّ الْخَفِيِّ ، حَتَّى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ إِحْسَانُ مُحْسِنٍ وَلَا  
إِسَاءَةُ مُسِيءٍ ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ تَهَاوَنَ الْمُحْسِنُ وَاجْتَرَأَ الْمُسِيءُ ،  
وَفِي عُرْضِ ذَلِكَ تَهْلِكُ الرَّعِيَّةُ وَيَفْسُدُ الْمَلِكُ ؛ وَالْمَثَلُ فِي ذَلِكَ مَثَلُ  
الْأَسَدِ وَابْنِ آوَى وَالنَّاسِكِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْفَيَّاسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ ابْنَ آوَى كَانَ يَسْكُنُ فِي بَعْضِ  
الدِّحَالِ، وَكَانَ مُتَزَهِّدًا مُتَعَفِّفًا مَعَ بَنَاتِ آوَى وَدَثَابٍ وَثَعَالِبٍ ، وَلَمْ  
يَكُنْ يَصْنَعُ مَا يَصْنَعْنَ وَلَا يُغَيِّرُ كَمَا يُغَيِّرْنَ وَلَا يُهْرِيقُ دَمًا وَلَا يَأْكُلُ  
لَحْمًا وَلَا يَظْلِمُ طَرْفَةَ عَيْنٍ . فَخَاصَمَتْهُ تِلْكَ السَّبَاعُ وَقُلْنَ : نَحْنُ لَا  
نَرَى سِيرَتَكَ وَلَا رَأْيَكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ تَزَهُّدِكَ ، مَعَ أَنَّ تَزَهُّدَكَ  
لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا وَأَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكُونَ إِلَّا كَأَحَدِنَا تَسْعَى  
مَعَنَا وَتَفْعَلُ فِعْلَنَا ؛ وَأَيُّ شَيْءٍ يُشْبِهُ كَفَّكَ عَنِ الدَّمَاءِ وَعَنْ أَكْلِ  
اللَّحْمِ ؟

قَالَ ابْنُ آوَى : إِنَّ صُحْبَتِي إِيَّاكَ لَا تُؤْتِمْنِي إِذَا لَمْ أُؤْتَمَّ  
نَفْسِي، لِأَنَّ الْأَثَامَ لَيْسَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَمَاكِنِ وَالْأَصْحَابِ وَلَكِنَّهَا مِنْ  
قِبَلِ الْقُلُوبِ وَالْأَعْمَالِ . وَلَوْ كَانَ صَاحِبُ الْمَكَانِ الصَّالِحِ يَكُونُ عَمَلُهُ

فِيهِ صَالِحًا وَصَاحِبُ الْمَكَانِ السَّيِّءِ يَكُونُ عَمَلُهُ فِيهِ سَيِّئًا ، كَانَ حِينِيذٍ مَنْ قَتَلَ النَّاسِكَ فِي مَحْرَابِهِ لَمْ يَأْتُمْ ، وَمَنْ اسْتَحْيَاهُ فِي مَعْرَكَةِ الْقِتَالِ أَثِمَ . وَإِنِّي إِنَّمَا صَحَبْتُكَ بِنَفْسِي وَلَمْ أَصْحَبْكَ بِقَلْبِي وَأَعْمَالِي ، لِأَنِّي أَعْرِفُ ثَمَرَةَ الْأَعْمَالِ فَلَزِمْتُ حَالِي ، وَإِنَّمَا صَحَبْتُكَ مَوَدَّةً مِنِّي لَكُنَّ ، فَإِنْ كَانَتْ صُحْبَتِي تَضُرُّكَ فَالْأَمَاكِنُ وَالْمَوَاضِعُ كَثِيرَةٌ .

وَتَبَّتْ ابْنُ آوَى عَلَى حَالِهِ تَلْكَ وَاشْتَهَرَ بِالنُّسْكِ وَالتَّزَهُدِ حَتَّى بَلَغَ ذَلِكَ أَسَدًا كَانَ مَلِكَ تَلْكَ النَّاحِيَةِ . فَرَغِبَ فِيهِ لِمَا بَلَغَهُ عَنْهُ مِنَ الْعِفَافِ وَالتَّزَاهَةِ وَالْأَمَانَةِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَسْتَدْعِيهِ . فَلَمَّا حَضَرَ كَلَّمَهُ وَأَنَسَهُ فَوَجَدَهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ عَلَى غَرَضِهِ . ثُمَّ دَعَاهُ بَعْدَ أَيَّامٍ إِلَى صُحْبَتِهِ وَقَالَ لَهُ : تَعْلَمُ أَنَّ عَمَالِي كَثِيرٌ وَأَعْوَانِي جَمٌّ غَفِيرٌ وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ إِلَى الْأَعْوَانِ مُحْتَاجٌ ، وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ عَفَافٌ وَأَدَبٌ وَعَقْلٌ وَدِينٌ ، وَقَدْ اخْتَبَرْتُكَ فَوَجَدْتُكَ كَذَلِكَ فَازْدَدْتُ فِيكَ رَغْبَةً ، وَأَنَا مُؤَلِّيكَ مِنْ عَمَلِي ، وَرَافِعُكَ إِلَى مَنْزِلَةِ شَرِيفَةٍ ، وَجَاعِلُكَ مِنْ خَاصَّتِي .

قَالَ ابْنُ آوَى : إِنَّ الْمُلُوكَ أَحِقَّاءُ بِاخْتِيَارِ الْأَعْوَانِ فِيمَا يَهْتَمُّونَ بِهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَأُمُورِهِمْ مِمَّنْ لَهُمُ الْخَبْرَةُ بِذَلِكَ ، وَهُمْ أَحْرَى الْأَيَّ يَكْرَهُوا عَلَى ذَلِكَ أَحَدًا ، فَإِنَّ الْمُكْرَهَ لَا يَسْتَطِيعُ الْمُبَالَغَةَ فِي الْعَمَلِ ،

وَإِنِّي لِعَمَلِ السُّلْطَانِ كَارِهِ وَلَيْسَ لِي بِهِ تَجْرِبَةٌ وَلَا بِالسُّلْطَانِ رِفْقٌ .  
وَأَنْتَ مَلِكُ السَّبَّاعِ وَعِنْدَكَ مِنْ أَجْنَاسِ الْوُحُوشِ عَدَدٌ كَثِيرٌ فِيهِمْ  
أَهْلٌ نُبْلٌ وَقُوَّةٌ وَلَهُمْ عَلَى الْعَمَلِ حِرْصٌ وَعِنْدَهُمْ بِهِ وَبِالسُّلْطَانِ رِفْقٌ .  
فَإِنْ اسْتَعْطَفْتَهُمْ أَغْنَوْا عَنْكَ وَاعْتَبَطُوا لِأَنْفُسِهِمْ بِمَا أَصَابَهُمْ مِنْ  
ذَلِكَ .

قَالَ الْأَسَدُ : دَعَّ عَنْكَ هَذَا فَإِنِّي غَيْرُ مُعْفِيكَ مِنَ الْعَمَلِ .

قَالَ ابْنُ آوَى : إِنَّمَا يُقَدِّمُ عَلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانِ غَيْرَ هَائِبٍ  
رَجُلَانِ لَسْتُ بَوَاحِدٍ مِنْهُمَا : إِمَّا مُصَانِعٌ يَنَالُ حَاجَتَهُ بِفُجُورِهِ وَيَسْلَمُ  
بِمُصَانَعَتِهِ ، وَإِمَّا هَيِّنٌ لَا يَحْسُدُهُ أَحَدٌ . وَأَمَّا مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْدِمَ  
السُّلْطَانَ بِالصِّدْقِ وَالْعِفَافِ غَيْرَ خَالِطٍ ذَلِكَ بِمُصَانَعَتِهِ فَقَلَّ أَنْ  
يَسْلَمَ عَلَى ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ عَدُوُّ السُّلْطَانِ وَصَدِيقُهُ بِالْعَدَاوَةِ  
وَالْحَسَدِ . أَمَّا الصَّدِيقُ فَيُنَافِسُهُ فِي مَنْزِلَتِهِ وَيَبْغِي عَلَيْهِ فِيهَا  
وَيُعَادِيهِ لِأَجْلِهَا وَيَشِي عَلَيْهِ كَذِبًا . فَإِذَا لَقِيَتِ الْوَشَايَةَ أُذْنَا وَأَعْيَةَ  
مِنَ الْمَلِكِ كَانَ فِي ذَلِكَ هَلَاكُهُ . وَأَمَّا عَدُوُّ السُّلْطَانِ فَيَضْطَغِنُ عَلَيْهِ  
لِنَصِيحَتِهِ لِسُلْطَانِهِ وَإِغْنَائِهِ عَنْهُ فَيَعْمَلُ عَلَى هَلَاكِهِ وَيَتَرَبَّصُ بِهِ  
رَيْبَ الْمُنُونِ ، فَإِذَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ هَذَانِ الصَّنْفَانِ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْهَلَاكِ .  
قَالَ الْأَسَدُ : لَا يَكُونَنَّ بَغْيِي أَصْحَابِي عَلَيْكَ وَحَسَدُهُمْ إِيَّاكَ

وَعَدَاوَةٌ أَعْدَائِي لَكَ مِمَّا يَعْرِضُ فِي نَفْسِكَ ، فَأَنْتَ مَعِي وَأَنَا أَكْفِيكَ  
ذَلِكَ وَأَبْلُغُ بِكَ مِنْ دَرَجَاتِ الْكِرَامَةِ وَالْإِحْسَانِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِكَ .

قَالَ ابْنُ آوَى : إِنْ كَانَ الْمَلِكُ يُرِيدُ الْإِحْسَانَ إِلَيَّ فَلْيَدْعِنِي فِي  
هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ أَعِيشْ أَمِنًا قَلِيلُ الْهَمِّ ، رَاضِيًا بِعَيْشِي مِنَ الْمَاءِ  
وَالْعُشْبِ . فَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ صَاحِبَ السُّلْطَانِ يَصِلُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَذَى  
وَالْخَوْفِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مَا لَا يَصِلُ إِلَى غَيْرِهِ فِي طُولِ عُمَرِهِ ،  
وَأَنَّهُ يَتَّصِلُ إِلَيْهِ النَّفْعُ سَاعَةً وَاحِدَةً ثُمَّ هُوَ فِي الْخَوْفِ سَرْمَدًا .  
وَإِنَّ قَلِيلًا مِنَ الْعَيْشِ فِي أَمْنٍ وَطُمَأْنِينَةٍ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعَيْشِ  
فِي خَوْفٍ وَنَصَبٍ .

قَالَ الْأَسَدُ : قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكَ فَلَا تَخَفْ شَيْئًا مِمَّا أَرَاكَ  
تَخَافُ مِنْهُ ، وَلَسْتُ أَجِدُ بُدَاً مِنَ الْإِسْتِعَانَةِ بِكَ فِي أَمْرِي .

قَالَ ابْنُ آوَى : أَمَّا إِذَا أَبَى الْمَلِكُ إِلَّا ذَلِكَ فَلْيَجْعَلِ الْمَلِكُ لِي  
عَهْدًا إِنْ بَغَى عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مِمَّنْ هُوَ فَوْقِي مَخَافَةً عَلَى  
مَنْزِلَتِهِ أَوْ مِمَّنْ هُوَ دُونِي لِيُنَازِعَنِي مَنْزِلَتِي ، فَذَكَرَ عِنْدَ الْمَلِكِ مِنْهُمْ  
ذَاكِرٌ بِلِسَانِهِ أَوْ عَلَى لِسَانِ غَيْرِهِ مَا يُرِيدُ بِهِ تَحْرِيشَ الْمَلِكِ عَلَيَّ ،  
أَلَّا يَعْجَلَ فِي أَمْرِي وَأَنْ يَتَثَبَّتَ فِيمَا يُرْفَعُ إِلَيْهِ وَيُذَكَّرَ عِنْدَهُ مِنْ ذَلِكَ  
وَيَفْحَصَ عَنْهُ ثُمَّ لِيَصْنَعَ مَا بَدَأَ لَهُ . فَإِذَا وَثِقْتُ مِنْهُ بِذَلِكَ أَعْتَهُ

بِنَفْسِي فِيمَا يَجِبُ إِطَاعَةً لَهُ وَعَمَلْتُ لَهُ فِيمَا أَوْلَانِي بِنَصِيحَةٍ  
وَأَجْتَهَادٍ ، وَحَرَصْتُ عَلَى الْأَجْعَلِ عَلَى نَفْسِي سَبِيلًا .

قَالَ الْأَسَدُ : لَكَ عَلَيَّ ذَلِكَ وَزِيَادَةٌ . ثُمَّ وُلَاهُ خَزَائِنَهُ وَاخْتَصَّ  
بِهِ دُونَ أَصْحَابِهِ وَزَادَ فِي كِرَامَتِهِ .

فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُ الْأَسَدِ ذَلِكَ غَاظَهُمْ وَسَاءَهُمْ فَأَجْمَعُوا  
كَيْدَهُمْ ، وَتَّفَقُّوا كُلُّهُمْ عَلَى أَنْ يُحَرِّشُوا عَلَيْهِ الْأَسَدَ . وَكَانَ الْأَسَدُ  
قَدْ اسْتَطَابَ لَحْمًا فَعَزَلَ مِنْهُ مِقْدَارًا وَأَمَرَ ابْنَ أَوْى بِالِاحْتِفَازِ بِهِ ،  
وَأَنْ يَرْفَعَهُ فِي أَحْصَنِ مَوْضِعِ طَعَامِهِ وَأَحْرَزَهُ لِيُعَادَ عَلَيْهِ . فَأَخَذُوهُ  
إِلَى بَيْتِ ابْنِ أَوْى فَخَبَّأُوهُ فِيهِ وَلَا عِلْمَ لَهُ بِهِ ، ثُمَّ حَضَرُوا يُكْذِبُونَهُ  
إِذَا جَرَتْ فِي ذَلِكَ حَالٌ .

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ ، دَعَا الْأَسَدُ بَغْدَائِهِ فَفَقَدَ ذَلِكَ اللَّحْمَ  
وَالْتَمَسَهُ فَلَمْ يَجِدْهُ ، وَابْنُ أَوْى لَمْ يَشْعُرْ بِمَا صُنِعَ فِي حَقِّهِ مِنْ  
الْمَكِيدَةِ وَهُوَ غَائِبٌ فِي خِدْمَةِ الْأَسَدِ وَأَشْغَالِهِ . فَحَضَرَ الَّذِينَ عَمِلُوا  
الْمَكِيدَةَ وَقَعَدُوا فِي الْمَجْلِسِ ، ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ سَأَلَ عَنِ اللَّحْمِ وَشَدَّدَ  
فِيهِ وَفِي السُّؤَالِ عَنْهُ فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ .

فَقَالَ أَحَدُهُمْ قَوْلَ الْمُخْبِرِ النَّاصِحِ : إِنَّهُ لَا بُدَّ لَنَا أَنْ نُخْبِرَ  
الْمَلِكَ بِمَا يَضُرُّهُ وَيَنْفَعُهُ ، وَإِنْ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشُقُّ عَلَيْهِ . وَإِنَّهُ

بَلَّغَنِي أَنَّ ابْنَ آوَى هُوَ الَّذِي ذَهَبَ بِاللَّحْمِ إِلَى مَنْزِلِهِ لِيَأْكُلَهُ دُونَ الْمَلِكِ .

قَالَ الْآخَرُ : مَا أَرَاهُ يَفْعَلُ هَذَا ، وَلَكِنْ انظُرُوا وافحصوا ، فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْخَلَائِقِ شَدِيدَةٌ .

فَقَالَ الْآخَرُ : لَعَمْرِي مَا تَلَبَّثُ السَّرَائِرُ أَنْ تُعْرَفَ ، وَأَظَنُّكُمْ إِنْ فَحَصْتُمْ عَنْ هَذَا وَجَدْتُمْ اللَّحْمَ فِي بَيْتِ ابْنِ آوَى ، وَكُلُّ شَيْءٍ يُذَكَّرُ مِنْ عَيْبِهِ وَخِيَانَتِهِ ، نَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نُصَدِّقَهُ .

قَالَ الْآخَرُ : لَيْتَ وَجَدْنَا هَذَا حَقًّا لَمْ تَكُنْ بِالْخِيَانَةِ فَقَطَّ ، وَلَكِنْ مَعَ الْخِيَانَةِ كُفِّرَ النِّعْمَةُ وَالْجُرْأَةُ عَلَى الْمَلِكِ .

قَالَ الْآخَرُ : أَنْتُمْ أَهْلُ الْفَضْلِ لَا اسْتَطِيعُ أَنْ أَكْذِبُكُمْ ، وَلَكِنْ سَيَبِينُ هَذَا لَوْ أَرْسَلَ الْمَلِكُ إِلَى بَيْتِهِ مِنْ يَفْتَشُهُ .

قَالَ الْآخَرُ : إِنْ كَانَ الْمَلِكُ مُفْتَشًا مَنْزِلَهُ فَلْيَعَجَلْ فَإِنَّ عَيْبَهُ وَجَوَاسِيَسَهُ مَبْثُوثَةٌ بِكُلِّ مَكَانٍ . وَلَمْ يَزَالُوا فِي هَذَا الْكَلَامِ وَأَشْبَاهِهِ حَتَّى وَقَعَ فِي نَفْسِ الْأَسَدِ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ بِابْنِ آوَى فَحَضَرَ .

فَقَالَ لَهُ : أَيُّنَ اللَّحْمِ الَّذِي أَمَرْتُكَ بِالْإِحْتِفَاطِ بِهِ ؟ قَالَ : دَفَعْتُهُ إِلَى صَاحِبِ الطَّعَامِ لِيُقَرِّبَهُ إِلَيَّ الْمَلِكِ . فَدَعَا الْأَسَدُ بِصَاحِبِ الطَّعَامِ ، وَكَانَ مِمَّنْ شَايَعَ مَعَ الْقَوْمِ عَلَى ابْنِ آوَى ، فَقَالَ : مَا دَفَعَ

إِلَى شَيْئًا . فَأَرْسَلَ الْأَسَدُ أَمِينًا إِلَى بَيْتِ ابْنِ آوَى لِيُفْتِشَهُ فَوَجَدَ فِيهِ ذَلِكَ اللَّحْمَ فَأَتَى بِهِ الْأَسَدَ ، فَدَنَا مِنَ الْأَسَدِ ذَنْبٌ لَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَكَانَ يُظْهِرُ أَنَّهُ مِنَ الْعُدُولِ الَّذِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ فِيهَا لَا يَعْلَمُونَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ . فَقَالَ : بَعْدَ أَنْ اطَّلَعَ الْمَلِكُ عَلَى خِيَانَةِ ابْنِ آوَى لَا يَعْفُونَ عَنْهُ ، فَإِنَّهُ إِنَّ عَفَا عَنْهُ ، لَمْ يَطَّلِعْ الْمَلِكُ بَعْدَهَا عَلَى خِيَانَةِ خَائِنٍ وَلَا ذَنْبٍ مُذْنِبٍ . فَأَمَرَ الْأَسَدُ ابْنَ آوَى أَنْ يُخْرَجَ وَإِنْ لَمْ يُحْتَفَظْ بِهِ .

فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَاءِ الْمَلِكِ : إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ رَأْيِ الْمَلِكِ وَمَعْرِفَتِهِ بِالْأُمُورِ ، كَيْفَ يَخْفَى عَلَيْهِ أَمْرٌ هَذَا وَلَمْ يَعْرِفْ خَبْرَهُ وَمُخَادَعَتَهُ ، وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا أَنِّي أَرَاهُ سَيَصْفَحُ عَنْهُ بَعْدَ الَّذِي ظَهَرَ مِنْهُ . فَأَرْسَلَ الْأَسَدُ بَعْضَهُمْ رَسُولًا إِلَى ابْنِ آوَى يَلْتَمِسُ مِنْهُ الْعُذْرَ عَنْ أَمْرِهِ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ بِرِسَالَةٍ كَاذِبَةٍ اخْتَلَقَهَا ، فَغَضِبَ الْأَسَدُ مِنْ ذَلِكَ وَأَمَرَ بِابْنِ آوَى أَنْ يُقْتَلَ . فَعَلِمَتْ أُمُّ الْأَسَدِ أَنَّهُ قَدْ عَجَلَ فِي أَمْرِهِ فَأَرْسَلَتْ إِلَى الَّذِينَ أَمَرُوا بِقَتْلِهِ أَنْ يُرْجِنُوهُ . وَدَخَلَتْ عَلَى ابْنِهَا فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ ، بَأَيِّ ذَنْبٍ أَمَرْتَ بِقَتْلِ ابْنِ آوَى ؟ فَأَخْبَرَهَا بِالْأَمْرِ . فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ عَجَلْتَ ، وَإِنَّمَا يَسْلَمُ الْعَاقِلُ مِنَ النَّدَامَةِ بِتَرْكِ الْعَجَلَةِ وَبِالْتَّيُّبِ ، وَالْعَجَلَةُ لَا يَزَالُ صَاحِبُهَا يَجْتَنِي ثَمْرَةَ النَّدَامَةِ بِسَبَبِ ضَعْفِ الرَّأْيِ . وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحْوَجَ إِلَى التُّؤَدَةِ



والتَّثَبُّتِ مِنَ الْمُلُوكِ . فَإِنَّ الْمَرْأَةَ بِزَوْجِهَا ، وَالْوَلَدَ بِوَالِدَيْهِ ، وَالْمُتَعَلِّمَ بِالْمُعَلِّمِ ، وَالْجُنْدَ بِالْقَائِدِ ، وَالنَّاسِكَ بِالِدِّينِ ، وَالْعَامَّةَ بِالْمُلُوكِ ، وَالتَّقْوَى بِالْعَقْلِ ، وَالْعَقْلَ بِالتَّثَبُّتِ وَالْأَنَاةِ . وَرَأْسُ الْحَزْمِ لِلْمَلِكِ مَعْرِفَةُ أَصْحَابِهِ وَإِنْزَالُهُمْ مَنَازِلَهُمْ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ وَاتِّهَامُهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَإِنَّهُ لَوْ وَجَدَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ سَبِيلًا لَفَعَلَ .

وَقَدْ جَرَّبَتِ ابْنَ آوَى وَبَلَوَتْ رَأْيَهُ وَأَمَانَتَهُ وَمُرُوعَتَهُ ، ثُمَّ لَمْ تَزَلْ مَادِحًا لَهُ رَاضِيًا عَنْهُ . وَلَيْسَ يَبْغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَخِينَهُ بَعْدَ ارْتِضَائِهِ إِيَّاهُ وَاتِّمَانِهِ لَهُ . وَمُنْذُ مَجِيئِهِ إِلَى الْآنَ لَمْ يَطَّلِعْ لَهُ عَلَى خِيَانَةٍ إِلَّا عَلَى الْعِفَّةِ وَالنَّصِيحَةِ ، وَمَا كَانَ مِنْ رَأْيِ الْمَلِكِ أَنْ يُعَجَّلَ عَلَيْهِ لِأَجْلِ طَابِقِ لَحْمٍ . وَأَنْتَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ ، حَقِيقٌ أَنْ تَنْظُرَ فِي حَالِ ابْنِ آوَى ، وَلْتَعَلِّمْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَعَرَّضُ لِللَّحْمِ وَلَا يَأْكُلُهُ فَكَيْفَ لِللَّحْمِ اسْتَوْدَعْتَهُ إِيَّاهُ ؟ وَلَعَلَّ الْمَلِكَ إِنْ فَحَصَ عَنْ ذَلِكَ ظَهَرَ لَهُ أَنَّ ابْنَ آوَى لَهُ خُصَمَاؤُهُ الَّذِينَ اتَّيَمَرُوا بِهَذَا الْأَمْرِ ، وَهُمْ الَّذِينَ ذَهَبُوا بِاللَّحْمِ إِلَى بَيْتِهِ فَوَضَعُوهُ فِيهِ . فَإِنَّ الْحَدَاةَ إِذَا كَانَ فِي رِجْلِهَا قِطْعَةٌ لَحْمٍ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا سَائِرُ الطَّيْرِ ، وَالْكَلْبَ إِذَا كَانَ مَعَهُ عَظْمٌ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْكِلَابُ . وَابْنُ آوَى ، مُنْذُ كَانَ إِلَى الْيَوْمِ ، نَافِعٌ وَكَانَ مُحْتَمِلًا لِكُلِّ ضَرَرٍ فِي جَنْبِ مَنَفَعَةٍ تَصِلُ إِلَيْكَ ، وَلِكُلِّ عَنَاءٍ يَكُونُ لَكَ فِيهِ رَاحَةٌ وَلَمْ يَكُنْ يَطْوِي دُونَكَ سِرًّا .

فَبَيْنَمَا أُمُّ الْأَسَدِ تَقْصُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْمَقَالَةَ ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ  
ثِقَاتِهِ فَأَخْبَرَهُ بِبِرَاءَةِ ابْنِ آوَى ، فَقَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ : إِنَّ الْمَلِكَ ، بَعْدَ  
أَنْ اطَّلَعَ عَلَى بِرَاءَةِ ابْنِ آوَى ، حَقِيقٌ أَلَّا يَتَسَاهَلَ مَعَ مَنْ سَعَى بِهِ  
لئَلَّا يَتَجَرَّأُوا عَلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ يُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهِ لِكَيْ  
لَا يَعُودُوا إِلَى مِثْلِهِ . وَلَا تَحْتَقِرْ مَا فَعَلُوا مَعَكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ  
أَنْ يُرَاجِعَ فِي أَمْرِ الْكُفُورِ لِلْحُسْنَى وَالْجُرِيءِ عَلَى الْغَدْرِ وَالزَّاهِدِ  
فِي الْخَيْرِ وَالَّذِي لَا يُوقِنُ بِالْآخِرَةِ وَيَنْبَغِي أَنَّهُ يُجْزَى بِعَمَلِهِ . وَقَدْ  
عَرَفْتَ سُرْعَةَ الْغَضَبِ وَفَرَطَ الْهَفْوَةِ ، وَمَنْ سَخِطَ بِالْيَسِيرِ لَمْ يَبْلُغْ  
رِضَاهُ بِالْكَثِيرِ . وَالْأَوْلَى لَكَ أَنْ تَرَاجِعَ ابْنَ آوَى وَتَعْطِفَ عَلَيْهِ وَلَا  
يُوَسِّنَكَ مِنْ مُنَاصَحَتِهِ مَا فَرَطَ مِنْكَ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسَاءَةِ فَإِنَّ مِنَ  
النَّاسِ مَنْ لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ عَلَى حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ ، وَهُوَ مَنْ عُرِفَ  
بِالصَّلَاحِ وَالْكَرَمِ وَحُسْنِ الْعَهْدِ وَالشُّكْرِ وَالْوَفَاءِ وَالْمَحَبَّةِ لِلنَّاسِ  
وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْحَسَدِ وَالْبُعْدِ مِنَ الْأَذَى وَالِاحْتِمَالِ لِلِإِخْوَانِ  
وَالْأَصْحَابِ ، وَإِنْ ثَقُلَتْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ الْمُؤُونَةُ . وَأَمَّا مَنْ يَنْبَغِي تَرْكُهُ ،  
فَهُوَ مَنْ عُرِفَ بِالشَّرَاسَةِ وَلُومِ الْعَهْدِ وَقِلَّةِ الشُّكْرِ وَالْوَفَاءِ وَالْبُعْدِ  
عَنِ الرَّحْمَةِ وَالْوَرَعِ ، وَاتَّصَفَ بِالْجُحُودِ لِثَوَابِ الْآخِرَةِ وَعِقَابِهَا .  
وَقَدْ عَرَفْتَ ابْنَ آوَى وَجَرَّبْتَهُ وَأَنْتَ حَقِيقٌ بِمُوَاصَلَتِهِ .

فَدَعَا الْأَسَدُ بَابِنَ آوَى وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِمَّا كَانَ مِنْهُ وَوَعَدَهُ خَيْرًا وَقَالَ: إِنِّي مُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ وَرَادُكَ إِلَى مَنْزِلَتِكَ .

فَقَالَ ابْنُ آوَى : أَوْلَيْسَ هَذَا الَّذِي خَفْتُ مِنْهُ فِي أَوَّلِ اتِّصَالِي بِكَ ، وَالَّذِي لِأَجْلِهِ امْتَنَعْتُ مِمَّا عَرَضْتَهُ عَلَيَّ مِنْ صُحْبَتِكَ وَتَوَلَّيْتُ خِدْمَتَكَ ؟ وَإِنَّ شَرَّ الْأَخْلَاءِ مَنْ التَّمَسَّ مَنَفْعَةَ نَفْسِهِ بِضُرِّ أَخِيهِ ، وَمَنْ كَانَ غَيْرَ نَازِلٍ لَهُ كَنَظَرِهِ لِنَفْسِهِ ، أَوْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُرْضِيَهُ بِغَيْرِ الْحَقِّ لِأَجْلِ اتِّبَاعِ هَوَاهُ ، وَكَثِيرًا مَا يَقَعُ ذَلِكَ بَيْنَ الْأَخْلَاءِ .

وَقَدْ كَانَ مِنَ الْمَلِكِ مَا عَلِمَ ، وَلَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَطْمَئِنَّ إِلَى مَنْ عَاقَبَهُ أَشَدَّ الْعُقُوبَةِ مِنْ نَزْعِهِ عَنْ عَمَلِهِ أَوْ عَنْ أَخْذِ مَالِهِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ، أَوْ مَنْ كَانَ لِلْكَرَامَةِ أَهْلًا فَلَمْ يَعْرِفْ لَهُ ذَلِكَ وَلَمْ يُعْطِهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ أَوْ كَانَ مَظْلُومًا وَلَمْ يَنْظُرْ فِي أَمْرِهِ أَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الطَّمَعِ فَلَمْ يُصِبْ مَا يَرْجُوهُ ، أَوْ كَانَ بَيْنَ قَوْمٍ قَدْ اجْتَرَمُوا جَرِيمَةً هُوَ مِنْهَا بَرِيءٌ ، فَأَخَذَ هُوَ بِهَا مِنْ بَيْنِهِمْ وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ . فَأَمثالُ هَؤُلَاءِ لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَصْحَبَهُمْ وَأَنَا أَيُّهَا الْمَلِكُ أَحَدُ هَؤُلَاءِ ، فَلَعَلَّ الْمَلِكَ يَقُولُ : إِنَّ ابْنَ آوَى لَا يَنْسَى الَّذِي لَقِيَهُ مِنَ الْهَوَانِ فَيَقْتَصِرَ مِنِّي وَأَنَا ، يَعْلَمُ اللَّهُ ، أَنْ لَيْسَ فِي قَلْبِي شَيْءٌ مِنْ قَبْلِ هَذَا ، وَإِنَّمَا خَوْفِي أَنْ يَفْعَلُوا بِي ذَلِكَ مَرَّةً أُخْرَى . فَلَا يَغْلُظَنَّ عَلَى نَفْسِ الْمَلِكِ مَا أُخْبِرُهُ أَنِّي بِهِ غَيْرُ وَاثِقٍ ، وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَصْحَبَهُ ، وَأَنَّ

الْمَلِكَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَصْحَبَ مَنْ كَانَ مِثْلِي ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَرْفُضَهُ أَصْلًا ، فَإِنَّ ذَا السُّلْطَانِ إِذَا عُرِلَ كَانَ مُسْتَحَقًّا لِلْكَرَامَةِ فِي حَالَةِ إِبْعَادِهِ وَالْأَقْصَاءِ لَهُ .

فَلَمْ يَلْتَفِتِ الْأَسَدُ إِلَى كَلَامِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ بَلَوْتُ طِبَاعَكَ وَأَخْلَاقَكَ وَجَرَّبْتُ أَمَانَتَكَ وَوَفَاءَكَ وَعَرَفْتُ كَذِبَ مَنْ مَحَلَّ بِكَ وَإِنِّي مُنْزَلٌّ مِنْ نَفْسِي مَنْزِلَةَ الْأَخْيَارِ الْكُرَمَاءِ ، وَالْكَرِيمُ تُتْسِيهِ الْخَلَّةُ الْوَّاحِدَةُ مِنَ الْإِحْسَانِ الْخِلَالِ الْكَثِيرَةِ مِنَ الْإِسَاءَةِ . وَقَدْ عُدْنَا إِلَى الثِّقَةِ بِكَ ، فَعُدَّ إِلَى الثِّقَةِ بِنَا ، فَإِنَّهُ كَائِنٌ لَنَا وَلَكَ بِذَلِكَ غِبْطَةٌ وَسُرُورٌ . فَعَادَ ابْنُ أَوْى إِلَى وَايَةِ مَا كَانَ يَلِي ، وَضَاعَفَ لَهُ الْأَسَدُ الْكَرَامَةَ وَلَمْ تَزِدْهُ الْآيَّامُ إِلَّا تَقَرُّبًا مِنْهُ .

\*\*\*\*\*

## الباب الثالث عشر



### السائح والصانع :

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْمَثَلَ  
فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ الَّذِي يَضَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَيَرْجُو  
الشُّكْرَ عَلَيْهِ . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لَيْسَ أَضْيَعُ مِنْ جَمِيلٍ  
يُصْنَعُ مَعَ غَيْرِ شَاكِرٍ وَلَا أَحْسَرُ مِنْ صَانِعِهِ ، كَمَا أَنَّهُ لَا بَذْرَ أَنْمَى  
مِنْ بَذْرِ الْجَمِيلِ فِي قُلُوبِ الشَّاكِرِينَ ، وَلَا تِجَارَةً أَرْبِحُ مِنْ تِجَارَتِهِ ،  
وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمَرْءَ جَدِيرٌ أَنْ يَصْنَعَ الْمَعْرُوفَ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ ، فَإِنَّهُ إِنْ  
ضَاعَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ النَّاسِ لَا يَضِيْعُ عِنْدَ اللَّهِ ، وَلَا سِيَّمَا إِلَى ذَوِي  
الشُّكْرِ وَالْوَفَاءِ كَيْفَ كَانَتْ مَنْزِلَتُهُمْ ، فَلَعَلَّهُ أَحْتَاجُ إِلَيْهِمْ يَوْمًا مِنْ  
الدَّهْرِ فَيُكَافِئُوهُ عَلَيْهِ ؛ غَيْرَ أَنَّ الْمُلُوكَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ ذَوِي الْعُقُولِ إِذَا  
تَعَمَّدُوا بِمَعْرُوفِهِمْ أَحَدًا يَخْتَصُونَهُ وَلَا يَقُومُ بِشُكْرِهِ ، فَيَنْبَغِي  
لِلْمُلُوكِ أَلَّا يَصْطَفُوا أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ الْخَبَرَةِ بِطَرَائِقِهِ وَالْمَعْرِفَةِ بِوَفَائِهِ  
وَمَوَدَّتِهِ وَشُكْرِهِ .

فَإِنَّ مَنْ أَقْدَمَ عَلَى الْمَشْهُورِ بِالْإِسْتِقَامَةِ وَالْعِفَّةِ ، وَاسْتَرْسَلَ  
إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ اخْتِبَارٍ وَلَا تَجْرِبَةٍ كَانَ مُخَاطِرًا فِي ذَلِكَ مُشْرِفًا مِنْهُ  
عَلَى هَلَاكِهِ وَفَسَادِهِ .

أَلَا تَرَى أَنَّ الطَّبَّيبَ الرَّفِيقَ الْعَاقِلَ لَا يَكْتَفِي فِي مُدَاوَاةِ  
 الْمَرِيضِ بِالْمُعَايَنَةِ فَقَطْ ، لَكِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ عَلَى عِلاجِهِ إِلَّا بَعْدَ تَعَرُّفِ  
 أَحْوَالِهِ وَالْجَسِّ لِعُرُوقِهِ وَمَعْرِفَةِ طَبِيعَتِهِ وَسَبَبِ عِلَّتِهِ ، فَإِذَا عَرَفَ  
 ذَلِكَ كُلَّهُ أَقْدَمَ عَلَى مُعَالَجَتِهِ . وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَصُّوا بِذَلِكَ قَرِيبًا  
 لِقَرَابَتِهِ ، وَلَا أَحَدًا مِنْ خَاصَّتِهِمْ لِشَرَفِهِ إِذَا كَانَ غَيْرَ مُحْتَمِلٍ  
 لِلصَّنِيعَةِ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا شَرُفَ بِتَشْرِيفِهِمْ إِيَّاهُ . وَلَا أَنْ يَمْنَعُوا مَعْرُوفَهُمْ  
 وَجَمِيلَهُمْ عَنْ بَعِيدٍ لِبُعْدِهِ ، أَوْ خَامِلٍ لِحَمُولِهِ إِذَا كَانَ عَارِفًا بِحَقِّ مَا  
 يُصْطَنَعُ إِلَيْهِ مُؤَدِيًا لِشُكْرِ مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ . وَقَدْ قِيلَ : لَا يَنْبَغِي لِذِي  
 الْعَقْلِ أَنْ يَحْتَقِرَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ حَتَّى الْبَهَائِمِ ، وَلَكِنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ  
 يَبْلُوهُمْ وَيَخْتَبِرَهُمْ وَيَكُونَ مَا يَصْنَعُ إِلَيْهِمْ عَلَى قَدْرِ مَا يَرَى مِنْهُمْ ،  
 فَقَدْ يَكُونُ الْخَيْرُ عِنْدَ مَنْ يُظَنُّ بِهِ الشَّرُّ وَالشَّرُّ عِنْدَ مَنْ يُظَنُّ بِهِ  
 الْخَيْرُ .

وَإِنَّ طَبَائِعَ الْخَلْقِ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ ، مُخْتَلِفَةٌ ، وَلَيْسَ مِمَّا خَلَقَهُ  
 اللَّهُ مِمَّا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ، أَوْ عَلَى رِجْلَيْنِ أَوْ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْنِ ، أَوْ  
 يَسْبَحُ فِي الْمَاءِ شَيْءٌ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَرَبِّمَا  
 تَحَذَّرَ الْعَاقِلُ مِنَ النَّاسِ فَلَمْ يَأْمَنْ أَحَدًا مِنْهُمْ وَأَخَذَ ابْنَ عِرْسٍ  
 فَأَدْخَلَهُ فِي كُمَّهِ وَأَخْرَجَهُ مِنَ الْآخِرِ ، وَأَخَذَ الطَّائِرَ الْجَارِحَ فَوَضَعَهُ  
 عَلَى يَدِهِ فَإِذَا صَادَ شَيْئًا أَبْقَى لَهُ مِنْهُ نَصِيبًا . وَمِنَ النَّاسِ الْبَرُّ

وَالْفَاجِرُ ، وَمِنْ هَوْلَاءِ كُلِّ كَفُورٍ كَنُودٍ حَتَّى لَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ  
الْبَهَائِمِ وَالسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ مَا هُوَ أَوْفَى مِنْهُ ذِمَّةً وَأَشَدُّ مُحَامَاةً عَنِ  
حُرْمَةِ وَأَشْكُرُ لِلْمَعْرُوفِ وَأَقْوَمُ بِهِ . وَقَدْ مَضَى فِي ذَلِكَ مَثَلُ ضَرِيهِ  
بَعْضُ الْحُكَمَاءِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

\*\*\*\*\*

### الحيّة والقرد والبيبر :

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً احْتَفَرُوا رَكِيَّةً فَوَقَعَ فِيهَا  
رَجُلٌ صَائِعٌ وَحِيَّةٌ وَقِرْدٌ وَبَبْرٌ . وَمَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ سَائِحٌ فَأَشْرَفَ عَلَى  
الرَّكِيَّةِ فَبَصُرَ بِالرَّجُلِ وَالْحِيَّةِ وَالْقِرْدِ وَالْبَبْرِ . فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ  
وَقَالَ : لَسْتُ أَعْمَلُ لِأَخِرَتِي عَمَلًا أَفْضَلَ مِنْ أَنْ أُخْلَصَ هَذَا الرَّجُلَ  
مِنْ بَيْنِ هَوْلَاءِ الْأَعْدَاءِ . فَأَخَذَ حَبَلًا وَأَدْلَاهُ إِلَى الْبَبْرِ ، فَتَعَلَّقَ بِهِ  
الْقِرْدُ لِحَفَّتِهِ فَخَرَجَ ، ثُمَّ أَدْلَاهُ ثَانِيَةً فَالْتَفَتَ بِهِ الْحِيَّةُ فَخَرَجَتْ ، ثُمَّ  
أَدْلَاهُ ثَالِثَةً فَتَعَلَّقَ بِهِ الْبَبْرُ فَأَخْرَجَهُ . فَشَكَرَنَّ لَهُ صَنِيعَهُ وَقَلَّنَ لَهُ لَا  
تُخْرِجْ هَذَا الرَّجُلَ مِنَ الرَّكِيَّةِ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَقْلَ مِنْ شُكْرِ  
الْإِنْسَانِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ الْقِرْدُ : إِنَّ مَنزِلِي فِي جَبَلٍ قَرِيبٍ مِنْ مَدِينَةٍ  
يُقَالُ لَهَا نَوَادِرْحَتْ . فَقَالَ لَهُ الْبَبْرُ : أَنَا أَيْضًا فِي أَجْمَةٍ إِلَى جَانِبِ  
تِلْكَ الْمَدِينَةِ . قَالَتِ الْحِيَّةُ : وَأَنَا فِي سُورِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ ، فَإِنَّ أَنْتَ  
مَرَرْتَ بِنَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ وَاحْتَجَّتْ إِلَيْنَا فَصَوَّتْ عَلَيْنَا حَتَّى نَأْتِيكَ

فَنَجَزِيكَ بِمَا أَسَدَيْتَ إِلَيْنَا مِنَ الْمَعْرُوفِ . فَلَمْ يَلْتَفِتِ السَّائِحُ إِلَى مَا ذَكَرُوا لَهُ مِنْ قِلَّةِ شُكْرِ الْإِنْسَانِ وَأَدْلَى الْحَبْلِ فَأَخْرَجَ الصَّائِغَ فَسَجَدَ لَهُ وَقَالَ : لَقَدْ أَوْلَيْتَنِي مَعْرُوفًا ، فَإِنْ مَرَرْتَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ بِمَدِينَةِ نَوَادِرْحَتْ فَاسْأَلْ عَنِّي مَنزِلِي ، فَأَنَا رَجُلٌ صَائِغٌ وَاسْمِي فُلَانٌ لَعَلِّي أَكْفَيْتُكَ بِمَا صَنَعْتَ إِلَيَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ . فَاَنْطَلَقَ الصَّائِغُ إِلَى مَدِينَتِهِ وَأَنْطَلَقَ السَّائِحُ إِلَى وَجْهَتِهِ . فَعَرَضَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ السَّائِحَ اتَّفَقَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ فَاَنْطَلَقَ ، فَاسْتَقْبَلَهُ الْقَرْدُ فَسَجَدَ لَهُ وَقَبَّلَ رِجْلَيْهِ وَعَازَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ : إِنَّ الْقُرُودَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا ، وَلَكِنْ أَقْعُدْ حَتَّى آتِيكَ ، وَأَنْطَلَقَ الْقَرْدُ وَأَتَاهُ بِفَاكِهَةٍ طَيِّبَةٍ فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَكَلَ مِنْهَا حَاجَتَهُ .

ثُمَّ إِنَّ السَّائِحَ أَنْطَلَقَ حَتَّى دَنَا مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ فَاسْتَقْبَلَهُ الْبَبْرُ فَخَرَّ لَهُ سَاجِدًا وَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ قَدْ أَوْلَيْتَنِي مَعْرُوفًا فَاطْمَئِنِّ سَاعَةً حَتَّى آتِيكَ . فَاَنْطَلَقَ الْبَبْرُ فَدَخَلَ فِي بَعْضِ الْحَيَاطَانِ إِلَى بِنْتِ الْمَلِكِ فَقَتَلَهَا وَأَخَذَ حَلِيهَا ، فَأَتَاهُ بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ السَّائِحُ مِنْ أَيْنَ هُوَ . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : هَذِهِ الْبَهَائِمُ قَدْ أَوْلَّتْنِي هَذَا الْجَزَاءَ فَكَيْفَ لَوْ آتَيْتُ إِلَى الصَّائِغِ ؟ فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ مُعْسِرًا لَا يَمْلِكُ شَيْئًا فَسَيَبِيعُ هَذَا الْحَلِيَّ فَيَسْتَوْفِي ثَمَنَهُ فَيُعْطِينِي بَعْضَهُ وَيَأْخُذُ بَعْضَهُ وَهُوَ أَعْرَفُ بِثَمَنِهِ . فَاَنْطَلَقَ السَّائِحُ فَاتَى إِلَى الصَّائِغِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ رَحَبَ بِهِ



وَأَدْخَلَهُ إِلَى بَيْتِهِ . فَلَمَّا بَصُرَ بِالْحَلِيِّ مَعَهُ عَرَفَهُ وَكَانَ هُوَ الَّذِي صَاغَهُ لِابْنَةِ الْمَلِكِ .

فَقَالَ الصَّائِغُ : اطمئننَّ حَتَّى آتِيكَ بِطَعَامٍ فَلَسْتُ أَرْضَى لَكَ مَا فِي الْبَيْتِ ، ثُمَّ خَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ : قَدْ أَصَبْتُ فُرْصَتِي ، أُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَى الْمَلِكِ وَأَدُلَّهُ عَلَى ذَلِكَ فَتَحَسِّنْ مَنْزِلَتِي عِنْدَهُ . فَاَنْطَلِقَ إِلَى بَابِ الْمَلِكِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنَّ الَّذِي قَتَلَ ابْنَتَكَ وَأَخَذَ حُلِيَّهَا عِنْدِي ، فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ وَأَتَى بِالسَّائِحِ . فَلَمَّا نَظَرَ الْحَلِيَّ مَعَهُ لَمْ يُمَهِّلْهُ ، وَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُعَذَّبَ وَيُطَافَ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ وَيُصَلَّبَ . فَلَمَّا فَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ جَعَلَ السَّائِحُ يَبْكِي وَيَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : لَوْ أَنِّي أَطَعْتُ الْقِرْدَ وَالْحَيَّةَ وَالْبَبْرَ فِيمَا أَمَرْتَنِي بِهِ وَأَخْبَرْتَنِي مِنْ قَلَّةِ شُكْرِ الْإِنْسَانِ لَمْ يَصِرْ أَمْرِي إِلَى هَذَا الْبَلَاءِ ، وَجَعَلَ يُكْرِرُ هَذَا الْقَوْلَ . فَسَمِعَتْ مِقَالَتَهُ تِلْكَ الْحَيَّةُ فَخَرَجَتْ مِنْ جُحْرِهَا فَعَرَفَتْهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهَا أَمْرُهُ فَجَعَلَتْ تَحْتَالُ فِي خِلَاصِهِ ، فَاَنْطَلَقَتْ حَتَّى لَدَغَتْ ابْنَ الْمَلِكِ ، فَدَعَا الْمَلِكُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَرَقَوْهُ لِيَشْفُوهُ فَلَمْ يُغْنُوا عَنْهُ شَيْئًا .

ثُمَّ مَضَتْ الْحَيَّةُ إِلَى أُخْتِ لَهَا مِنَ الْجَنِّ فَأَخْبَرَتْهَا بِمَا صَنَعَ السَّائِحُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَعْرُوفِ وَمَا وَقَعَ فِيهِ ، فَرَقَّتْ لَهُ وَأَنْطَلَقَتْ إِلَى ابْنِ الْمَلِكِ وَتَرَاءَتْ لَهُ وَقَالَتْ : إِنَّكَ لَا تَبْرَأُ حَتَّى يَرْقِيكَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدْ عَاقَبْتُمُوهُ ظُلْمًا . وَأَنْطَلَقَتْ الْحَيَّةُ إِلَى السَّائِحِ فَدَخَلَتْ

إِلَيْهِ السَّجَنَ وَقَالَتْ لَهُ : هَذَا الَّذِي كُنْتُ نَهَيْتُكَ عَنْهُ مِنْ اصْطِنَاعِ  
الْمَعْرُوفِ إِلَى هَذَا الْإِنْسَانِ وَلَمْ تُطِعْنِي ، وَأَتَتْهُ بَوْرَقٌ يَنْفَعُ مِنْ سَمِّهَا  
وَقَالَتْ لَهُ : إِذَا جَاؤُوا بِكَ لِتَرْقِي ابْنَ الْمَلِكِ فَاسْقِهِ مِنْ مَاءِ هَذَا  
الْوَرَقِ فَإِنَّهُ يَبْرِأُ ، وَإِذَا سَأَلَكَ الْمَلِكُ عَنْ حَالِكَ فَاصْدُقْهُ فَإِنَّكَ تَتَّجُو  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَإِنَّ ابْنَ الْمَلِكِ أَخْبَرَ أَبَاهُ أَنَّهُ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ  
إِنَّكَ لَنْ تَبْرَأَ حَتَّى يَرْقِيكَ السَّائِحُ الَّذِي حُبَسَ ظُلْمًا . فِدَعَا الْمَلِكُ  
بِالسَّائِحِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْقِي وَلَدَهُ فَقَالَ : لَا أَحْسِنُ الرَّقِي ، وَلَكِنْ  
أَسْقِيهِ مِنْ مَاءِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَيَبْرِأُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَسَقَاهُ فَبَرِيءَ  
الْغَلَامُ . فَفُرِحَ الْمَلِكُ بِذَلِكَ وَسَأَلَهُ عَنْ قِصَّتِهِ فَأَخْبَرَهُ فَشَكَرَهُ الْمَلِكُ  
وَأَعْطَاهُ عَطِيَّةً حَسَنَةً ، وَأَمَرَ بِالصَّائِحِ أَنْ يُصَلَّبَ ، فَصَلَّبُوهُ لِكَذِبِهِ  
وَأَنْحَرَفِهِ عَنِ الشُّكْرِ وَمُجَازَاتِهِ الْفِعْلَ الْجَمِيلَ بِالْقَبِيحِ .

ثُمَّ قَالَ الْفَيْلَسُوفُ لِلْمَلِكِ : فَفِي صَنِيعِ الصَّائِحِ وَكُفْرِهِ لَهُ بَعْدَ  
اسْتِنْقَازِهِ إِيَّاهُ وَشُكْرِ الْبَهَائِمِ لَهُ ، وَتَخْلِيصِ بَعْضِهَا إِيَّاهُ عِبْرَةٌ لِمَنْ  
اِفْتَكَرَ ، وَأَدَبٌ فِي وَضْعِ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ عِنْدَ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ  
قَرَّبُوا أَوْ بَعُدُوا ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ صَوَابِ الرَّأْيِ وَجَلْبِ الْخَيْرِ  
وَصَرْفِ الْمَكْرُوهِ .

\*\*\*\*\*

انتهى بحمد الله

الأزرق بن علو



سلسلة  
عالم  
الثقافة

11

بني  
الأزرق بن عاو

الحكم والمواظ  
على السنة النبوية

المختصر المفيد

أضواء

على مسرح الحياة

كلمات نتمش الحياة

الشعر والحياة

حصان الأيام

إدب - فلسفة - تاريخ

الإنسان والقلق

تفحات من الامة المالكية

الرحلة

إسطنبول - تاريخ - حكايات

منارات

في رحاب الامة المالكية

قلائد الذهب

في الحكمة والامه



نبذة عن المؤلف

ولد الأزرق بن عاو في الجزائر، وحصل على:

- ليسانس في العلوم الاجتماعية من جامعة بلغراد (1961).
- ماجستير في العلاقات الدولية من الجامعة الأمريكية بواشنطن (1966).
- عضو البعثة الدبلوماسية الجزائرية في واشنطن (1964 - 1971).
- مراسل جريدة الشعب الجزائرية في واشنطن (1972 - 1975).
- موظف بمنظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة في روما منذ (1979).
- من مؤلفاته:
- ◆ كلمات تنعش الحياة.
- ◆ الشعر والحياة.
- ◆ حصاد الأيام ( أدب . فلسفة . تاريخ ) .
- ◆ الإنسان والقلق .
- ◆ نضجات من الأدب العالمي .
- ◆ الرحلة ( اساطير - تاريخ - ادب - حكايات ) .
- ◆ منارات في رحاب الأدب العالمي .
- ◆ قلائد الذهب في الحكمة والأدب .
- ◆ أضواء على مسرح الحياة .
- ◆ المختصر المفيد .

دار قباء الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

المالك والمدير العام العقيد شيرين ثابت

16 عمارات العبور - شارع صلاح سالم - مدينة نصر

تليفاكس 02/ 22621365 تليفون 02/ 24025777

محمول 002/ 01223140315

E-mail: modern\_qubaa@hotmail.com info@qubaaelhadetha.com

www.qubaaelhadetha.com

